

# الدعوة الإصلاحية

في

الجزيرة العربية

د. محمد بن ناصر الشثري

دار الحديث

الدعوة الإصلاحية  
في  
الجزيرة العربية

د. محمد بن ناصر الشثري

دار الحديث



ح دار الحبيب للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشثري، محمد بن ناصر

الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية. / محمد بن ناصر

الشثري. - الرياض، ١٤٣٠هـ

٣٥٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١-٢١٧٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الدعوة السلفية - السعودية أ. العنوان

١٤٣٠/١٨٢٢

ديوي ٢، ٢١٧

رقم الإيداع: ١٤٣٠/١٨٢٢

ردمك: ١-٢١٧٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الحبيب للنشر والتوزيع - الرياض - ص ب: ١١٥٦٤ - هاتف: ٤٨٢٥٤٨٥

# الفصل الأول

## تمهيدي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية

ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم ٦٢٩٧ / ب / ٧  
التاريخ ١٤٢٣ / ٩ / ٧  
المرفقات

برقيقه

المكرم الاخ الدكتور/ محمد بن ناصر أبو حبيب الشثري

اطلعنا على خطابكم المؤرخ في ١٤٢٣/٩/٧ هـ والمتضمن إهداءنا نسخة من كتاب (الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية) الذي قُمتم بتأليفه عن حقيقة الدعوة الإصلاحية وأثرها في تصحيح كثير من المفاسد المتعلقة بالعمقيدة والتوحيد...

نشكركم على ذلك.. ونرجو لكم دوام التوفيق...،،،

عبدالله بن عبدالعزيز  
نائب رئيس مجلس الوزراء

## الفصل الأول تمهيدي

### تعريف الدعوة الإصلاحية

الدعوة في اللغة، جاء في لسان العرب: «قال الليث: دعا يدعو دعوة ودعاء». وفي المعجم الوسيط: «دعاه إلى الشيء، حثه على قصده، دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة»<sup>(١)</sup>.

والدعوة في الاصطلاح: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا...».

وعرفها بعض المتأخرين بقوله: «إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب المناسبة مع أحوال المدعويين».

والمقصود بالدعوة الإصلاحية هنا هي تلك التي كانت في جزيرة العرب في القرن الحادي عشر الهجري داعية إلى التمسك بما أنزل على محمد ﷺ واقتفاء أثره وأثر أصحابه الكرام، وتزعم هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما تبعه من الملوك والعلماء، وكان هدف الدعوة تصحيح الأوضاع الدينية الفاسدة التي كانت سائدة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

(١) (مادة دعا) تاج العروس للزبيدي (١٠/١٢٦).

ابن منظور، لسان العرب (١٤/٢٥٧).



والدعوة المقصود بها الدعوة إلى دين الإسلام، وعملية نشره وتبليغه على علم وبصيرة، وبالطرق المشروعة. وكلمة الدعوة مرتبطة بعدة ألفاظ منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعظ والنصيحة، والإصلاح والتجديد، والترغيب في الفضيلة، والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل.

### أهمية الدعوة

الدعوة الإلهية وضعت أسس الحياة على مفاهيم ثابتة، وقواعد متينة لا تختلف من مكان إلى آخر، ولا تتغير بمرور الزمن، ولا تفرق في تعاملها بين أجناس. وهي من أهم الطاعات، وأعظم القربات التي أمر بها الله تعالى. وأهميتها تأتي في عدة أوجه.

أولاً: أن الكون لله وحده، يضع فيه من الشرائع والأحكام ما ينفع الناس، ويدعوهم إلى طاعته وتقواه التي فيها فوزهم، وقد بعث فيهم رسلاً يرشدونهم، ويبعدونهم عما يضرهم، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١)، لأن الرسل هم الصلة بين الخالق والمخلوق، من حيث تبليغ الدعوة. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٢).

ثانياً: اختار الله للدعوة أفضل العباد، وخيار الخلق وهم الأنبياء والمرسلون، ليكلفهم بالتبليغ والدعوة، فاصطفاهم وبعثهم، وتلك دلالة

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

واضحة على أهمية الأمر وفضل الدعوة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد سار على نهجهم العلماء والمصلحون والدعاة.

والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هو القدوة والأفضل بين الرسل، وهو المتولي رسالة الدعوة. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: يحدثنا القرآن الكريم عن تفضيل أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وتميزها عن سائر الأمم، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾<sup>(٤)</sup>. وهو تفضيل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة، ومن ثم هي الأصلح للقيام بالدعوة، وهم خير الناس للناس ماداموا أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

رابعاً: في الدعوة إلى الله ترغيب في عبادته، وذلك بذكر نعمه وسعة جوده ورحمته، وذكر أوصاف كماله ونعوت جلاله. كما أن الدعوة إلى الله فيها الحث على اقتباس العلم والهدى من كتابه وسنة رسوله ﷺ، وكذلك الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان وصللة الأرحام وبر الوالدين، وما

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.



إلى ذلك من الأعمال الخيرة .

وتعتبر الدعوة من أحسن الأقوال ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا  
مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

والناس أمام الدعوة قسمان :

أ - قسم استجاب لدعوة الرسول ﷺ ودخل في الإسلام ، فهم أمة محمد ﷺ (أمة الإجابة) .

ب - قسم لم يستجب للدعوة ولم يدخل في الإسلام ، فهم (أمة الدعوة) . وبناء على ذلك فالدعوة قسمان :

١ - دعوة حفظ توجه للمسلمين (أمة الإجابة) ، للمحافظة على دينهم .

٢ - دعوة جذب إلى غير المسلمين (أمة الدعوة) ، لإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام (٢) .

### أهداف دراسة الدعوة

من أهم أهداف دراسة الدعوة في الجزيرة العربية ما يلي :

أولاً: إظهار أهمية الدعوة . ويظهر ذلك من دراسة جهود السلف ، وأن الدعوة مسيرة لا تتوقف رغم ما يعترضها من عقبات ، وصلابة النموذج المقدم في الدعوة إلى الله ، وأهمية الاقتداء بهم .

ثانياً: إيضاح مفهوم الدعوة الإصلاحية ، ودعوة السلف على ما قامت عليه من الكتاب والسنة ، وتثبيتاً لمفهوم التوحيد ، والسير على خطوات السلف .

ثالثاً: إظهار الدور الكبير الذي قام به عدد من الأعلام ، الذين ناصروا الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن سار على

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

(٢) حسن علي جابر ، الطريق إلى جماعة المسلمين ، ص ٤٦ .

طريقه من بعده من حكام وعلماء .

رابعاً: توضيح دور الدعوة الإصلاحية في إنقاذ كثير من المسلمين من الجهل والخرافات والبدع التي كانت في تلك الفترة، وتعظيم أمرها باجتنابها، وأن نتجه إلى الله بالدعوات والشكر على تلك النعم .

### أهمية الجزيرة العربية وخصائصها

الجزيرة العربية المقصود بها المنطقة التي يحدها شمالاً الشام والعراق، وجنوباً بحر العرب، وشرقاً الخليج العربي، وغرباً البحر الأحمر . أما الآن فتتكون من مجموعة من الدول هي : المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، واليمن، والكويت، والبحرين، وقطر، وعمان .

والجزيرة تتوسط العالم، كما أنها مهبط الوحي، وقبلة المسلمين، فهي تضم أفضل البقاع وتحتضن الحرمين الشريفين اللذين هما قبلة المسلمين عامة، وإليها يفد المسلمون من كل بقاع الأرض، لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام .

ومن خصائصها المميزة لغتها العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وبلغت أهلها، تكريماً لها، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) . كما أنها هي للمسلمين لا لغيرهم ولا لدين سوى دينهم، وكما وصى بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» .

تلك خصائص بلاد دولة الإسلام التي تفجرت منها الدعوة، فكانت خير سند لها بما حباها الله من تلك الخصائص (٣) .

(١) سورة الزخرف، الآية : ٣ .

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٦/ ١٧٠) .



## منهج السلف في الدعوة

السلف الصالح هم أتباع النبي ﷺ من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل القرون المفضلة التي قال عنها النبي ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

فلقد ساروا على نهج وهدى الرسول الكريم، لم يخالفوه ولم يتدعوا، ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه، وأولئك هم أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية كما قال ﷺ: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وعليكم الطاعة».

والسلف هم السابقون في الوقت ولقربهم من الرسالة، مقارنة بمن بعدهم ولتقدمهم في الفضل والمكانة، وهم أهل السنة لانتسابهم إلى سنة النبي ﷺ وتمسكهم بها، وسموا الجماعة لاجتماعهم على الحق والهدى. والدعوة السلفية تسير على منهج يقوم على خمس ركائز مهمة هي:

## أولاً: العلم

فالعلم مرتبط بجميع مراحل الدعوة المختلفة، وهو المدخل الأول للدعوة ولا بد للداعية من العلم والمعرفة بالله تعالى ونبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. والمقصود بالبصيرة هي العلم.

والعلم سابق للعمل، وبفقدته تفقد الدعوة عنصراً مهماً ومرتكزاً

(١) الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة. مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...» الأحاديث ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٠٣٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

جليلاً يقع بفقدانه كثير من الضلال والجهالات، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (١١٩) .

وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣١) . وقال ﷺ: «من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» .

هكذا يؤكد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على أهمية قاعدة من قواعد الدعوة منذ بدايتها، وهي العلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

### ثانياً: العمل

وهو مرحلة تأتي بعد العلم والمعرفة، ليكون العمل على أنفع حال، وهو عمل القلب بالتوحيد، واللسان بالقول، والجوارح بالالتزام بطاعة الله . وكما قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٢) (٣) . والذي لا يعمل بما علم كان وعيد الله تعالى لهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٤) .

### ثالثاً: الأولويات

منهج السلف في الدعوة يقوم على ترتيب مراحل الدعوة، فيقدم الأصول على الفروع، والأهم على ما دونه . فالعقيدة مثلاً هي أهم ما يركز عليه، والعقيدة تعتبر الأساس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٩ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .

(٣) سورة هود، الآية: ١٢ .

(٤) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣ .

أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾<sup>(١)</sup> . وكما جاء في الحديث الشريف وصية الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فأيتك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» .

ظهرت الأولويات في هذا الحديث كاملة وعلى حسب أهميتها، بدءاً بالتوحيد والعقيدة، ثم لم يغفل جوانب العبادات والأحكام والمعاملات، بل جاءت كما بينها الشرع .

#### رابعاً: استخدام الوسائل والأساليب المشروعة في الدعوة

لقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عدداً من الأساليب للدعوة، حرصاً على أن تكون أقرب للقلوب وأنفذ . قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِالنِّسَاءِ أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى لموسى وهارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّتُنَا لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ ، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤ .

(٤) سورة التحريم، الآية: ٩ .

فلا بد من استخدام الوسائل المباحة شرعاً وما لا حرمة فيه، وأن يتخذ الأسلوب المناسب في الموضع المناسب، حتى نمثل بما قاله سبحانه وتعالى وأكده رسوله الكريم ﷺ.

#### خامساً: الصبر والمتابعة

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّلٰوةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) .

أوصى لقمان الحكيم ابنه - وهو يعظه - بالصبر، وهو من أهم الخصال، وهو عند الداعية أهم وألزم، فهو يحتاجه في القيام بالتبليغ مما يلحقه من أذى في سبيلها، وما يتبع ذلك من إعراض المدعو من أذى وما شابهه . وكما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣) .

وسمات الدعوة في منهج السلف الصالح ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث قال: «أربع خصال يجب علينا تعلمها وهي: العلم (وهو معرفة الله ونبه ودين الإسلام بالأدلة) والعمل بذلك، والدعوة إلى الله، والصبر على الأذى فيه» .

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣ .





## الفصل الثاني

# أحوال المسلمين قبل الدعوة







## المبحث الأول

### حال العالم الإسلامي قبل الدعوة

الغرض الأول من معرفة حال العالم الإسلامي قبل الدعوة الإصلاحية هو معرفة ما آل إليه حال المسلمين من الانحرافات والشرك والبدع، ولندرك مدى تأثير الدعوة إلى الله في إصلاح حالهم، وتغيير تلك الأوضاع وتصحيحها بما ينفع الجميع. والغرض الآخر أن ندرك حجم المجهود الذي قام به الدعاة ومناصروهم، وما بذلوه من جهد في سبيل ذلك.

لذلك كان لابد لنا من توضيح أمرين مهمين في أحوال المسلمين في تلك الفترة، هما: أ- الحالة السياسية. ب- الحالة الدينية.

#### أولاً: الحالة السياسية

لقد بدأ الضعف يدب في كيان الدولة العثمانية وهي الدولة التي وصلت إلى ذروة مجدها في القرن العاشر الهجري، وبسطت سلطانها على كثير من الأقطار الإسلامية والبلاد الأوربية، ولكن في القرن الثاني عشر تدهورت أحوالها، نتيجة فساد كثير من النظم الداخلية من ناحية، ومن الحروب الكثيرة التي شنتها الدولتان الروسية والنمساوية بغية تصفية ممتلكات الدولة العثمانية في أوربا من ناحية أخرى، ومن ثم القضاء عليها، وهي ما تسمى (بالمسألة الشرقية)<sup>(١)</sup>.

وقد انعكس هذا الضعف - بصور متفاوتة - على الدول العربية

(١) ابن بشر، عنوان المجد (٢/٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٢).



الخاضعة للحكم العثماني، وظهر في شكل حركات تمرد وانفصال، أو حركات إصلاحية للحيلولة دون سقوط هذا الصرح الإسلامي الكبير في ذلك الوقت.

وما كان يهم الدولة العثمانية في ذلك الوقت هو الاحتفاظ بموقع استراتيجي يحميها ومصالحها من الخطر البرتغالي، فكان تركيزها على اليمن ومدخلها في البحر الأحمر الجنوبي، كذلك الحجاز وما يمثله من سيطرة على طريق الحج الآتي من الشام. أما منطقة نجد فلم تكن تحظى بتلك الاهتمامات الاستراتيجية؛ لذلك لم يكن لها نصيب من اهتمام الدولة العثمانية في تلك الفترة، بالإضافة إلى وجود الدولة العثمانية في تلك الحقبة، وهي الدولة السنية التي بدأت على يد عثمان بن أرطغرل سنة ٦٨٧هـ، وكان آخر حكامها السلطان عبدالحميد الثاني، نجد هنالك الدولة الصفوية، وهي دولة مغالية في الرفض حاكمة في بلاد فارس، وكانت شديدة العداء مع الدولة العثمانية، وكانت ترزح في حروب واضطرابات.

أما في الهند، فكانت هنالك دولة تجمع بين الشيعة والتصوف والوثنية وهي دولة المغول التي لم تكن بأحسن حالاً من سابقتها من حروب واضطرابات، لتسقط أخيراً في يد الإنجليز عام ١٢٧٤هـ.

كما نجد الحروب والأزمات الموجودة في كل من روسيا والصين والاضطهاد للمسلمين، وجميعها كانت تحت سيطرة الاستعمار الأوربي، الذي أدى بها إلى التفكك والاضطراب وغياب الأمن وانتشار الفوضى، لغياب السلطة الحاكمة، وهكذا الحال في أغلب الدول الإسلامية.

### ثانياً: الحالة الدينية

الوضع السياسي والأمني المتردي في تلك الدول أدى إلى ارتداد المسلمين إلى عهود الجاهلية الأولى، فارتكسوا في الشرك، وانطفأ نور الهدى

لغلبة الجهل، فبنذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وابتغوا الضلال، وأحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور، وصرف النذور لهم، والابتهاال بالدعاء لهم ما زادوا به على أهل الجاهلية، وجعلوا في الدين ما لم يأذن به الله، ونسوا قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَآرَهُبُونَ﴾<sup>(١)</sup> النحل، الآية: ٥١<sup>(٢)</sup>.

لقد انتشر الضلال حتى عم ديار المسلمين كافة. فنجد في بلاد مصر وصعيدها من الأمور ما يتنزه الإنسان عن ذكره، خصوصاً عند قبور الصالحين من العباد، فيستغيثون ويندبون، ويسألون المدد ويستحثونهم على كشف المصائب، وينسبون إليهم كرامات، ويصدر هذا الكلام بوجود مختلف العلماء، ويبقى ذلك المنكر بدون تغيير ولا تقويم.

أما في بلاد اليمن، فالشرك والفتن كثيرة لا تعد ولا تحصى من دعاء واستغاثة بمن في القبور، كقبر يسمى (الهادي) ويطلب منه الحمل والولد، وعند أهل بلدة (برع) عندهم البرعي، ويؤتى إليه من مسيرة طويلة طلباً للإغاثة وشكاية الحال، متقربين بالذبائح والعكوف عند القبر.

وفي حضرموت عندهم (العيدروس) يفعل عند قبره الضلال والسفه، حتى إنه ليقول بعضهم: (شيء الله يا عيدروس شيء الله يا محيي النفوس) والعياذ بالله. وكذلك الحال في الحديدية، وأهل اللحية، وقبر رابعة والزيلعي، وكثير من نماذج الكفر والضلال، والاعتقاد بالأباطيل وصرف نصيب من العبادة لغير الله، وجعل صفات الألوهية له نجانا الله وإياكم منهم<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية: ٥١.

(٢) صالح العبودي، عقيدة الشيخ (١/٦٠ - ٧٠).

(٣) حسين بن غنام، تاريخ نجد (٢/١٦).



أما في حلب ودمشق وأقصى الشام، فقد عكف بعض الأهالي على عبادة القبور، وتقديم القرابين والندور، كما في الموصل وبلاد الأكراد وفي العراق، فالناس هناك يؤمنون قبر الإمام أبي حنيفة، ومعروف الكرخي، والشيخ عبدالقادر ويتوجهون إليهم بالدعاء والاستغاثة.

أما مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فالرافضة يعبدونه من دون الله، ويتوجهون إليه بخالص الدعاء، ويصلون له في قبته المذهبة التي زخرفوها على قبره. ومثل ذلك يفعل في مشهد الكاظم، ومشهد الحسين من الشرك المنكر والكفر القبيح، فشب عليه الأطفال وشاب عليه الرجال من الجهال<sup>(١)</sup> . .

ومن ذلك ما يفعل في قرى الشط والمحمرة وما حول البصرة وما فيهما من قباب ومشاهد، ولاسيما قبر الحسن البصري، والزبير رضي الله عنهما، فقصدتهما الناس للتوسل والدعاء والعبادة.

كذلك الحال في القطيف والبحرين من البدع والخرافات والشرك ومظاهر الضلال، مما لا يخفى على أحد لكثرتة وشيوعه.

هكذا كانت أحوال المسلمين في تلك الحقبة الزمنية وما زالت بعض من تلك المظاهر، حتى مع انتشار التأثير الفعّال والشديد من أثر الدعوة، كما سنرى.

(١) المرجع السابق (١٣/٢).

## المبحث الثاني

### الجزيرة قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب

#### أولاً: الحالة السياسية

قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان مركز الدعوة ضعيفاً ومفككاً، إذا ما قورن بالمناطق المحيطة به شرقاً وغرباً في الجزيرة العربية. ففي السواد الأعظم من مناطق الجزيرة العربية كان الحكام غير قادرين على بسط نفوذهم في بعض الجهات، وبذلك لم يستطيعوا منع الحروب بين فئاتها المختلفة وفرض الاستقرار، وكان الأمر مرتكزاً على الصراع على السلطة، ومواطن الرعي والماء، وعلى يد فئة معينة من الأسر التي كانت تحكم هذه المنطقة.

أصبح الحكم عشائرياً لا يتوخى الحق والعدل، وانفصلت البلدان بعضها عن بعض، وصارت السيطرة للقوة، دون العلم بشرع الله وأحكامه، فصار الخلاف. وأصبحت المنازعات هي السمة الكبرى لتلك الفترة، وكان أمراء المناطق يصلون إلى الحكم بطرق مختلفة، منها ما هو سلمي، ومنها ما كان عن طريق القوة أو الاغتيال، وكثيراً ما كانت الإمارة وراثية<sup>(١)</sup>.

إن بعض الأسر كانت سائرة في طريق الزعامة المحلية. فنجد في العيينة آل معمر، وفي الدرعية آل سعود. والمعروف أن الأولى ظلت أقوى إمارة في نجد قبل تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، العثيمين ص ١٤.



سعود، وبهذا التحالف أصبحت أقوى دولة في جزيرة العرب .  
ومن الملاحظ أن قبيلة بني تميم احتلت مركزاً بين القبائل الحضرية في نجد في تلك الفترة، نظراً لكثرتها ونزعتها الاستيطانية منذ زمن بعيد . ومن المنتمين إليها في ذلك الوقت أمراء ثرمداء، والعيينة، وروضة سدير، وبريدة<sup>(١)</sup> .

وفي الأحساء كان بنو خالد - بزعامة براك بن غرير - وقد استطاعوا أن يمدوا نفوذهم إلى نجد حتى الكويت، وأجلوا الأتراك عن الأحساء عام ١٠٨٠هـ .

أما بالنسبة للقبائل الرحل، فقد كان الكرم والشجاعة، وسداد الرأي هي المقومات الأساسية لاختيار الزعيم لدى البادية، ولم تكن على أية حال بأحسن من غيرها، في المنازعات والقتل، استرداداً للسلطة أو للاستيلاء عليها .

لقد كانت بعض القبائل تسعى لاحتلال السلطة ومركز الصدارة في نجد، وكان هناك نوع من النفوذ لبني لام وبني خالد، لكنه من الواضح أن قبيلة عنزة كانت أقوى من غيرها خلال تلك الفترة، ومما يؤكد ذلك كثرة هجماتها على القبائل الأخرى، وانتصارها عليها .

### ثانياً: الحالة الدينية

إن كثيراً من البدع في الدين انتشرت في منطقة الجزيرة العربية، كما تسلمت الخرافات إلى عقائد بعض الناس، فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، يستغيثون بهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد، بل إن كثيراً منهم يرى في الجمادات، كالأحجار والأشجار، والقبور القدرة على جلب النفع ودفع الضرر<sup>(٢)</sup>، فأحلوا بذلك ما حرم الله، ونسوا قوله سبحانه

(١) عنوان المجد (١/٦٠).

(٢) ابن بشر، تاريخ نجد (١/١٠) وما بعدها.

وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ (٥٣) .

انتشر الضلال حتى عم ديار المسلمين . فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم . كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، ويدعون له لتفريج الكرب وقضاء الحاجات، كما يزعمون أن في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها ظانين أنهم أقرب تلبية لحوائجهم، كما كان النساء يأتين بلدة الجبيلة حيث النخل المعروف بالفحال ويتبركن به، يطلبن تيسير الزواج لهن ويقلن: «يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول» .

وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن الجبل انغلق لصيحة امرأة استغاثت بالله من بعض الظالمين، فكان ذلك الغار مباركاً في زعمهم، وأصبح للتعبد وإرسال الخبز واللحم، كما كان عندهم رجل من الأولياء اسمه تاج، صرفوا إليه النذور ودعوه لصرف الضر عنهم وقضاء شؤونهم، وهو ضرير يأتي من الخرج بدون قائد، فاعتقدوا فيه وأمنوا به، فضلوا عن الصراط المستقيم والعياذ بالله .

أما ما يفعل في الحرم الشريف، فكانت تأتي جماعات من الأعراب وتعمل من الفسوق والضلال والعصيان، ما يملأ القلب أسى وحرزناً، ونسوا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢٦) .

وغير ذلك من مثل ما يفعل عند قبر المحجوب، فكانوا يعظمون أمره ويحذرون سره، ويتمنون شفاعته وغفران ذنوبهم . وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلاة من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات والدعاء، وكذلك عند قبر عبدالله بن عباس في الطائف،

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣ .

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٦ .





وقبر الرسول ﷺ وما يفعل فيه من البدع والانحناء والسجود، ونسوا أن الرسول عليه الصلاة والسلام لعن فاعله، وقبر حمزة وما يفعل عنده من البدع والشركيات .

أما ما يفعل في جدة وقبر حواء، والزعم فيه وحتى الأقوال عنده وما إلى ذلك من الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان فحدث ولا حرج<sup>(١)</sup> .  
لكل تلك الأسباب السياسية والدينية مجتمعة، وما سبق ذكره يدل - بشكل قاطع - على وقوع الفتن والشرك والضلال، مما كان يتطلب حركتين مهمتين حركة دعوية دينية إصلاحية - وهذه أهم - وحركة سياسية تجمع شتات إماراتها المتحاربة وقبائلها المتصارعة .

(١) المصدر السابق (ص ١٣).

## الفصل الثالث

### بدء الدعوة الإصلاحية





## المبحث الأول

### الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثره في الدعوة

#### ١ - نسبه

إن اسم آل الشيخ هو الاسم الذي عرفت به هذه الأسرة الكريمة التي تنتسب إلى شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكانت تعرف بآل مشرف. وأصول الشيخ محمد أصول كريمة. فال مشرف من فروع تميم، وكانوا ذوي امتياز مشهود في بلدتهم والبلدان المجاورة، وامتيازهم هو امتياز العلم والخلق<sup>(١)</sup>.

هذا الامتياز جعل لآل مشرف مكانة عالية في مجتمعات نجد وعرف لهم قدرهم. وشيخ الإسلام هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن رشاد بن يزيد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن ريس بن زاخر بن علوي بن وهيب.

وينتهون إلى القبيلة العربية المشهورة تميم بن مرّ بن الياس. فجده سليمان كان أعلم أهل بلده (العيينة) وأفقههم، وكان من أعلم علماء نجد البارزين، وانتهت إليه الرئاسة في الفقه والحديث وأصولهما، وعلوم القرآن، والعربية.

ومع بروزه في الفقه الحنبلي كان أيضاً عالماً في فقه المذاهب المشهورة، ولكنه لم يكن ليفتي إلا على مذهب الإمام أحمد الذي استوعبه. وتجاوزت شهرة سليمان مدينة (العيينة)، وكان طلاب العلم يفدون إليه في بلده

(١) ابن بشر، عنوان المجد (١/١١٣).



يأخذون عنه العلم والمعرفة، وإلى جانب اشتغاله بالتعليم والفُتيا والقضاء ألف بعض الرسائل والكتب في الفقه، ومنها كتابه «تحفة الناسك في أحكام المناسك».

توفي الشيخ سليمان سنة ١٠٧٩هـ (١٦٦٨م)، بعد أن خلف أبناء لم يكن لهم شغل غير العلم، منهم عبد الوهاب - والد الإمام شيخ الإسلام - الذي كان أبرز وأعلم وأشهر إخوته ولم يترك مكان والده شاغراً.

الشيخ عبد الوهاب برز في علوم الفقه، والتفسير، والحديث، وعلوم القرآن، وله رسائل في الفقه وغيره، وله كذلك تأليف في فقه الإمام أحمد.

لقد كان بيت سليمان مليئاً علماً وفضلاً وخلقاً، وقد زاده الله بركة بعراقته في العقيدة، والدعوة الإسلامية المباركة، فهو بيت عربي أصيل في عراقته ومجده، وقد غدت فيه الفروع كريمة، لأن الأصل فيه زكي وطيب<sup>(١)</sup>.

### الولادة والنشأة

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي سنة ١١١٥هـ، في بلدة العيينة، الواقعة شمال الرياض، ونشأ في حجر أبيه عبد الوهاب، في تلك البلدة زمن إمارة عبدالله بن محمد بن حمد بن معمر.

أظهر محمد بن عبد الوهاب رغبة عظيمة في التعلم منذ صغره، لدرجة أنه لم يمارس ما كان يمارسه الأطفال في مثل سنه من لهو وألعاب<sup>(٢)</sup>، واتجه أول ما اتجه في بدء مسيرته إلى القرآن الكريم، وقد حفظه قبل أن يبلغ العاشرة، وبعده شرع في العلوم الشرعية الأخرى، خاصة الفقه الحنبلي الذي بدأ يدرسه على يد أبيه عبد الوهاب.

(١) أحمد عبدالغفور عطار، محمد بن عبد الوهاب ص (٣١).

(٢) ابن غنام، روضة الأفكار (١/٢٥).

لقد كان ذكياً، شغوفاً بالدراسة، طموحاً إلى التحصيل العلمي، وكان جوه الأسري مشجعاً له على ما يريد، وأبوه الفقيه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق المعرفة. وبما أن أباه كان قاضياً في البلدة، فإنه كان على علم بأحكام بعض القضايا التي كان ينظر فيها أبوه، وهذا الأمر كان من الأسباب في توسيع مداركه، ونجاحه في خطواته العملية الأولى.

عند بلوغ محمد بن عبدالوهاب الحلم الثانية عشرة من عمره كان زواجه مبكراً - وهو أمر طبيعي في ذلك الوقت بين أهل نجد - وقد تم بناء على رغبة أبيه، وفي هذه السن المبكرة أبدى رغبته في أداء الحج، مما يدل دلالة واضحة على أن الشيخ محمداً كان مختلفاً عن الآخرين في تصرفه ونضجه المبكر.

ذهب للحج وهو في هذه السن، ومن مكة ذهب إلى المدينة، فأقام بها شهرين، تعرف خلالها إلى الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف، الذي أصبح أحد أساتذته في المستقبل.

عاد إلى العيينة مثابراً على التعلم، وأخذ يقرأ في كتب التفسير والحديث والتوحيد، وخلص في تفكيره من قراءة تلك الكتب إلى أن كثيراً من أعمال من كانوا حوله آنذاك مضادة لدين الإسلام الصحيح، وإدراكاً منه بالواجب حذر من البدع المضلة، وعندما شعر بأن نشاطه غير مفيد قرر مغادرة بلده<sup>(١)</sup>.

### علمه وشيوخه

بعد أن أدى الشيخ محمد بن عبدالوهاب فريضة الحج أمّ المدينة المنورة، وزار مسجد إمام المرسلين ﷺ. وقد كان في المدينة في ذلك الوقت

(١) ابن بشر، عنوان المجد (١/٢٠).



من العلماء الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي، فأخذ عنه الشيخ محمد كثيراً من العلم، وقد كان الشيخ عبدالله محباً للشيخ محمد، وبذل جهده في تثقيفه وتعليمه.

كما كان للشيخ محمد حياة السندي أثر في ثراء محمد بن عبدالوهاب العلمي حيث كان الشيخ السندي حجة في الحديث وعلومه، وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل<sup>(١)</sup>. وكذلك أخذ من كل من الشيخ علي أفندي الداغستاني، والشيخ العجلوني، والشيخ عبداللطيف العفالقني الإحسائي، وقد أجازهم الشيخان، الداغستاني والشيخ عبدالله بن إبراهيم، بما في ثبت أبي المواهب<sup>(٢)</sup>.

عندما اقتنع الشيخ محمد بكفاية المدة التي قضها متعلماً في المدينة عاد إلى نجد (العينة)، ومما استفاده في هذه الرحلة تتلمذه على السندي المحارب للبدع والتعصب المذهبي، والداعي إلى الاجتهاد، وبداية الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقراءة كتب ابن تيمية المهمة.

بعد عودته واصل قراءة الكتب العلمية، ورغم محدودية علمه في ذلك الوقت وتأثيره في الآخرين من إنكاره لبعض الأمور الشائعة، وإدراكاً منه بوجوب إكمال تأهيله.

رحل الشيخ محمد إلى البصرة، طلباً للعلم ونشراً للدعوة، واتصل بعلمائها، وأخذ عنهم وتعلم على يد الشيخ محمد المجموعي، وأخذ عنه بعض العلوم، ولكنه في البصرة رأى ما في بلاد العراق من البدع والخرافات، ولم يملك غير النصح والوعظ والإرشاد، فأنكر عليهم برفق، فقابلوا النصيحة بالإعراض، ثم آذوه وطرده، فعاد ونزل الأحساء ضيفاً على

(١) ابن بشر، عنوان المجد (١/٤١).

(٢) أحمد أبو طامي، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص (١٥).

الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي، فأعجب علماء الأحساء بدعوته السلفية، ثم عاد بعد ذلك إلى حريملاء حيث كان والده.

ثار بين محمد وعلماء حريملاء جدل عنيف وبموت والده عام ١١٥٣هـ وجد نفسه وحيداً، وزاد خصومه في محاربتة، ولكنه كان ثابتاً مصراً على إنكار البدع ومحاربة الوثنية والشرك، وقهرهم بالحجة والدليل، ولم تستطع قوى الشر قهره، بل استمر في دعوته غير عابئ بالعلماء والرؤساء وأرباب السلطة.

بعد وفاة والد الشيخ قام بإعلان الدعوة إلى التوحيد، وتصحيح العقائد والالتزام بعقيدة السلف الصالح، فتعرض من السفهاء لأنواع شتى من الأذى، وحاولوا قتله، فعاد إلى العيينة مسقط رأسه عام ١١٥٤هـ، مؤيداً من أميرها عثمان بن معمر الذي وعده بالنصرة، ولكن توقف عن ذلك بإيعاز من حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن عريعر، فانتقل إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ تحت نصرة واتفق الإمام محمد بن سعود.

### تلاميذه ومؤلفاته

لقد ذكر ابن بشر أن كثيراً من الطلاب تتلمذ على يد الشيخ - رحمه الله - وعده من العلماء الأجلاء، ولا يزال لدعوته صدى كبير وقبول وطلاب في عدد من البلاد، وكان من تلامذته أبنائه الأربعة العلماء، والقضاة الفضلاء الذين درسوا العلوم الشرعية والفنون الأدبية، كما درسوا الفروع والأصول، وصارت لهم ملكة في المعقول والمنقول<sup>(١)</sup>.

وكان من أبرز تلامذة الشيخ أبنائه حسين وعبدالله، وعلي وإبراهيم، وكذلك عبدالعزيز العريني، سعيد بن حجي، أحمد بن معمر، حمد بن سويلم، حسين بن غنام، الإمام عبدالعزيز بن سعود، والإمام سعود بن

(١) ابن بشر، عنوان المجد (١/٢٤).





عبدالعزیز، وغيرهم كثير .

### مؤلفاته

كانت كتابات الشيخ تتركز في موضوع التوحيد والعقيدة، بسبب الحاجة إليها في ذلك العصر، بسبب انتشار مظاهر البدع والشرك، ولكن تنوعت كذلك كتابات الشيخ ومؤلفاته في الحديث والفقه، والسيرة والتفسير .

وتتميز كتابات الشيخ بدقة الاستنباط والأدلة الشرعية وسهولة السرد، كما يتضح من خلالها سعة أفقه واطلاعه على كثير من أقوال أهل العلم وكتبهم . ومن أبرز مؤلفاته :

- ١ - كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أول مؤلفاته .
  - ٢ - كشف الشبهات (في خصوم الدعوة ومجادلتهم) .
  - ٣ - مسائل الجاهلية .
  - ٤ - كتاب الكبائر .
  - ٥ - آداب المشي إلى الصلاة .
  - ٦ - مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد .
  - ٧ - فضل الإسلام .
  - ٨ - الأصول الثلاثة وأدلتها .
  - ٩ - مسائل الجاهلية .
  - ١٠ - مختصر الإنصاف والشرح الكبير .
- وغيرها كثير من المؤلفات .

### عقيدة الشيخ

ترتبط الدعوة دائماً بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً، فلا دعوة صحيحة بدون عقيدة كعقيدة السلف الصالح، وهي ما رسخ في نفس الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونهج نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام وأصحابه، والتابعون،

والأئمة كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وابن المبارك، والبخاري، ومسلم، وأبي داود وسائر أهل السنن ومن تبعهم أخيراً كالأشعري، وابن خزيمة، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية والذهبي<sup>(١)</sup>.

فكان منهج الشيخ يقوم على الكتاب والسنة، وفي رسائله يؤكد بأن دعائم هذا المنهج تقوم على: توحيد العبادة والربوبية، وهو الاعتقاد بأن الله هو الحي القادر الخالق الرازق المحيي المميت، وأن يفرد الله بالعبادة ولا يشرك به أحد: لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ويرأى من عبادة ما سواه كائناً من كان، وهي الحكمة من خلق الجن والإنس، التي أرسلت لها الرسل، وأنزلت بها الكتب<sup>(٢)</sup>.

الإيمان بالرسول والأنبياء والملائكة والكتب المنزلة واليوم الآخر، فيؤمن بجميع أنبياء الله لا يفرق بين أحد منهم، ويعتقد بأن محمداً أفضلهم، أرسله الله بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة، وكرمه بطهارة الأعراق، وحباه بمحاسن الأخلاق، ويؤمن باليوم الآخر وبالبعث بعد الموت، وحساب الله للعباد، وبالميزان والصراف والجنة والنار، وبفتنة القبر وبعذابه ونعيمه، وإعادة الأرواح إلى الأجساد.

كما يؤمن بشفاعة نبينا محمد ﷺ، وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر هذا إلا أهل البدع والضلال كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) عبدالرحمن قاسم، الدرر السنية (١/٧٩).

(٢) أحمد بن حجر أبو طامي: الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٣٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.



ويرى أيضاً وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، ما لم يأمرُوا بمعصية الله، ويعتقد بأن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق. كما يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة، هذه هي عقيدة الشيخ ومنهجه فيها.

## المبحث الثاني منهج الدعوة وبعض آرائه

### ١ - موقفه من الصحابة:

منهج أهل السنة والجماعة يقوم على موالة أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر محاسنهم، والكف عما شجر بينهم، وأنهم خير القرون، وأصحاب المآثر والمقامات الرفيعة، وأنهم عدول ثقات. قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup>. ولقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>.

وأهل السنة يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم ويحترمونهم، ويكرمونهم لقرباتهم من الرسول عليه الصلاة والسلام. وموقف الشيخ امتداد لمعتقد أهل السنة والجماعة. يقول في رسالته لأهل القصيم: «وأؤمن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان<sup>(٣)</sup> عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، وإن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة - رضي الله

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة وتحريم سبهم.

(٣) تعليق ابن باز: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٨٩.



عنهم - وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساوئهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم، وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء. وبهذا يتبين رأي الشيخ في مسألة مهمة من مسائل العقيدة التي ضل فيها كثير من أصحاب الفرق.

#### موقفه من الكرامات:

الله يكرم بعضاً من عباده الأولياء الصالحين بإعطائهم الأمر الخارق للعادة وهي الكرامات. والولي هو العبد الصالح التقي كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) (١).

يذكر الشيخ ابن تيمية أن من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري بإذن الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن السلف والصحابة والتابعين إلى يوم (٢) الدين. وقد انقسم الناس في موضوع الكرامات. فمنهم من نفاها وأنكرها نكراً شديداً. وقسم صدقها وغلا في تصديقه، لدرجة اعتقادهم بأن السحر والشعوذة منها. أما القسم الثالث فهم أهل السنة والجماعة، فتوسطوا في حكمهم بين الإفراط والتفريط، ونفوا ما خالف الكتاب والسنة من الدجل والسحر، وأن ذلك من عمل الشياطين.

والفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وتلك سببها الكفر والفجور، وكرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أما أعمال السحرة والشياطين فيستعان بها على الأمور المحرمة.

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٢) الشيخ الفوزان: شرح العقيدة الواسطية ص ٢٦.

ومما لا مجال للشك فيه أن موقف الشيخ محمد هو موقف أهل السنة والجماعة . يقول - رحمه الله - : «وأما الصالحون فهم على صلاحهم رضي الله عنهم ولكن نقول في الدعاء لا يصرف لهم شيء من الدعاء والعبادة . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨)» (١) .

ودعوة الشيخ تحفظ للصالحين حقوقهم ، فالواجب - كما يقول - الإقرار بكراماتهم ، وحبهم ، والترضي عنهم ، لا عبادتهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر على جلبيه إلا الله تبارك وتعالى ، أو يدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر على ذلك إلا الله وحده . ورغم التأكيد على حقوق أولياء الله ، فإنهم يؤكدون أيضاً على عدم الغلو فيهم ، لأنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات أحياء كانوا أو أموات .

## ٢ - رفضه للبدع ومنهج الجاهلية

الإمام ابن تيمية يقول : «إن الدين قائم على أساسين : ألا يعبد إلا الله وألا يعبد إلا بما شرع . . . والشيخ محمد بن عبد الوهاب يرفض كل أنواع البدع ، ويرد على أحد معارضيه بقوله : «أنت تقول بدعة حسنة ، والنبى ﷺ يقول : كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ولم يستثن شيئاً تشير به علينا» .

وابنه عبدالله يقول : «إن البدعة ، وهي التي حدثت بعد القرون الثلاثة مذمومة مطلقاً ، خلافاً لمن قال حسنة وقبيحة ، ولمن قسمها خمسة أقسام . إلا إن أمكن الجمع بأن يقال : الحسن ما عليه السلف الصالح ، شاملة للواجبة والمندوبة والمباحة ويكون تسميتها بدعة مجازاً ، والقبيحة ما عدا ذلك ، شاملة للمحرمة والمكروهة فلا بأس بهذا الجمع» (٢) .

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨ .

(٢) عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/١٣٢ .

وقد ذكر غيره من علمائهم أنهم يفرقون بين المعاملات والعبادات عند الكلام على موضوع البدع، شأنهم شأن بقية الحنابلة، وعلى هذا فلا صحة لما ورد في بعض المؤلفات من أنهم لا يفرقون بينهما. وقد ذكر عبدالله بن الشيخ محمد بعض البدع المذمومة منها:

- ١ - رفع الصوت في موضع الأذان بغير الأذان، سواء كان ذلك آية قرآنية، أو صلاة على النبي ﷺ.
- ٢ - رفع الصوت بالذكر عند حمل الميت، أو عند رش القبر بالماء.
- ٣ - المولد والقراءة للمولد بقصائد بألحان مخلوطة بالصلاة عليه، وبالأذكار والقراءة بعد صلاة التراويح.
- ٤ - صلاة الخمسة الفروض بعد آخر جمعة من رمضان.

### ٣ - موقفه من صرف العبادة لغير الله

الشيخ رفض مناهج الجاهلية، وحاربها حرباً ضارية في دعوته المباركة، وهو يرى أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١١٦).

كما يرى الشيخ أن المشرك في هذا الزمن أشد شركاً من الأولين، لأن أولئك شركهم كان في الرخاء وإخلاصهم كان في الشدة. أما الآن فالشرك في الشدة والرخاء. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (١١٥).

فدعوة الأولياء أصبحت سائدة، وأضرحة المشايخ منتشرة ويدعونهم ويستغيثون بهم في شدتهم ورخائهم. وللشيخ كتاب مطبوع في مسائل الجاهلية، ذكر فيها ما يزيد عن المائة مسألة خالف فيها الرسول الكريم عليه

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

الصلاة والسلام أهل الجاهلية ومناهجهم<sup>(١)</sup> .

إن نهج الشيخ محمد كان واضحاً في رد مناهج الجاهلية وكشفه لبطلانها، وأن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له ملكاً كان أو نبياً مرسلأً، ورسولنا الكريم بعث لينهى أهل الجاهلية عن عبادة غير الله إذ لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup> .

والشيخ ساءه بُعد الناس عن دين الله، وشيوع البدع والخرافات التي في المجتمع، لذلك قام بالجهر بدعوته الإصلاحية المباركة، رافضاً أمور الجاهلية، كاشفاً بأبطلها فاضحاً مسائلها، داعياً للرجوع إلى ما كان عليه السلف، ساعياً لتجريد التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والممنوعات من مثل التوسل بالصالحين والتبرك بالجمادات، وجهر في ذلك مدعماً حجته بالقرآن الكريم والسنة المباركة .

فكان من أسباب النزاع والخلاف بين الشيخ محمد وخصومه إنكاره الشرك ودعوته إلى التوحيد الخالص، وإنكار البدع، وأمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكرات والباطل .

#### ٤ - في التكفير والقتال

واجه الشيخ معارضة حول التكفير والقتال أكثر مما واجهه في بقية مسائل العقيدة . وباستثناء هذين الموضوعين اعترف خصومه بصحة تفسيره لدين الله ورسوله . ويتضح هذا من قوله: «إن غرضه ليس تكفير الآخرين وقتالهم لكن مطالبتهم باتباع ما يعترفون بأنه الحق»<sup>(٣)</sup> .

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أصول الدين الإسلامي، ص ٢٨ .

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨ .

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام (١٥٠/١) .





إن معارضيه وافقوه على وجوب التوحيد واجتناب الشرك، لكنهم لم يوافقوه على اعتبار أمور معينة أموراً شركية، بالإضافة إلى ذلك فإن الموقف بالنسبة للتكفير يعتمد كثيراً على مفهوم المرء للتوحيد والشرك. والموقف تجاه القتال معتمد بدرجة معينة على الموقف بالنسبة للتكفير.

يقول الشيخ: «هناك فصل معين في كتب الفقه يعرف بباب الردة يتناول بصفة خاصة أموراً تؤدي إلى الكفر وتبرر تكفير أي إنسان يقوم بها كما تبرر إعلان رده».

يقول خصوم الشيخ: «إن الإنسان الذي يقرّ الإسلام ويؤدي الصلاة والزكاة يجب ألا يخرج من الإسلام، ويستشهدون بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»». يقولون أيضاً: إن الآيات التي نزلت في عبادة الأوثان زمن النبي ﷺ يجب ألا تنزل أو تطبق بحق هذا المسلم (وهو الذي يدعو الميت أو يذبح له أو ينذر له فلا يجب أن يوصف بأنه كافر أو مشرك وهو يقول كلمة لا إله إلا الله).

ويرد الشيخ بأن الأحكام الموجودة في القرآن خالدة، وقابلة للتطبيق في كل زمان ومكان. وتلك الآيات التي نزلت في المشركين زمن النبوة يجب أن تطبق على كل قوم بما في ذلك من انتسب إلى الإسلام، مادامت الأعمال الشركية المذكورة في تلك الآيات موجودة بينهم. ومجرد الانتساب إلى الإسلام ليس كافياً لمنع أي إنسان من أن يصبح مشركاً، كما أنه ليس كافياً لحمايته من إعلان كفره أو رده.

ويقول الشيخ رداً على خصومه: (وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول عليه الصلاة والسلام ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره. وأكثر الأمة والله الحمد ليسوا

كذلك»<sup>(١)</sup> .

ولقد كتب الشيخ رسالة أوضح فيها تلك الأمور التي تخرج الإنسان من دائرة الإسلام وسماها نواقض الإسلام وهي :

(الأول): الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> ومنه الذبح لغير الله .

(الثاني): من يسأل الناس الشفاعة، ويجعلهم وسطاء بينه وبين الله تعالى .

(الثالث): من يشكك في كفر المشركين .

(الرابع): من اعتقد الكمال في غير هدي النبي عليه الصلاة والسلام .

(الخامس): من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ .

(السادس): من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ ثوابه أو عقابه فقد كفر . قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ<sup>(٣)</sup> .

(السابع): السحر، فمن فعله فقد كفر . قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) الدرر السنية (١/ ٨٢-٨٣) .

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦ .

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦ .

يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا  
شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ (١) .

(الثامن): مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين. قال تعالى:  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ  
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ (٢) .

(التاسع): من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد  
عليه السلام، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام.

(العاشر): الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به. قال تعالى:  
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ  
مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (٣) .

وجميع هذه النواقض يستوي فيها الجاد والهازل والخائف إلا المكره.  
وجميعها من أخطر ما يكون؛ فعلى المسلم الحذر كل الحذر منها؛ هذا هو  
منهج الشيخ في التكفير الموضح وموافقته لأهل السنة والجماعة.

أما القتال فيقول: «قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ  
الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ  
اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ (٤)»، أي  
فتثبتوا؛ فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت قبل القتال، فإذا تبين  
منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله «فتبينوا».

ويقول الشيخ: «وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٢ .

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٤ .

والحرمة، وكذلك من سب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه وكذلك نقاتل عباد الأوثان وتارك الصلاة ومانع الزكاة كما قاتلهم أبو بكر في منعها<sup>(١)</sup>.

ما تقدم يتضح أن منهج الشيخ في هذه المسألة هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن الهدف من القتال والجهاد، هو إظهار دين الله وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له.

### ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يسمى (بالحسبة). وقد أوليت عناية من قبل العلماء والفقهاء من جميع المذاهب والنحل. ولقد ذكر ابن تيمية في كتابه الحسبة في الإسلام أن دين الإسلام مبني على أساسين: الأمر والنهي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى كل مسلم قادر على تنفيذه بصفة خاصة، ويجب أن ينفذ بطريقة مناسبة، حتى لا يؤدي إلى نتائج ضارة. ويعطي الإمام ثلاثة شروط ينبغي توافرها في كل من يقوم بهذا الأمر:

١ - أن يعلم ما هو المعروف وما هو المنكر.

٢ - أن يكون رقيقاً في طريقته.

٣ - أن يكون صبوراً على الأذى.

ويتفق الشيخ محمد وأتباعه مع العلماء في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحثون على ممارسته سواء كلاً من الحاكم أو المحكوم. ولذلك كان القيام به أعلى صفة امتاز بها الحكام السعوديون<sup>(٢)</sup>.

يقول أتباع الشيخ: إنه على كل امرئ القيام به على حسب طاقته لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده

(١) مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية، ص ١٥٨.

(٢) عنوان المجد، ابن بشر (١/١٦٨).



فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». في رسالة للشيخ يقول: «الإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة، فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله»<sup>(١)</sup>. كما أن الشيخ وأتباعه لم يكتفوا بذكر آرائهم حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما قاموا بتنفيذه طبقاً للظروف المتاحة لهم، وعينوا أناساً لتطبيقه والإشراف عليه، ومن واجبات هؤلاء حث الناس على الصلاة جماعة، ومعاينة المتخلف منهم، وعملهم على منع الأعمال المنكرة كشرب الخمر والدخان وغيرها.

#### ٦ - الاجتهاد والتقليد

ومع ذلك نسب إليه أعداؤه وخصومه بأنه يدعي الاجتهاد المطلق، فقال عن ذلك: «وما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشيخ: «وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة»<sup>(٣)</sup>.

إن الاجتهاد يكون ضرورة عندما تتعدد الثقافات والنظم والملل والحضارات، وتكثر العلوم.

أما التقليد فإن الله فرض علينا في أي مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله ورسوله. قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

(١) روضة الأفكار (١/١٥٣).

(٢) مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية (٥/٩٦).

(٣) المرجع السابق (٥/١٠٧).

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٤٧

مِنْكُمْ فَإِن نُنزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾<sup>(١)</sup> ، وخاطب بها المجتهد وغيره، فاعمل بقدر ما تعلم، فإن لم تعرف فقلد أهل العلم وما أجمعوا عليه فهو حق. أما أخذ ما اشتهدت النفس ووجد عليه الآباء وترك ما خالفه من كلام أهل العلم، وغفلته عن كلام الله ورسوله واستهزاؤه بمن طلب ذلك فذلك هو الضلال الذي أنكروا، فهذا هو المنهج الوسط الذي يوافق جميع العلماء.

ومع ذلك فقد تميز الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه بعدة أمور منها: أن اعتمادهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لا يقدمون عليها كلام أحد من البشر لا الإمام أحمد بن حنبل ولا غيره.

ثانياً: أنه جد على أمة الإسلام أمور ونوازل تحتاج إلى معرفة حكمها فاجتهدوا بالعلم وفق القواعد الشرعية وبيّنوا حكم الإسلام في ما جد.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.



## المبحث الثالث

### مراحل الدعوة

بدأت دعوة الشيخ ومرت بعة مراحل . فبدأت أولاً بإنكار ما في المجتمع الإسلامي إنكاراً بالقلب حين رأى صاحب الدعوة منكرات تموج في حياة الأمة الإسلامية فأنكرها، ولكن كيف المقاومة وهو فرد أعزل وسط هذا الظلام الكثيف، وبين هذه الملايين التي تعيش في البدع والمنكرات .

دور الإنكار بالقلب دور لا بد لكل داعية من أن يمر به، والشيخ كان له من قوة الإيمان ما دفع بدعوته إلى الأمام، فبدأ دعوته بداية طبيعية فكان يلتقي رجال الدين فيجهر لهم بما في قلبه من استنكار حال المسلمين وما في حياتهم من منكر العمل والقول .

ففي المدينة التقى الشيخ عبدالله بن سيف، فأخذ من علمه ما شاء الله له، وكشف له الشيخ محمد عن رأيه في كثير من المسائل، وكذلك اتصل بالشيخ السندي فأخذ منه، ثم عاد إلى نجد ولكنه ضاق بما فيه أهلها من جهل الجاهلية الأولى، فشد رحاله إلى البصرة<sup>(١)</sup> .

في البصرة التقى بكثير من العلماء، فأخذ عنهم وأخذوا عنه، ثم جهر بما في نفسه من استنكار للبدع والمنكرات، فاستنكر عليه بعض الأعيان والرؤساء فأذوه، فخرج إلى بلدة الزبير، وكاد يهلك في الطريق، وعاد إلى نجد فوصل إلى الأحساء، ومنها إلى حريملاء التي كان بها والده ومن هنا تحمس الشيخ للدعوة بصورة أكبر، وحث الناس على طاعة الله ورغبتهم في الأعمال الصالحة والأمر بالمعروف والاحتساب على من خالف، كما انتقد

(١) محمد طاهر: الدعوة الوهابية وأثرها (ص ٤٧).

بعض القضاة لأخذهم الأجر مقابل البت بين المتخاصمين، وأن هذه تعتبر رشوة، فناصره البعض ولكن المعارضين كانوا أكثر، مما دعا الشيخ للانصراف لتدريس بعض العلوم الشرعية، والعمل في تأليف كتابه التوحيد.

بعد وفاة والده عام ١١٥٣هـ عاد للدعوة مرة أخرى، فكثرت أنصاره واشتهر، ووفد إليه بعض الأفراد من البلاد المجاورة، إلا أن البيئة لم تكن مناسبة بسبب رفض بعضهم للدعوة، فقرر الشيخ الانتقال إلى العيينة التي هي مسقط رأسه، والتي تأثر أميرها بالدعوة وتوقع المساندة منه والمعاوضة.

وصل الشيخ إلى العيينة، فرحب به أميرها عثمان بن معمر، ووعد بنصره، وتزوج الشيخ عمه الأمير عثمان، فازدادت أواصر التقارب بينهم وبالتالي ازداد عدد المنضمين إلى الدعوة من أهل العيينة، وعقد فيها الدروس العلمية، كما أمر بقطع الأشجار التي كان يتوسل بها الجهلاء، وهدم القباب التي على القبور، كما قام وأمر بالاحتساب ومعاينة المقصرين في الصلاة جماعة في المسجد، وطبق الحدود الشرعية، كما في المرأة التي زنت واعترفت به وتوفرت فيها شروط الرجم<sup>(١)</sup>.

كما أرسل الدعوة إلى البلدان النجدية القريبة، وراسل الزعماء والعلماء خارج العيينة لإقناعهم بالدعوة، فتأثر عدد كثير من وجهاء المناطق، فاشتهر أمر الدعوة، ولكن ذلك الأمر لم يرق لأعداء الدعوة، فاخترعوا الأكاذيب ضدها، وروجوا الأباطيل وبدؤوا يؤلبون العامة والخاصة، فأقنعوا حاكم الأحساء بالضغط على ابن معمر للتخلص من الشيخ فما كان من حاكم الأحساء إلا أن هدد بأنه سوف يقطع عن ابن معمر ما يصل إليه من الأرزاق وغيرها.

(١) ابن غنام: تاريخ نجد (١/٨٠).





ورضخ ابن معمر وطلب من الشيخ البحث عن مكان آخر لدعوته فرحل، وآخر مرحلة وهي أقوى مراحل الدعوة وثباتها، كانت عند وصول الشيخ للدرعية ولقائه بالأمير محمد بن سعود الذي ناصره وأيده، وكذلك ناصره أبنائه من بعده، مما كان سبباً قوياً في انتشار الدعوة وثباتها، وقيام دولة لها هي الدولة السعودية الأولى، وجمعت المسلمين على إمام واحد في الجزيرة العربية.

### أنصار الدعوة من الحكام والعلماء

كان لتأييد حكام آل سعود والعلماء في تلك الفترة أثر عظيم - بإذن الله - في قيامها، ومن ثم الاستمرار والثبات، وذلك بكل ما يملكون وكل حسب قدرته في ذلك. قال سعود ساعدوا على نشرها بقوتهم وحكمهم، والعلماء ساهموا في نشرها وتثبيتها في نفوس الناس عن طريق دروسهم ومؤلفاتهم.

يقول الشيخ ابن تيمية: «وأولو الأمر: أصحاب الأمر وذووه وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمرء فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس، كما قال أبو بكر رضي الله عنه لما سئل: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم...»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «إن الداعي إلى الله عز وجل إذا لم يكن لديه قوة تنصر الحق وتنفضه، فسرعان ما تخبو دعوته وتنطفئ»

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩٨.

شهرته، ثم يقل أنصاره، ومعلوم ما للسلاح والقوة من الأثر العظيم في نشر الدعوة وقمع المعارضين ونصر الحق»<sup>(١)</sup>.

### مناصرة الأمير محمد بن سعود

الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي ولد عام ١١٠٩هـ وتوفي عام ١١٧٩هـ، وتولى حكم الدرعية عام ١١٣٤هـ، وعرف عنه الشجاعة ورجاحة العقل وحب الخير. وقد ساند الشيخ محمد بن عبدالوهاب لانطلاق الدعوة من الدرعية إلى بلدان المسلمين عامة، ذلك هو دأب حكام آل سعود ودولتهم في مناصرة الدعوة الإصلاحية الإسلامية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كما أن دور العلماء والدعاة كان واضحاً قويا التأثير في مؤلفاتهم ورسائلهم ودروسهم، لقناعتهم بأن الدعوة السلفية مرجعها الكتاب والسنة، ومذهب أهل السنة والجماعة.

كان الشيخ محمد يدرك أهمية وجود من يعاضد الدعوة ويناصرها؛ لأنه يستشعر أهمية دور الحاكم في حماية الدعوة وبالذات في مراحلها الأولى، وكان مثله في ذلك رسولنا الكريم عليه الصلاة والتسليم عندما عرض نفسه على القبائل في مكة قائلاً: «ألا من رجل يحملني إلى قومه؟ منعوني أن أبلغ كلام ربي» لذلك كان الشيخ حريصاً على ذلك الاتجاه، وهو الاتصال بمن ينصر الدعوة ويؤيدها.

كانت محاولات الشيخ مع ابن معمر أمير العيينة، الذي كان خائفاً من سليمان آل عريعر حاكم الأحساء، فأخرجه إلى الدرعية فنزل الشيخ محمد

(١) الشيخ ابن باز، الإمام محمد ودعوته وسيرته ٤٢.



ضيفاً عند آل سويلم بالدرعية، والتقى بالأمير محمد بن سعود وإخوته، فرحبوا به وأكرموه .

اهتم الأمير محمد بن سعود بالشيخ محمد، وبشره بالنصرة، وبالجهاد لمن خالف التوحيد، واشترط على الشيخ ألا يغادر الدرعية مستقبلاً بعد نصرتهم له، وألا يعارضه فيما يأخذه من ضرائب سنوية على سكان الدرعية في وقت الثمار. فقال الشيخ للأمير محمد: «أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها، وأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك»<sup>(١)</sup> .

لقد كانت وقفة الإمام محمد بن سعود وحمایته عظيمة الأثر في انتشار الدعوة وتوسع نطاقها، ظهر ذلك في العدد الكبير من الناس الذين وفدوا إلى الشيخ عندما سمعوا بالدعوة .

بدأ الشيخ محمد في مراسلة رؤساء البلدان والقبائل في نجد وإرسال الوفود والعلماء إليهم، لينضموا إلى الدولة الجديدة، ويلتزموا بالدعوة فكانت الإجابة من الأمراء والقبائل طائعين مختارين .

كان هذا بداية الإعلان عن الجهاد في سبيل الله، والإعلان لدعوة التوحيد والإجبار على قبولها وفقاً لأحكام الشريعة، وقد تركزت جهود الإمام محمد بن سعود في الآتي:

١ - حماية الإمام للشيخ للقيام بالدعوة في اطمئنان مما كان له عظيم أثر في كثرة أنصارها .

(١) ابن بشر، عنوان المجد (١/١٢).

- ٢ - القيام بالدعوة إلى الله بالنفس والمال، وذلك بالجهاد في سبيل الله .
- ٣ - المساهمة في نشر العلم وتسهيله وإرسال الدعوة .
- ٤ - الحرص على القيام بكل أحكام الشرع، وإلزام الناس بأداء الفرائض، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٥ - إلغاء الحكم العشائري واستبداله بتحكيم الشريعة .
- ٦ - تنظيم بيت المال تنظيمًا إسلاميًا خالصًا، و صرف الزكاة على مستحقيها في مصارفها الصحيحة .

تلك كانت جهود الإمام محمد بن سعود في الدعوة، وتلك كانت آثارها التصحيحية وظهورها للعالم الإسلامي أجمع<sup>(١)</sup> .

#### جهود الإمام عبدالعزيز بن محمد في الدعوة

كان أحد تلامذة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتزوج إحدى بناته، كما تربطه بالشيخ علاقة قبل حضوره للدرعية. ولد عام ١١٣٣هـ في الدرعية، اشتهر عنه تمسكه بالدين والحزم والشجاعة والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر.

بعد وفاة والده تولى الحكم عام ١١٧٩هـ، وتوسعت الدولة في عهده وشملت معظم مناطق الجزيرة العربية، وقد حارب أعداء الدعوة، وقضى على عدد كبير منهم، ولقد قتل - يرحمه الله - وهو يصلي عام ١٢١٨هـ.

لقد كانت للإمام محمد بن سعود جهود في الدعوة إلى الله تعالى من أهمها:

أ - المحافظة والسير على درب والده في التمسك بالشريعة ونصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومساعدته على نشر الدعوة في مناطق حكمه،

(١) العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، وعنوان المجلد (١/١٢) وتاريخ نجد (١/٨١).



والمناطق المجاورة لها.

ب - ساعد على وجود حركة علمية واسعة بتخصيص رواتب شهرية تصرف لجماعة العلم المتفرغين والملازمين لدروس الشيخ.  
ج - عمل على مراسلة البلدان الإسلامية، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان حريصاً على رد الأباطيل ضد الدعوة، مما يدل على سعة علمه ومداركه<sup>(١)</sup>.

د - لقد استطاع توسيع نطاق الدعوة وعمل على إقامة علم الجهاد، وبذلك استطاع فتح كثير من المدن حتى وصل إلى مدينة كربلاء في العراق.  
هـ - استطاع أن يوطد أمن البلاد والمناطق التابعة له، وبذلك انخفضت الجريمة، والمناوشات والاعتداءات بين القبائل.

تلك هي أبرز جهود الإمام عبدالعزيز بن محمد - يرحمه الله - في الدعوة، مما ساعد على توسعها وثباتها.

#### جهود الإمام سعود بن عبدالعزيز

ولد الإمام سعود في الدرعية عام ١١٦١هـ وهو من تلامذة الشيخ. كان عادلاً شغوفاً بالعلم، عالماً فصيحاً وقوي الشخصية، وقد قاد الجيوش في عهد والده، مما أدى لامتداد الدولة في عهده شمالاً حتى الشام، وجنوباً حتى حدود اليمن، ومن الخليج شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً.

استطاع بدهائه وحنكته أن يوطد الأمن في كل مناطق الدولة، وأسند مسؤولية الأمن إلى كل أمير منطقة أو ناحية، أو شيخ قبيلة على أن يكون كل منهم مسؤولاً مسؤولية كاملة عن الأمن في منطقتة، والمساعدة جميعاً لمنع الجريمة.

(١) ابن بشر، عنوان المجد (١/١٢٦)، والعثيمين (١/١٠٠ - ١٠٤).

## من أبرز جهوده في الدعوة

- ١ - ساهم في نشر العلم وتخصيص أجور شهرية للمعلمين .
- ٢ - تميز عهده بالأمن والاستقرار، بتحكيمة للشريعة الإسلامية وقوة شخصيته، والعدل الذي ساد، مع انتشار العلم بين الناس .
- ٣ - جمع مكتبة ضخمة فيها شتى العلوم المختلفة، مما أفاد الناس وسهل لهم الدرس ونشر العلم .
- ٤ - السير على طريق والده، مستمسكاً بالدعوة ناصرأ لها، وناشراً الجهاد في سبيلها، متوسعاً في فتوحاتها به<sup>(١)</sup> .

كانت تلك الجهود امتداداً لجهود والد الإمام سعود وجده في الدعوة، واستكمالاً لمسيرة النصر والأمن وتوسع الدولة - رحمهم الله جميعاً - .

## جهود الإمام تركي بن عبدالله ونصرته للدعوة

ولد الإمام تركي عام ١١٨٣هـ، وهو مؤسس الدولة السعودية الثانية، وواجه بعض الفتن والصعوبات داخلياً وخارجياً، وقد أعانه على إقامة الدولة بعض البلدان الداعية إلى التوحيد .  
كان الإمام تركي متمسكاً بتعاليم الدين، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عادلاً شجاعاً، قائداً حكيماً وفارساً شجاعاً، وقد كان له تأثير وجهود في الدعوة إلى الله منها :

- ١ - كان حريصاً على تعاليم وشعائر الإسلام، ملزماً للناس بالصلاة جماعة، مانعاً للربا حائثاً على أداء الزكاة، محذراً من الظلم .
- ٢ - كان قوياً في تطبيق مبادئ الدعوة الإصلاحية، معيناً للعلماء وأبناء وتلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب لنشر الدعوة<sup>(٢)</sup> .

(١) العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية (٣/١٥٤). العثيمين: تاريخ المملكة (١/١٤٩).

(٢) العثيمين، تاريخ المملكة (١/٢١٩) والعجلاني: الإمام تركي بن عبدالله (ص ٢١ - ٥٢).



٣ - عندما عاد الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب من مصر ١٢٤١هـ وولاه الإمام تركي الشؤون الدينية في الدولة، مما يدل على تمسك الإمام تركي بمبادئ الدولة، والحرص على علاقته بأحفاد الشيخ محمد.

ومع انتشار الفتن والاضطرابات التي شهدتها عهد الإمام تركي فنجدته لم يتوان في نصره الشيخ، ومساندة الدعوة وتخصيص الدعم لها.

#### جهود الإمام فيصل بن تركي

ولد الإمام فيصل عام ١٢٠٣هـ في الدرعية، وقد رحَّله الأتراك إلى القاهرة ثم عاد عام ١٢٣٣هـ، وتولى الشؤون العسكرية، والقيام بالجهاد، وأصبح مساعداً لوالده وتولى الحكم بعد وفاة والده عام ١٢٥٠هـ.

عرف الإمام فيصل بشدة تمسكه بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان شجاعاً متواضعاً شديد الذكاء.

في عام ١٢٥٤هـ حاولت الدولة العثمانية القضاء على حكمه فأصدرت فرمانها الملزم لوالدها على مصر حينئذ بهذا الخصوص فقام بأسر الإمام وأخذه إلى مصر، وأفرج عنه عام ١٢٥٦هـ وعاد إلى نجد فناصره أتباعه وأعانوه حباً له ولأسرته المباركة، وتم له ذلك عام ١٢٥٩هـ. واستمر في الحكم حتى وفاته ١٢٨٢هـ.

أما جهوده في الدعوة فقد كانت على الوجه الآتي:

- ١ - اهتم كثيراً بالشعائر الإسلامية والحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبسط الأمن.
- ٢ - إنشاء مجلس للشورى وتنظيمه له، لمناقشة شؤون الأقاليم والسكان واحتياجاتهم<sup>(١)</sup>.

(١) ابن بشر، عنوان المجد (٢/١٠٣).

٣ - واصل تأييده ومساندته الكاملة للدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، ومساعدة العلماء ومناصرتهم في سبيل الدعوة واستمرارها.

لقد استطاع الإمام فيصل بن تركي، بوقفاته تلك ومحبه لأهل الدين والعلماء، وتمسكه بأحكام الشرع الإسلامي أن يدفع الدعوة إلى الأمام، وأن يثبتها في قلوب الناس. وبعد ذكر لأبرز أئمة آل سعود المناصرين للدعوة نذكر أبرز علماء الدعوة الإصلاحية:

#### ١ - الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

ولد الشيخ عبدالله في بيت والده عام ١١٦٥هـ، ونشأ نشأة دينية حفظ فيها القرآن، وطلب العلم على يد والده حتى ضلع في مختلف العلوم الشرعية والعربية والتفسير وأصوله والعقيدة.

خلف والده بعد وفاته، فكان خير خلف لخير سلف، ودافع عن الدعوة وذبَّ عنها، وبين استنادها على الكتاب والسنة، واستمر على هذا النهج حتى داهمت الدولة العثمانية - التي خافت على سلطتها من هذه الدولة الجديدة - دولة الحق، فحاصرت الدرعية، ونقلت أفراداً من آل سعود وآل الشيخ ومنهم الشيخ عبدالله إلى مصر فبقي هناك حتى توفي عام ١٢٤٤هـ<sup>(١)</sup>.

ساهم كثيراً في نشر الدعوة من خلال رسائله الإرشادية والتعليمية. ومن كتبه السيرة النبوية، الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، وجواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة الزيدية.

(١) عبدالله البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/١٦٩).





## ٢ - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حصين

ولد - رحمه الله - عام ١١٥٤هـ في شقراء، وتلمذ على يد قاضي البلدة الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالله الأشيقرى، وانتقل بعدها للدرعية وطلب فيها العلم على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما عين قاضياً في شقراء.

تعلم - رحمه الله - عدة علوم منها: الفقه والحديث، والأنساب والتاريخ، وتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ. كان الشيخ عبدالعزيز ورعاً زاهداً لا يخشى في الله لومة لائم في قوله حق<sup>(١)</sup>.

طلب شريف مكة من الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود أن يرسله ليناظر علماء مكة، فذهب إليها وعاد منها بعد أن بين صحة الدعوة، وأثبت حقيقتها بمنهجها وما تدعو إليه من عقيدة التوحيد، وقد كانت له مساهمات في نشر الدعوة إلى أن توفي عام ١٢٣٧هـ - رحمه الله -.

## ٣ - الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

ولد الشيخ عبدالرحمن عام ١١٩٣هـ بالدرعية، ونشأ في بيئة دينية عند جده الإمام محمد بن عبدالوهاب، وتعلم على يديه وحفظ القرآن، وكان حريصاً على طلب العلم، كما لازم الشيخ عبدالله بن محمد، والشيخ حمد بن معمر، والشيخ حسين بن غنام.

عمل قاضياً في الدرعية ثم مكة، وكان يعمل في مهنة التدريس، ولكنه رُحِّل مع من رُحِّل من أسرته إلى مصر على يد إبراهيم باشا عند استيلائه على الدرعية، وفي مصر ازداد من العلوم المفيدة في الأزهر الشريف، على يد كبار الأئمة، منهم الشيخ محمد الجزائري، وإبراهيم العبيدي.

(١) المرجع السابق (٢/٣٤١).

وعاد إلى بلاده في عهد الإمام تركي بن عبدالله عندما استعاد الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤١هـ، وأكرمه الإمام ورحب به وظل مسؤولاً عن الأمور التعليمية والشرعية<sup>(١)</sup>. وللشيخ عدة كتب منها:

١ - مختصر العقل والنقل .

٢ - قرّة عيون الموحدين .

٣ - فتح المجيد .

٤ - القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس .

كما كانت له عدة آراء ومواقف، ساهم بها في نشر الدعوة إلى أن توفي عام ١٢٨٥هـ بالرياض .

٤ - الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الباطين

ولد الشيخ عبدالله عام ١١٩٤هـ بروضة سدير، وطلب العلم بها على يد قاضي البلدة الشيخ محمد الدوسري، ثم انتقل إلى شقراء حيث الشيخ عبدالعزيز الحصين، ومنها إلى الدرعية ليزداد من العلم، فكان فقيهاً عالماً، ولذلك عينه الإمام سعود قاضياً على الطائف، ثم تولى بعد ذلك القضاء في عدد من البلدان، ومن أبرز كتبه التي ساهم بها:

١ - مختصر بدائع الفوائد لابن القيم .

٢ - حاشية على شرح المنتهى .

٣ - تأسيس التقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس .

توفي - رحمه الله - عام ١٢٨٢هـ في شقراء<sup>(٢)</sup> .

٥ - الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

ولد الشيخ عبداللطيف عام ١٢٢٥هـ بالدرعية، وسافر مع أسرته إلى

(١) المرجع السابق (٣/٤٥٤).

(٢) المرجع السابق (٤/٢٢٥).



مصر، وطلب العلم على يد علمائها في الأزهر، وبقي فيها ما يزيد على ثلاثين عاماً، ونهل كذلك من معارف والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.

عاد الشيخ عبداللطيف إلى نجد عام ١٢٦٤هـ فأرسله الإمام فيصل للأحساء لمناظرة علمائها، وظل مجاهداً في الدعوة إلى أن توفي عام ١٢٩٣هـ، ومن أبرز مؤلفاته:

- ١ - البراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية.
  - ٢ - مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام.
  - ٣ - تحفة الطالب والجلس في الرد على ابن جرجيس.
- وله رسائل كثيرة منها الرسائل التعليمية والوعظ، وقد انتفع بها خلق كثير.

#### ٦ - الشيخ حمد بن عتيق

ولد في الزلفي عام ١٢٢٧هـ، حفظ القرآن وبعض العلوم الفقهية، ثم انتقل إلى الرياض للاستفادة من علم الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وغيرهما، ثم عين قاضياً في الخرج والدلم ثم حوطة بني تميم، واستقر في الأفلاج، ومن أهم مؤلفاته:

- ١ - رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
  - ٢ - إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد.
  - ٣ - الدفاع عن أهل السنة والاتباع.
- كما أن له رسائل كثيرة في التعليم والوعظ، ساهمت كثيراً في نفع طلاب العلم.

توفي الشيخ حمد - رحمه الله - بالأفلاج عام ١٣٠١هـ.

## الفصل الرابع

# جهود الملك عبدالعزيز في الدعوة





## المبحث الأول

### حال الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز

#### ١ - الحالة الدينية:

لم يكن حال الجزيرة العربية بأحسن من غيرها من البلاد الإسلامية قبيل عهد الملك عبدالعزيز، فوهن العقيدة وتفشي الجهل والبدع... إلخ جعلها في المؤخرة مع غيرها من بلاد المسلمين، لولا ذلك الأثر الطيب لبعض أهل الجزيرة، وفي مقدمتهم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي غير كثيراً من العقائد المنحرفة، بمساعدة قوة آل سعود وتأييدهم لدعوته، كما ذكرنا سابقاً. أضف إلى ذلك وثنية القبور التي أتى بها الفاطميون، وصرف شيء من العبادة لغير الله، وغيرها من البدع والخرافات والوثنية التي انتهت في عهد الملك عبدالعزيز الذي تعهد بتجديد الدعوة وتوحيد البلاد<sup>(١)</sup>.

لقد كان لحب الناس للدين وعظمتهم في نفوسهم واحترامهم للعلماء دور كبير في التحول العقدي والسلوكي.

#### ٢ - الحالة العلمية

كان هنالك القلة من العلماء الذين يعتمد عليهم في حلقات الدروس العلمية، كما عرفت الرحلة في طلب العلم، وقد تميز وسط الجزيرة بصفاء العقيدة واستقامة المنهج، كما كان العلماء يتمتعون بذاكرة قوية للحفظ، وكان من الملاحظ قلة العلماء في القرى، وكانت نسبة الأمية عالية، نسبة لانشغال الناس بكسب العيش وصعوبة التنقل طلباً للعلم. ومن أهم الكتب

(١) عثمان بن بشر: عنوان المجد (ج ١/ ٣٩٠).



التي كانت تدرس: الأصول الثلاثة، متن الآجرومية، عمدة الأحكام، متن الرحبية، وأهم علومهم التوحيد، لكن الفتن التي حدثت في البلاد في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر أصابت الدعوة بنكسة أثناء غياب آل سعود. وقد وصف الشيخ سليمان بن سحمان ما آلت إليه الحالة الدينية والعلمية في قصيدة طويلة منها:

على الدين فليك ذوو العلم والهدى  
فقد طمست أعلامه في العوالم  
وقد صار اقبال الورى واحتياهم  
على هذه الدنيا وجمع الدراهم  
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى  
على قلّة الأنصار من كل حارم<sup>(١)</sup>

### ٣ - الحالة السياسية

عند سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ عمت الفوضى والتناحر والحروب، وقد تمكن الإمام تركي بن عبدالله من إعادة البناء، فوحد نجد والأحساء، ثم حدث خلاف بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي، وبالتالي تجرأت القبائل والبلدان وخرجت على طاعة الدولة. وفي عام ١٣٠٥هـ استولى محمد بن رشيد على الرياض، مما اضطر الإمام عبدالرحمن لترك الرياض متجهاً إلى الكويت عام ١٣٠٩هـ، وآلت نجد لآل رشيد.

في هذه الفترة عاث الأعراب في نجد والأحساء فساداً؛ لأن السلطة كانت غير منظمة، وكان على الحجاز الشريف حسين تابعاً للأتراك، فالبلاد محتاجة لقيادة قوية تقيم الأمن والعدل بين الناس، كذلك الحال في كل من عسير وجيزان، فانتشر الجهل وعمت الفوضى والحروب بين القبائل<sup>(٢)</sup>.

(١) سليمان بن سحمان، ديوانه ص ٤٥٨.

(٢) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود ص ٢٠.

وكانت الدول الغربية تخطط، وتنتظر لافتراس ما بقي من العالم الإسلامي، وكانت الجزيرة العربية هي الهدف، ولكن الملك عبدالعزيز - بعون من الله - استطاع أن يقيم دولة إسلامية بقرار إسلامي، فما إن جاء عام ١٣٤٩هـ - إلا وكانت له السيطرة الكاملة على هذه البلاد، وأعلنت المملكة العربية السعودية، وشعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله .

#### ٤ - الحالة الأمنية

كما سبق وذكرنا أن الأمن كان مفقوداً قبل ظهور الملك عبدالعزيز، وكذلك النهب والسلب والقتل كانا سمة تلك القبائل قبل التوحيد، وكانت الانقسامات والتجزئة القبلية والحروب الأهلية والغزوات من الأمور الشائعة في زعزعة الأمن، فكان ذلك مانعاً عن طلب العلم إلا القليل في المدن؛ لأن الحالة الأمنية كانت متردية وكان التنازع في المرعى والأخذ بالثأر كل هذه نماذج لصورة واضحة في الجزيرة قبل تولي الملك عبدالعزيز<sup>(١)</sup> زمام الأمور.

#### ٥ - الأحوال الاجتماعية والاقتصادية

كانت القبائل مسيطرة على مراعيها وموارد مياهها، وكان هذا هو نظام الحياة القبلية، لذلك سيطرت روح الغزو والمنازعات، وكان المنطق الوحيد للسلطة هو القوة، وكانت الغارات لا تنقطع واللصوص وقطاع الطرق منتشرين. أما سكان وسط الجزيرة فكان معظمهم من البدو الرحل، وبعضهم الآخر يعيشون في مدن صغيرة حول الواحات عموماً، لقد كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية للغاية والقوت الرئيسي هو التمر<sup>(٢)</sup>، كما كانت هناك بعض أزمات في المعيشة مما كان يضطر بعضهم للهجرة للتجارة إلى الشام ومصر والعراق.

(١) فهد المارك: من شيم الملك عبدالعزيز ج ٣ ص ١٦٣ .

(٢) جرجي زيدان: تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥ .





أما في الحالة الصحية فقد انتشرت الأمراض والأوبئة، وكانت تعالج بالنار والأعشاب، أما منطقة الحجاز فقد كان مركزها الديني والتجاري يجلب لها المال، فهي أكثر غنى من بقية مناطق الجزيرة.

## المبحث الثاني

### سيرة الملك عبدالعزيز

#### نسبه

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (الذي تنتسب إليه الأسرة السعودية) بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، من بني حنيفة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وقد أسس مانع المريدي بلدة الدرعية على ضفاف وادي حنيفة عام ٥٨٠هـ<sup>(١)</sup>.

بدأ تاريخ هذه الأسرة بالظهور عام ١١٥٨هـ بالتقاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالأمير محمد بن سعود متعهدين على نصر الدعوة إلى دين الله، وبذلك قامت الدولة السعودية الأولى، ثم حدثت خلافات بين أبناء الإمام فيصل بن تركي أدت إلى انحسارها إلى أن عادت دعائمها على يد الملك عبدالعزيز ١٣١٩هـ.

#### مولده ونشأته

المشهور في ذلك أنه ولد عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، إلا أن الزركلي رجح مولده في ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. وهذا ما يدل عليه واقع الأحداث. لقد اهتم الإمام عبدالرحمن بتربية ابنه عبدالعزيز تربية دينية شاملة على دراسة القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وتلقى بعض مبادئ الفقه والتوحيد. وعندما بلغ أشده وضع عبدالعزيز لحياته نظاماً دقيقاً يراعى مصالح الدولة وينظمها، وجمع بين تعاليم الدين وإدارة أمور الدولة، وتدريب على استعمال

(١) ابن بشر: عنوان المجد (١٢/٢).



السيف، والوثوب على ظهور الخيل، واستعمال البندقية. وقد حباه الله ببنية قوية وقامة مديدة، وكان يشارك في الصلح بين القبائل وهو في الثالثة عشر من عمره، وشهد في صباه خلافات ونزاعات ومعارك، أدت لفقدان الملك وضياع الوطن فكان لها بالغ الأثر في نفسه<sup>(١)</sup>.

ابتعد الإمام عبدالرحمن من الرياض، وكانت فترة طيبة لعبدالعزیز ليتمرس ويخالط فرسان البادية، ويتعلم منهم أعمال الفروسية.

#### أبرز أعماله في تلك الفترة

أرسله والده إلى البحرين وقد نجح في مسعاه، ثم بعد ذلك أرسله إلى الأحساء للمتصرف العثماني للسماح له بالإقامة في الأحساء، ولكنه لم يفلح هذه المرة، ثم أرسله إلى أمير قطر الشيخ جاسم، فأجابه مرحباً، فانتقل الجميع إلى قطر عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. ليملكوا فيها أربعة أشهر، ثم منها إلى الكويت والتي أقاموا فيها تسع سنوات، فكسب الملك عبدالعزیز الحنكة والخبرة السياسية في تلك الفترة، وكان يعمل في هذا الوقت على استرداد ما فقد.

وهنا يجدر بنا أن نذكر بعض العوامل التي كان لها أثر في تكوين شخصيته، ومنها: النشأة الدينية، والتمسك بالعقيدة والقرآن وتطبيقهما على نفسه قبل الرعية، لذلك كان التوفيق له من عند الله. كما لا ننسى الأثر البالغ الذي تركته المحنة التي مر بها مُلك آبائه، فزادته صلابة وقوة إرادة وشحذت همته<sup>(٢)</sup>. ومن العوامل أيضاً التي أثرت في تكوين شخصية عبدالعزیز سكناه البادية مع آل مرة والعجمان، فكسب صلابة العود وفنون القتال والفروسية، وإجادة الكر والفر، كما أن إقامته في الكويت على مقربة

(١) الزركلي: شبه الجزيرة (٥٩).

(٢) المرجع السابق: ص ٦٢.

من موقع المسؤولية وصنع القرار الإداري والسياسي جعله يطلع على كيفية إدارة شؤون الدولة وحنكته سياسياً، وعرف كيف يتعامل بمهارة مع الدول الكبرى فحظي باحترام الجميع.

### صفاته

أكرم الله الملك عبدالعزيز بعدة صفات تناولتها أقلام الباحثين، وحظيت باهتمامهم. فقد آتاه الله بسطة في الجسم، ووهبه عقلاً قوياً وفكراً متقدماً، وبديهة حاضرة، وقلباً يسع كل الرجال، ولساناً فصيحاً، وقولاً سديداً، ويداً سخية لا تعرف للمال قيمة، وقلباً مملوءاً بالعلم والحكمة، والبساطة والسهولة في الطعام والكلام واللباس<sup>(١)</sup>.

### أ - تدينه:

لقد تعلم عبدالعزيز - منذ صباه - الآداب الشرعية، ولم تكن صلته بالله مقرونة برغبة دنيوية، فعقيدته خالصة. ولذلك كان التوفيق حليفه في أعماله. ومن أهم ثمرات تدينه أخذه بمبدأ الشورى.

### ب - الكرم والشجاعة

كان عبدالعزيز ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر بلا تقييد، ولا يخفى ما للكرم من أثر في النفوس، حتى قيل إن عبدالعزيز يستولي على أهل البلاد بسخائه لا بسلاحه، وكثير من الأمثلة في هذا المجال. كما أنه لا يخفى علينا كثرة المعارك التي خاضها، والفتوحات التي تمت على يده، مما يدل على شجاعة نادرة، ودليل المؤرخين على ذلك هو فتحه للرياض في تلك الظروف<sup>(٢)</sup>، وشعاره كان عندئذ، إما الموت فوق التربة، وإما أن يكون سيد البلاد، كذلك في موقعة الحريق، وحماسه لجنوده بالنصر أو الشهادة كان حافزاً لانتصاره، ولقد كان تواضعه يجعله يقول: «إن ما وهبني الله لم يكن

(١) محمد الفقي: أثر الدعوة الوهابية، ص ١١٠.

(٢) فهد المارك: من شيم الملك عبدالعزيز (٧٥/٣).



بسبب قوتي، بل بسبب ضعفي وقوته سبحانه».

### ج - عدله

اتسم تعامل الملك عبدالعزيز مع الناس بمختلف مقاماتهم بالنزاهة التامة، والصراحة والعدل. ومنذ تأسيس الدولة جعل لكل شخص الحق في الشكوى والمظلمة، والويل لمن يمنع شاكياً أو سائلاً أو مظلوماً، وكان يقيم الحق على أي شخص صغيراً أو كبيراً، حتى لو كان من أبنائه وإخوانه<sup>(١)</sup>.

### فراسته عقله

لقد حبا الله عبدالعزيز بالذكاء والفتنة، والاستعداد الفطري لاستيعاب كل ما يقرأ أو يفكر، فكان حاضر الذاكرة والإدراك، وكان حافظاً عالماً بمعظم قبائل مملكته، بطونها وأفخاذها، وتقاليدها وتواريخها، ويعرف البدو ومناطقهم بمجرد حديثهم معه.

### عفوه

من أبرز شيم الملك عبدالعزيز العفو والذي كان يتبعه بالإحسان، وهو أقرب للعفو منه للعقاب. فكان يعفو عن الزعماء الذين انتصر عليهم، ويحسن إليهم فيكسب ودهم وولاءهم واحترامهم، وكان عفوه هذا يزيل من النفوس المغلوبة آثار القهر والذل، ويستحوذ على قلوب الخصوم<sup>(٢)</sup>.

### الحكمة والتواضع

منهج عبدالعزيز أن يقود شعبه بقلبه، وإذا استحكمت الأمور ساسها بفكره ورأيه قبل سيفه، وكان من الأمثلة على ذلك يوم أرسى أول لبنة في بناء المملكة يوم فتح الرياض، ولم يسفك دماً، ولم يستل سيفاً، لأنه يتجنبها إلى أبعد الحدود.

(١) حمد الحقييل: عبدالعزيز في التاريخ ص ٣٢.

(٢) المانع: توحيد المملكة، ص ٣٣٠.

أما تواضعه فمع أنه كان قادراً على الترفع، فإنه لم يندفع أمام مغريات الحياة، فلقد كان ملبسه كما كان سابقاً، وعاش في قصره ولم يحدث فيه تغييراً، ولم يرض أن يبنى له قصر من حجر، فلم يغيره المال ولا مباحج الحياة، وكان أكله عادياً وهو ما اعتاد عليه في السابق<sup>(١)</sup>.

### السرية والكتمان

كان في استطاعة الملك أن يخفي خطته حتى من أسرته ومستشاريه، لهذا لم ينجح أحد في تسريب خطته للأعداء، وخذلان الجواسيس من أعدائه باليأس. هذه بعض صفات الملك عبدالعزيز، وبها أكرمه الله ووطد له أركان الدولة وجعل عهده سعيداً عامراً بالأمن<sup>(٢)</sup>.

### حنكة الملك عبدالعزيز ومقدرته الفكرية والإدارية

تشكل شخصية الملك عبدالعزيز تاريخاً سياسياً وإدارياً كاملاً لا للدولة السعودية فحسب، بل للعالم الإسلامي كله؛ ولأنه أراد إعلاء كلمة الله، وحفظ دينه وإظهاره، فقد وفقه الله لمصلحة المسلمين في الوقت المناسب والمكان المناسب والحال المناسب. فقد جاء في ظروف كثر فيها العدا والتناحر بين مختلف القبائل، فاستطاع أن يؤلف بين القلوب داخلياً، ويوظف الخلافات الدولية لخدمة الدعوة الإسلامية.

يقول أحمد عطار: «لم يجتمع لأحد من حكام العرب وقادتهم ما اجتمع لابن سعود من الصفات الفاضلة والحنكة الإدارية، فهو بحق القائد العربي الأول الذي دان له كل جبار عنيد رغبة ورهبة، وليس الإعجاب به مقصوراً على أتباعه وأهل لغته ودينه بل يتجاوزهم إلى بني الإنسان من كل لغة ودين وجنس»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأحيديب: من حياة الملك عبدالعزيز، ص ٤١.

(٢) الفقي: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني، ص ١١٣.

(٣) أحمد عبدالغفور عطار، صقر الجزيرة، ج ٧، ص ١٣٧٣.



ومن حنكته السياسية أنه استطاع أن يمشي إلى مقاصده السياسية مشياً متزناً، فوسعه أن يسالم جيرانه، ويفرض احترامه وتقديره على الدول الأوربية، حتى نشبت الحرب العالمية الأولى فأعلن الحياد، فسلم وسلمت بلاده، واستطاع أن يقوي العلاقات بينه وبين الدول بتنمية أواصر المودة والإخاء.

أما مقدرته الإدارية فيشهد لها ما وصلت إليه المملكة من تطور ونمو سريع في المجالات الثقافية والصناعية والاقتصادية والزراعية، وسائر مجالات الحياة، مع أنه يصعب إدارة المملكة ذات المساحة الواسعة، وحديثة العهد بالوحدة حيث بقايا رواسب الإمارات، والدويلات السابقة، هذا مع عدم توافر أساليب الإدارة الحديثة جعل من مهمة إدارة البلاد مهمة صعبة.

لكن عبدالعزيز وُهب من المقدره الفكرية ما أهله لضبط حركة الحياة فيها مستمداً فكره الإداري والسياسي من أصول العقيدة ومبادئ الشريعة، فقد عرف ابن سعود التخطيط وهو أحد أهم عناصر الإدارة الحديثة حينما كان ينادي «الأناة - الأناة - الرأي - الرأي»، فهو يحقق أهدافه بالتخطيط وإمعان الفكر، وكذلك التنظيم فهو عنصر آخر من عناصر الإدارة لا يقل أهمية عن التخطيط.

لقد كان الملك هو مرجع كل السلطات، وهو الذي شكل الديوان الملكي ونظم مجلس الشورى، ونظم الجيش وسلحه، كما نظم العلاقات الخارجية مع إخوانه العرب والمسلمين والبلاد الأجنبية، بما يحفظ للمملكة استقلالها استمداً من التعاليم الإسلامية.

وطبق الملك عبدالعزيز سياسة الباب المفتوح، وكتب منشوراً علق بالحرم النبوي الشريف، جاء فيه: «على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه أن يتقدم بالشكوى إلينا، ولا أريد يوماً أن أسمع عن مظلوم، ولا

أريد أن يحملني الله وزر أحد».

معرفته بأحوال سكان الجزيرة العربية

ولد عبدالعزيز في نجد ونشأ على تراثها، ولم يخرج من بلاد العرب، وعرف الاعتبارات السائدة، والمفاهيم المتعارف عليها بين أهل جزيرة العرب. إن المناخ الذي كان سائداً في هذه المنطقة - بما له من إيجابيات وسلبيات - يؤثر بشكل مباشر في حياة الناس ويميزها بطابع مميز، كالصبر، وشدة التحمل والكرم، والشجاعة والوفاء... إلخ، إلى جانب سلبياته المتمثلة في الحاجة والشح في الرزق، والسلب، والنهب. ولقد كانت معظم هذه العادات لها جذور موروثية.

لقد كان الملك عبدالعزيز عالماً بكل قبائل مملكته<sup>(١)</sup>، بطونها وأفخاذها وتواريخها، وعاداتها، كما كانت له دراية بالطرق والشعاب الممتدة داخل المملكة، فضلاً عن وجود النية الصادقة لتوحيد المملكة ونشر الدعوة، والتي فرضت عليه كثرة الحل والترحال، وخبرته بالطرق والمسالك التي يسلكها في فتوحاته.

وابن سعود يفهم نفسية البدو، ويعالج أمورهم بالحزم والرفق بما خبره من طبائعهم وهو ابن البادية، وكما يقول: «مثل هذه البادية في حياتها، كمثل أرضها تظل قاحلة إلى أن يسقيها الغيث، فإذا سقيت اخضرت وأزهرت».

مقدرته على كسب طاعة أمراء القبائل والبلدان

لم يكن باب الملك عبدالعزيز يغلق، فقد كان مفتوحاً دائماً لاستقبال رعاياه في كثير من أوقات النهار والليل، وقد وهبه الله اللين في القول وصدق السريرة، وهذا مكنه من الظفر بقلوب الأمراء، والفوز بمكانة

(١) المانع، توحيد المملكة، ص ٣٣٠.





مرموقة بين شيوخ القبائل لما رأوه عن قرب من الخصال الطيبة. فكانوا يثقون به بسبب خلقه، وإحسانه العميم، والإخلاص في معاملته. يقول في أحد لقاءاته: «يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه ويقول ما يعتقد فيه المنفعة فهذا أمر واجب لأن مجال البحث والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة، فعلى الإنسان الاجتهاد، وبالله التوفيق»<sup>(١)</sup>.

كما يقول أيضاً: «إنني أفخر بمن خدم الإسلام والمسلمين، وأعتر بهم وأخدمهم وأعطيتهم وأساعدهم، وإنني أمقت كل من يحاول الدس على الدين وعلى المسلمين، ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة».

نتيجة لهذا الحب وهذه الثقة المتبادلة بينه وبين الأمراء أصبحوا جنوده المخلصين وسواعده القوية، فانطلق بهم بعدما قرت عينه بجلوسه مجلس الآباء والأجداد، وبعدهما أعاد للبيت السعودي مكانته وجدد مفاخره. لقد استطاع بمنطقه القوي أن يقنع عظماء القبائل في غزوته الأولى على الرياض حتى انقلبوا أنصاراً قلباً وقالياً<sup>(٢)</sup>.

### إصراره على نشر الدعوة

كان كل فكر عبدالعزيز وطموحه هو الانتصار للإسلام ورفع راية التوحيد عالية خفاقة على الجزيرة، والحكم بالشرعية الإسلامية والسنة، واتباع السلف الصالح، ونشر العدل بين الناس، وإقامة الحدود. إنه لم يكن طالباً للملك والجاه، بل كان صاحب مبدأ وهدف، فهو يعرف رسالته الإسلامية تمام المعرفة ويوصي بها أولاده، وكان من وصيته لولي عهده: «واعلم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا وقوتنا وإنما منَّ به الله علينا بسبب كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله»<sup>(٣)</sup>.

(١) فؤاد شاكر، الملك عبدالعزيز سيرة لا تاريخ، ص ١١٢، ط ٢.

(٢) أحمد عبدالغفور عطار، صقر الجزيرة، ج ٧، ١٣٨٥.

(٣) القصيمي، الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم، ص ٢٣.

الملك عبدالعزيز كان لا يولي أميراً على بلد أو جيش أو قاضياً إلا ويوصيه بتقوى الله والتزام الإسلام، والدعوة إليه وكان يقول: «عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعرة، الأول: كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والثاني: هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة وأعزهم به بعد الذلة، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه»<sup>(١)</sup>.

(١) محمد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح في جزيرة العرب، ص ١١٠.



## المبحث الثالث

### تأسيس الدولة

كانت الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز لتوحيد أجزاء الدولة جهوداً غير عادية، وقد استغرق مداها أكثر من ربع قرن بعزيمة وقوة وإيمان، فتغلب على المصاعب التي توهن العزائم، وقد مرت أعمال التأسيس والتوحيد بعدة مراحل، كل مرحلة لها ملامحها الخاصة، وبالتالي فقد قسمناها إلى ثلاث مراحل هي:

#### أ- المرحلة الأولى:

وتشمل الفترة من فتح الرياض ١٣١٩هـ حتى انضمام حائل ١٣٤٠هـ. كان استيلاء الملك على الرياض ١٣١٩هـ من أهم الإنجازات، وتعد حجر الأساس لهذا الملك الواسع. وكان قد دخل الرياض عام ١٣١٨هـ. ولكنه عاد أدراجه عندما علم بهزيمة مبارك الصباح في وقعة الصريف، ولكنه لم يفت في عضده هذا التراجع، بل زاد عزمه على معاودة الكرة إلى الرياض<sup>(١)</sup>.

خرج عبدالعزيز - بعد إذن والده - متجهاً إلى الرياض، مموهاً بإخفاء هدفه، وكأنه خرج ليغزو بعض القبائل، وسلك طرقاً وعرة إلى أن وصل إلى المصمك في الرياض، وقضى على عامل ابن الرشيد صباح ٥ شوال ١٣١٩هـ<sup>(٢)</sup>.

أقبل أهل الرياض مبايعين، وفي مقدمتهم العلماء وأكابر القوم، وبعث إلى والده بالخبر، وطلب منه الحضور بعد اثنتي عشرة سنة من النفي.

(١) الريحاني: تاريخ نجد الحديث، ص ١١٩.

(٢) المانع: توحيد المملكة، ص ٤٨.

لقد دلت خطة عبدالعزيز لاستعادة الرياض على الجرأة وقوة الإرادة، بما اكتسبه في تلك السنوات، وعادت الاتفاقية بين جده الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب من جديد. لقد كان فتح الرياض بقوة الإيمان بالله عز وجل. ولم يكن فتح الرياض غايته، بل كانت النية لم شمل المسلمين وتوسيع رقعة المملكة، وتوطيد الأمن والاستقرار، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله. ولقد كانت الجولة الأولى هي تحصين الرياض، وإعادة بناء سورها، ثم رسم الخطط المستهدفة لتوحيد الصف، ولم شمل البلاد تحت قيادة واحدة.

لقد اعتبر المؤرخون أن فتح الرياض هو بداية التاريخ الحقيقي للدولة وذلك لما تميزت به سياسة الملك عبدالعزيز الذي دعا الناس بالحكمة واللين، فدانت له بذلك نجد كلها عام ١٣٢٦هـ. ما عدا حائل. وبعد اثني عشر عاماً من فتح الرياض ضم إليها الأحساء والقطيف وتوابعهما وانتزعهما من الحامية التركية لكنه كان حريصاً على عدم إراقة قطرة دم واحدة، فأمر بالحفاظ على أفراد القوات العثمانية وقام بإكرامهم ثم عمل على نقلهم إلى بلادهم دون إصابتهم بأذى أو مكروه، ثم انضمت عسير عام ١٣٣٨هـ، وفي عام ١٣٤٠هـ ضم بلدة حائل<sup>(١)</sup>.

#### المرحلة الثانية

وتشمل ما تم فتحه بعد حائل ١٣٤٠هـ، وحتى توحيد المملكة ١٣٥١هـ. لقد كانت منطقة تربة والخزرة في جنوب شرق جبل حضن مثار نزاع بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين، مع أن الشريف كان في طبعه الطمع وفي خلقه الاعتداد بالنفس وحب الظهور، وعمل على رضا الدولة العثمانية، وبدأ يؤلب القبائل في غرب نجد لاستمالتها إليه، إلى أن كانت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ، وظل عبدالعزيز على الحياد بين الإنجليز

(١) الريجاني: سابق ج ٢٠٥/٥.



والعثمانيين<sup>(١)</sup> .

حاول الوالي العثماني والقائد التركي فخري باشا مساعدة عبدالعزيز في القضاء على الشريف حسين، ولكن عبدالعزيز لم يلتفت إليهما. انتهت الحرب العالمية عام ١٣٣٧هـ بهزيمة الدولة العثمانية واستسلام المدينة والطائف، فأصاب الشريف الغرور، فسير ابنه بجيش إلى الخرمة وترية، لكن القوات السعودية تصدت لهم وهزمتهم شر هزيمة<sup>(٢)</sup>. بعدها حاول إحداث قلاقل وفتن على حدود نجد كما قام بالتجريح بعبدالعزیز في بعض الصحف (جريدة القبلة)، وأرسل قوة عسكرية مجهزة بالمدافع لمساعدة آل عايض في عسير على التمرد عام ١٣٤٠هـ، ومضى في معاداة أهل نجد ومنعهم من الحج لمدة ثلاثة أعوام.

سافر الشريف إلى عمان بالأردن، فخلع عليه لقب الخلافة، مما زاد صلفه وعناده، وزاد اضطهاده لأهل نجد.

وفي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م عُقد مؤتمر في الرياض أثير فيه منع الشريف أهل نجد من الحج، وقد حضر هذا المؤتمر حشد من العلماء والأمراء وطالبوا بعدم السكوت على منع أداء فريضة الحج، وقد تكلم عبدالعزيز موضحاً موقف الشريف المعادي للدولة، وكان هذا إيذاناً بالزحف.

تحرك عبدالعزيز قاصداً مكة لابساً ومن معه لباس الإحرام منكسين أسلحتهم، وكان هدفه ليس التسلط، ولكن رفع الظلم عن مكة. وبعد أن دخلوا مكة وأتموا عمرتهم طلب علماء مكة للاجتماع بالسلطان وتحدث إليهم في اجتماعه بهم قائلاً: «إن أفضل البقاع هي التي يقام فيها شرع الله

(١) الريجاني، ص ٢١.

(٢) الزركلي: شيم الملك عبدالعزيز، ج ١ ص ٣٢٦.

وأفضل الناس من اتبع أمر الله، إن الذي أبغيه في هذه الديار أن يُعمل بما في كتاب الله وسنة رسوله . . .» .

اطمأن العلماء لكلمة السلطان والتي أثلجت صدورهم، وتحولوا مناصرين للدعوة، بعد أن كانوا قد ظلموها أولاً، وطالبوا عبدالعزيز بأن يكون حاكماً عليهم، لما لمسوه من حسن المعاملة، والعفو عن ناصر والشريف، فدخل جدة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ومنح العفو للجميع بما فيهم القبائل التي حاربتة .

بعد دخوله جدة كان البلاغ العام الذي أذاعه في ٨ جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ، موضحاً أنه بذل الجهد لتخليص الحجاز وأمن الوافدين إليه طاعة لأمر الله، يقول في بلاغه: (وبعد أن منَّ الله علينا بهذا الفتح أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، أما الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي).

وقال: إننا وصلنا إلى يوم البدء في العمل، وأوصيكم ونفسي بتقوى الله، إن من حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، وحفظ دمائكم وأعراضكم، وأموالكم إلا بحق الشرع، وحقنا عليكم المناصحة، ومن رأى منكم منكراً فليناصحننا فيه .

كان هذا بلاغاً للناس بالطمأنينة والأمن مبنياً على الصدق والإخلاص في القول والعمل، وبعدها في صلاة الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ بايعه جمع غفير من العلماء والأعيان والمواطنين على أن يكون ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها. وفي ٢٥ رجب ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م عقد مؤتمر الرياض ونودي فيه بعبدالعزیز ملكاً على المملكة النجدية وملحقاتها، وأبلغ إلى الدول العربية والأجنبية .

في جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م تم توحيد أجزاء المملكة،



وصارت باسم المملكة العربية السعودية، وصار عبدالعزيز هو ملك المملكة العربية السعودية.

ألغى عبدالعزيز كل النظم والقوانين التي كانت سائدة في الحجاز، وتم تطبيق الأنظمة الشرعية الإسلامية، وصدرت الأوامر على أن تكون التعليمات متفقة مع كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة، وفي عام ١٣٤٥هـ أنشئ أول مجلس شورى في البلاد.

### المرحلة الثالثة

تبدأ من توحيد المملكة عام ١٣٥١هـ حتى عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م. اكتمل في هذه الفترة توطيد دعائم المملكة، وأصبحت قوة ذات شأن، لها أثر كبير في خدمة الدعوة، وبدأ التنظيم في أمور الدولة وشؤونها، وصدر في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ أمر بتوحيد أجزاء المملكة. وقد كان مما ترتب على هذا الأمر:

أ- تعديل النظام الأساسي للبلاد، وإحداث تشكيلات جديدة للملاءمة الحالة الراهنة، وأن المملكة مرتبطة ببعضها لا تقبل التجزئة، وأنها دولة ملكية شورية، إسلامية مستقلة، وأن إدارتها بيد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وهو مقيد بأحكام الشرع، وأن جميع الأحكام مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله.

ب- يضاف إلى مجلس الشورى العناية بشأن الحج والحجاج؛ لأن السعي في خدمتهم من أسباب التقرب إلى الله، وظل المجلس يؤدي دوره بنشاط؛ لأن البلاد كانت في أمس الحاجة لجهوده لوضع النظم المتفقة مع الشريعة الإسلامية.

ج- بدأ إنشاء أجهزة الدولة وتوزيع التبعات والمسؤوليات، فعهد إلى النائب العام في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز مهمة الشؤون الخارجية، بعد أن كان يشرف عليها الملك بنفسه، علماً بأن المملكة توسعت في علاقاتها

الخارجية، وهي التي تعكس صورة حقيقية عن نشاط المملكة في خدمة الإسلام.

كان الملك يذهب بنفسه إلى الحجاز في موسم الحج، يشرف على راحة الحجاج، ويستقبل رؤساء وفود البلاد، مع أنه توجد لجنة للحج والمطوفين، كما كان يحثهم على التمسك بكتاب الله، ويوزع المنح والهدايا على الرؤساء، لدعم أواصر المحبة، ولإزالة ما علق بذهن بعضهم من تشويهاً وافتراءات حول أنصار الدعوة. ونظراً لتزايد الحجاج فقد عمل الملك عبدالعزيز على توسعة الحرم المكي والمطاف عام ١٣٧١هـ.

نهج الملك مبدأ الشرع الحنيف لإدارة شؤون البلاد، ملزماً بها نفسه قبل غيره، وكان صارماً مع كل من يحاول العبث بمصالح البلاد، ولقد منّ الله عليه بحمل لواء الدعوة وأزره بنصره لخدمة الإسلام، فعمل على تأسيس دولة جمعت بين الأخذ بأساليب العصر الحديث والتمسك بنهج السلف الصالح في خدمة الإسلام والدعوة.

#### وفاته

بعد أن أكمل عبدالعزيز مهمته الجليلة، مفضياً حياته في الجهاد لإعلاء كلمة الله، ودعم الصرح الذي بناه، دب في جسده مرض الشيخوخة. وفي موسم حج عام ١٣٧٢هـ كان مع الحجيج - كعادته - يشرف على راحتهم، لكن صحته لم تساعد فظل في الطائف، فاشتد عليه المرض، ووافته المنية يوم الإثنين ٢ ربيع الأول من عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وصلي عليه ونقل للرياض فدفن في مقبرة العود - يرحمه الله -.







## الفصل الخامس

# الأحوال المحيطة بالدعوة





## المبحث الأول

### الأحوال الإيجابية المحيطة بالدعوة

وهي تنقسم إلى أحوال إيجابية عامة، وأحوال إيجابية خاصة: أما الإيجابية العامة فأهم عواملها:

أولاً: إن ما تحلّت به الدولة السعودية منذ نشأتها من شيم وقيم، ونصرتها للدعوة بكل قوة مكن لها في قلوب الناس، وأكسبها السمعة الطيبة. فمنذ أن قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإحياء الدعوة السلفية وبذل كل غال ونفيس في سبيل إعادة الإسلام إلى صفائه ونقاؤه، ثار عليه الحاسدون من العلماء والعوام، وعزموا على القضاء عليه وعلى الدعوة الإصلاحية في مهدها، مما اضطره لأن يلجأ إلى الدرعية في عهد الأمير محمد بن سعود، الذي رحب به واقتنع بدعوته، ووعد بنصره، وهكذا كان خير عون للشيخ في تحقيق أهداف الدعوة.

لقد أصبحت الدرعية المركز الرئيسي للدعوة ومنها بدأت نشاطها<sup>(١)</sup>. فبعث الإمام الرسائل التي تشرح الدعوة، وبعث العلماء من أجل بيانها، ومن أجل ذلك عضت دولة آل سعود الأولى على هذه الدعوة بالنواجذ، فازدهرت وتبوّأت مكانة طيبة في نفوس المسلمين ومحبة لدى العلماء الموحدين. إلا أن أعداء الإسلام لم يعجبهم ذلك، فعملوا على القضاء عليها، وتآلبت عليها الدولة العثمانية، ولكن تمكن الإمام تركي بن عبد الله من إعادة روح الجهاد لهذه الحركة الإصلاحية بتأسيس الدولة السعودية الثانية، وظلت الدعوة منصوره طوال حكم الدولة السعودية الثانية.

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ص ٤٢.



واجه آل سعود في هذه الأثناء ظروفًا صعبة ومواقف مختلفة، حتى قامت دولتهم مرة ثالثة على يد الملك عبدالعزيز، الذي أخذ على عاتقه نصرته الدعوة وإقامة دولة إسلامية تُحْكَمُ شرع الله، فعادت للدعوة قوتها ومكانتها. وقد سار أبناؤه من بعده على نهج أبيهم إلى اليوم. وإذا تتبعنا مواقفهم وأفعالهم وأقوالهم على - مدار تاريخهم - تأكد لنا أنهم لم يكونوا حكاماً فقط، بل كانوا رجال دعوة أيضاً.

لقد جاءت الدولة السعودية الثالثة استمراراً في هذا الاتجاه. وما فتىء الملك عبدالعزيز يؤكد سيره على خطى أسلافه في نصرته الدعوة، والتمسك بشرع الله، والحرص على تحكيمه، بل ويؤكد ذلك أنه داعية إلى الله. كما يقول: «نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى»<sup>(١)</sup>.

لقد قامت السياسة الشرعية التي انتهجها آل سعود على الأسس الآتية:

- ١ - عقيدة التوحيد التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده.
  - ٢ - شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدماء وتنظم الأمور.
  - ٣ - حمل الدعوة ونشرها وهي أهم وظائف الدولة الإسلامية.
  - ٤ - إيجاد بيئة خالية من المنكرات والانحرافات.
  - ٥ - تحقيق الوحدة الإيمانية.
  - ٦ - النهضة الشاملة والأخذ بأسباب التقدم لتيسير حياة الناس.
  - ٧ - تحقق الشورى وهي صفة المؤمنين.
  - ٨ - الدفاع عن الدين، المقدسات، الوطن، المواطنين.
- هذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها الدولة السعودية. ونتيجة

(١) محيي الدين القاسبي، المصحف والسيف، ص ٦٢.

لهذا أطاعتهم الرعية، وسار الأمر بينهم وبين شعوبهم على الالتزام بشريعة الله في النظام السياسي الإسلامي.

يقول صلاح الدين مختار: تمكن آل سعود من السيطرة على البلاد لما قاموا به من جليل الأعمال والإعمار، وكانوا وما زالوا حماة الدين الحنيف من كل نحلة وبدعة.

ثانياً: رغبة العلماء في قيام دولة تلتزم بالعقيدة وتنفذ الشريعة، وتقيم الجهاد، كل الظروف زادت من رغبة العلماء في دولة إسلامية تتحمل تكاليف الدعوة إلى الله عز وجل، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعين العلماء، وتساعدهم على نشر الدعوة بالقوة والسلطان. وفي الأثر: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>. وإن كان الصحابة يسيحون في الأرض جهاداً لنشر كلمة الله وهم في دار إسلام تظلمهم ويرون ذلك فرضاً، فإن الجهاد في هذه الفترة أكبر وأكثر ضرورة لغرضين:

أ- نشر الأمن والطمأنينة بين الناس.

ب- إقامة الدين في هذه المنطقة.

ومن ثم اتخذ العلماء في نجد كل الأسباب الشرعية المساهمة في إقامة الدولة الإسلامية التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله، وتطهر الأرض من عبث الشياطين، حتى لا تكون فتنة في الأرض، ويكون الدين كله لله. وأهم هذه الأسباب البيعة لمن يرونها أهلاً للإمامة وإقامة الحدود وإنصاف الضعيف من القوي. وفي رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن يقول: «قد عرفتم أن أمر المسلمين لا يصلح إلا بإمام وأنه لا إسلام إلا بذلك ولا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.



تمت المقاصد الدينية ولا تحصل الأركان الإسلامية وتظهر الأحكام القرآنية إلا مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهاب في الدين والدنيا.

### ثالثاً: تطلع المجتمع إلى قيام دولة تقيم الأمن والعدل

إذا كان العلماء قبل توحيد المملكة يتطلعون إلى دولة موحدة تلتزم أحكام الشريعة، فإن المجتمع كان أكثر تشوقاً إلى قيام هذه الدولة. فقد كانت أغلب مناطق الجزيرة العربية في ذلك العهد في فرقة مستحكمة في الأفراد والجماعات، لا سبب لذلك غير الرغبة فيما في أيدي الناس من مال وجاه. لقد كان لهذا التفرق ضرره على المنطقة. فقد جلب للأهالي الولايات والمحن والتقاتل بين الإمارات الصغيرة، وقد تعذر السبيل إلى القضاء على هذه الفوضى، وترك الناس كثيراً من شعائر الدين، بل جهلوا بها.

لقد هياً الله سبحانه وتعالى الأسباب لإيقاظ هذه البلاد من غفوتها، ولتقوم نهضة إسلامية جديدة قوية، فقام الملك عبدالعزيز متبعاً النهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ وحث عليه الإسلام<sup>(١)</sup>. أما العامل الأقوى في نجاح هذه الدعوة في تلك المدة القصيرة فسببه يرجع إلى ما كانت عليه القبائل من الفوضى بتفشي الجهل وتأثير المطامع، وانعدام الأمن على الأرواح والأموال، فجاءت هذه الدعوة مطابقة لعقليتهم واستعدادهم الفكري ورغبتهم بالحياة السعيدة المفقودة<sup>(٢)</sup>.

(١) عبدالفتاح أبو علي، مصادر تاريخ البلاد السعودية، ص ٢.

(٢) محمد مغربي المدني، وهابية اليوم، ص ٢١، ط تركيا ١٣٤٢هـ.

## المبحث الثاني عوائق في طريق الدعوة وسبل التغلب عليها

### أ- العوائق الداخلية :

الجزيرة. وخارجية تتصل بالقوى المتربصة بالإسلام. ومن أهم العوائق الداخلية الآتي

#### أولاً: قلة الدعوة

في ميدان العمل الدعوي تبرز مشكلات عديدة تتعرض لها الدعوة، كما يتعرض لها الدعوة. ومشكلة قلة الدعوة واحدة من هذه المشكلات، وهي هنا ترتبط ارتباطاً مباشراً بمساحة المملكة واتساع أراضيها، وكثرة الهجر والقرى المتشعبة داخل هذه المساحة المترامية الأطراف، حيث لم يكن مستطاعاً توفير العدد الكافي للقيام بمهمة الدعوة في أنحاء البلاد نظراً لقلّة الدعوة، بل إن بعض القرى لتخلو من المدرسين الذين يعلمون القراءة والكتابة، ناهيك عن رجال القضاء والفتيا، وتحفيظ القرآن.

قد يضطر الناس إلى الاستعانة بأئمة وخطباء جهلاء في هذه الظروف، لذلك كان أهل البادية في جهل، لأنهم بعيدون عن ساحات العلم والعلماء. غير أنه لما توفر الأمن في عهد الملك عبدالعزيز زاد عدد طلبة العلم نسبياً، وقد عمل بهمة لإنقاذ أهل البادية، فأرسل إليهم الأئمة ومن يعلمهم القراءة والكتابة، وأمدهم بالمرشدين ليعلّموهم مبادئ الدين والأخلاق الإسلامية، ويحثوهم على الاستقرار، بدلاً من الحل والترحال.





وبذلك أصبح أهل البادية عضداً لابن سعود في مشروعاته، ومن أقوى أنصاره في الحروب، بعد أن تفتانوا في حبه وأرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيل ما عمله من أجلهم.

### ثانياً: العصبية القبلية

على كل من سلك طريق الدعوة أن يدعو الناس إلى ترك ما ألفوا من عقائد وعادات ضارة، ويدعوهم إلى ما يخالف طباعهم وأهواءهم التي تتعارض مع تعاليم الإسلام، ومن العقبات التي واجهت الدعوة في ذلك العهد هي تلك العصبية التي اتسمت بها القبائل.

مع أن أهل الجزيرة مجبولون على الشجاعة مفطورون على الشهامة، فإن حب الزعامة المسيطر على قلوبهم، والتنافس على أماكن الرعي وموارد المياه وعادة الأخذ بالثأر، وعدم التضامن والوحدة مما كان يمثل عائقاً للدعوة، وذلك لأن الداعي إلى الإسلام يكون منسوباً لإحدى القبائل، وهذا كان كافياً لعدم سماع باقي القبائل منه<sup>(١)</sup>.

يقول المانع: «من أعظم مشكلات ابن سعود في بناء دولة مستقرة نزع رجال القبائل الجادة إلى الاستقلال، وحبهم للحرب، وسرعة تغيير ولاءاتهم»<sup>(٢)</sup>.

إن حياتهم قامت على التعصب القبلي الجاهلي الأعمى. وقد أخذت هذه الحال في جزيرة العرب تقوى وتضعف حسب قوة الدولة القائمة وقوة سلطانها، وتمسكها بأحكام الشريعة، حتى جاء الملك عبدالعزيز، فأخى بين هذه القبائل اقتداءً بالنبي ﷺ، فأصبح شعارهم (أنا أخو من أطاع الله)، بل إنهم أصبحوا ينكرون على من يفتخر بقبيلته، ويقولون هذا من دعوى

(١) محمد المدني، وهاية اليوم، ص ٤.

(٢) توحيد المملكة، ص ٧١.

الجاهلية ويؤدبون فاعله . وانقلبوا من كل نحلة وبدعة إلى حماة لهذا الدين ، وتحولوا من التعصب القبلي العنصري إلى الإخاء في سبيل الله .

هذه من ثمرات الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - . وبذلك سلك هؤلاء البدو طريق الدعوة إلى الله ، ومناصرة الحق والذب عن العقيدة ، وانطلقوا يحملون شعار التوحيد ويطبّقون شريعة الله الخالدة .

### ثالثاً: غلو البعض في الدين

من العوائق التي واجهت الدعوة أيضاً، الغلو في الدين، الناشئ عن الفهم الخاطيء لنصوص الكتاب والسنة. فكان بعض علماء البادية غير متمكنين في العلم، وإنما كانوا ذوي إصلاح ومجالسة وحفظ للقصائد والنظم الوعظي، فجنحوا إلى التشديد عن حسن قصد، وإلى التحريم والتكفير في كثير من الأمور عن جهل، وكانوا سبباً في غلو أهل البادية يضربون الشخص إذا طال ثوبه لأنه مسبل، ويهجرون لأدنى سبب، وكانوا يحكمون على بعض المصنوعات بأنها سحر، ويرون أن الدين يتنافى مع التمتع بأي مظهر من مظاهر الدنيا، سواء كان لباساً أو سكناً أو غذاء. ولم يقتنعوا بأن الإسلام إنما حرم الإسراف لا التمتع بما طاب في قصد واعتدال، بسبب أنهم كانوا أنصاف متعلمين، لم يكونوا على معرفة بأن أسلوب الدعوة إلى الله يكون بالحكمة، واتخذ غلوهم أشكالاً عديدة منها:

- أ- إساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة .
- ب- اتهام العلماء بالمداهنة وبالتالي عدم الأخذ عنهم .
- ج- إلزام الأعراب بسكن القرى والخروج منها معصية .
- د- التهاجر لأتفه الأسباب .
- هـ- القول على الله بغير علم .

لكن العلماء والملك عبدالعزيز لم يعجبهم هذا الغلو، فجدوا في حملهم على الاعتدال والقصد، فاعتدل منهم كثير، واقتصدوا وأصبحوا من أقوى



أنصاره في الحق، بل كان منهم الدعاة لمحاربة هذا الغلو.

#### رابعاً: الفرق المنحرفة

لقد ابتلي الإسلام - في مختلف المراحل التاريخية - بوجود مجموعات ممن أعلنوا الإسلام، ولكنهم انحرفوا بكفرهم وعقيدتهم عنه، ثم بعد وفاة الرسول ﷺ بدأت الفرق المنحرفة في التكاثر، وقد استمرت هذه الفرق في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

فالمملكة لم تخل - كغيرها من البلدان - من هذه الفرق المنحرفة، إلا أنها بفضل الله قليلة نسبياً بالمقارنة بغيرها من البلاد. فهذه الفرق تنظر إلى الدعاة نظرة شك لمجرد أنهم يخالفونهم في العقيدة، وهذا عائق وحاجز قوي بين هذه الفرق وبين خير الدعوة للناس.

لم يفتن علماء الدعوة إلى خطر هذه الفرق إلا بعد أن تمكنت وانتشرت في بعض الأماكن، وهي عقبة أمام دعاة الحق، ولكن عندما أمسك عبدالعزيز بزمام الأمور سعى مع العلماء في إيقاف نشاط هذه الفرق كلياً مادام ثبت ضلال هذه الطوائف أو زيغها عن الكتاب والسنة، وبذلك يكون ابن سعود قد عمل على تقليل أثر هذه المشكلة التي عرقلت سير الدعوة في كثير من الجهات، وقد كانت هذه الفرق من أخطر أسلحة الاستعمار ضد الإسلام. وفي هذا الإطار يقول ابن سعود: «من المسائل التي يجب أن نعمل بها وتعد في طليعة خدمة هذا الدين هي تطهير الإسلام من الأدران والخرافات التي علقت بالدين وهو بريء منها».

#### خامساً: انتشار الأمية

الأمية من الأسباب الظاهرة لتخلف المجتمعات، وينتج عنها العديد من المشكلات في طريق الدعوة إلى الله، وبذلك مثلت هذه المشكلة عائقاً كبيراً أمام الدعوة ونشاطها في ربط أواصر المجتمع وفتح أبواب المعرفة أمام

الأفراد وربطهم بالواقع الذي يعيشونه داخلياً وخارجياً .

وإذا كان البدو الرحل يشكلون ٨٠٪ من سكان نجد من الحضر، فإن الأميين منهم يشكلون ما يقرب من ٩٠٪، مما أدى لمشكلة الفرقة وعدم الاستقرار الذي جعل حياة الناس العلمية ضعيفة الانتشار، ولكن أمانة العلم التي حملها نفر من العلماء أبقّت على وميض من نور العلم الذي قضى على كثير من العقبات، وأدخلت البلاد في نهضة حقيقية بفضل الله<sup>(١)</sup> .

لم تعرف نجد التعليم بصورته الحالية قبل عبدالعزيز، بل كان التعليم على الطريقة القديمة، يجلس الطلاب على الأرض، ويتعلمون قراءة المصحف الشريف، ولم يكن هنالك أي مدرسة. وقد كان الحجاز أسعد حظاً إلا أنها لا تسهم أيضاً إلا في محو أمية العدد القليل. وقد بذل ابن سعود قصارى جهده لمحاربة الأمية ونشر العلم، لمعرفته بأن لهما أثراً في بناء الدولة وتأثير في شخصية الفرد والمجتمع، وأرسل إلى البادية المرشدين والعلماء لتعليم مبادئ الإسلام والقراءة والكتابة.

لما أقبل الناس على التعليم، وازداد عددهم تغير الواقع التعليمي في كل مناطق المملكة إلى مستوى أفضل؛ وأصبحت هناك مدارس نظامية ذات مناهج في المدن الكبيرة، بالإضافة إلى التعليم في المساجد في جميع أنحاء المملكة، وهو نمط متوارث منذ العهود الإسلامية القديمة<sup>(٢)</sup> .

**عوائق خارجية تتمثل في الآتي:**

**أولاً: علماء الضلال**

الجاهلون بأصول الدعوة لم تعجبهم هذه الدعوة السلفية، وملاهم الحقد من نهضتها الإسلامية المباركة، فمكروا للخلاص منها، فلم يجدوا

(١) اتحاف اللبيب، ص ٢٠٠، ٢٠١ .

(٢) فهد المبارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج ٣، ص ٣٣٢ .



لهذه الحرب قادة إلا علماء الضلال الذين أشاعوا بأن الملك عبدالعزيز ما هو إلا مجدد للحركة التي أحيها محمد بن عبد الوهاب وهي الدعوة التي تعادي المذاهب الأربعة، حقداً منهم أو جهلاً بأصول هذه الدعوة، وقد كتب كل شيء عن الدعوة إلا حقيقتها وأهدافها.

والأقلام التي نهضت لمحاربة الدعوة السلفية تنتمي غالباً إلى طوائف الصوفية أو الفقهاء المقدسين للآراء وأهل الكلام المتطرفين، وقد سلكوا في محاربة الدعوة والدولة أسلوبين:

أ - محاربة سلبية: وهي محاربة تمثلت في عدم ذكر محاسن الدعوة والخير الذي أسدته ولو كانت فيه منفعة للإسلام والمسلمين. ولا شك أنهم رأوا آثارها على الحاضرة والبادية والذي تمثل في الاستقامة والصدق، ومحاربة كل ما يخالف الشرع والمنع منه، والحث على أداء الواجبات وحفظ العهد، وعدم التعرض للحجاج وعدم قطع الطريق، وأن قيام هذه الدولة كان على أساس إسلامي.

ب - محاربة إيجابية: وتتلخص في نشر الدعاية العدائية ضد الملك وحكومته وبين طلاب العلم في البلدان<sup>(١)</sup>، بل إن بعض البلاد الإسلامية العربية ذهبت تروج أن الدعوة التي تنتهجها الحكومة السعودية ملة جديدة ابتدعتها الوهابيون، يقول الملك: «من الناس من يقول آمنا بالله وبما جاء به محمد ﷺ ولكنهم يسبون آل بيته، والذي نمشي عليه هو طريق السلف، ونحن لا نكفر أحداً إلا من كفره الله ورسوله، وليس لنا مذهب سوى مذهب السلف الصالح ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها. كما يقول - يرحمه الله -: «يقولون إننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا نتبع كتاب الله، وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

(١) القصيمي، الفصل الحاسم، ص ٨.

ولم يقتصر أمر علماء الضلال على مجرد النشر في الصحف، بل تعداه إلى تضمين مناهج التدريس في هذه البلدان، الطعن على الوهابيين، والقذح في دين إمامهم الأول. قال الملك عبدالعزيز: «لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالاً شديداً ولكننا صبرنا وصمدنا»<sup>(١)</sup>.

أما علماء الدعوة في المملكة، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا التعدي على دين الله، وعلى إمام المسلمين، ودعوته السلفية، فخرجت أقلامهم صواعق مرسلة في كثير من الكتب والنشرات ترد شبه علماء الضلال، وكانت صوارم مسلولة على أعداء الدعوة السلفية نظماً ونشراً، فانتصرت للدعوة، ونسفت كل ما صبَّته هذه الأقلام المأجورة في عقول الناس من خرافات، وصار الحق من نصيب هذه الدعوة السلفية، وليس هذا غريباً على دعوة ناصرت الحق فنصرها، وهذه الدعوة لا تعنى إلا أن يفهم الناس الإسلام في العصر الحديث، كما فهمه المسلمون الأولون، نابذين البدع والخرافات وراء ظهورهم، سعياً وراء الوحدة الإسلامية الكبرى.

#### ثانياً: الدعوات الهدامة

مع أن الأدلة واضحة على طهارة الدعوة السلفية، فإنها لم تسلم من مكر أصحاب الأفكار والشعارات والتيارات الهدامة، لأن أعداء الدعوة الإسلامية يدبرون لحربها كل يوم وسيلة، ويحشدون للوقوف في وجهها كل يوم قوة، سواء في ذلك الحشود الفكرية، أو العسكرية.

التيارات الوافدة مثل الاتحاد والترقي العلمانية، الحداثة، الاشتراكية، القومية، المساواة، الدين لله والوطن للجميع، مبادئ تعادي الإسلام، بما تشتمل عليه من نظم لا تتفق مع مبادئ الإسلام، ولا يعترف

(١) القيصي، الفصل الحاسم، ص ٢٤، ص ١١٨.



بها الإسلام. وقد زرع أعداء الإسلام لها دعاة بين المسلمين كان أغلبهم من نصارى العرب. وفي سبيل إحياء هذه الدعوات جُنِّد كثيرين من أهل الفن، بمختلف فروعهم، خاصة الراقصات اللاتي وجدن كل وجوه التشجيع والتلميع، كما جُنِّدت الأقلام في كثير من الصحف السيارة. وكان هؤلاء الكتاب ينتهجون - في سبيل الترويج لهذه التيارات الهدامة - أبرع الأساليب، وينفقون عليها بسخاء. أما في العالم العربي فقد قوي التيار العلماني، وقامت أحزاب وحركات تستبعد الإسلام، وتطالب بالتغريب، وفي المقابل يصفون دعاة الإسلام بالرجعية، ويروجون أن الإسلام هو سبب التأخر والرجعية.

يقول الملك: «يقولون أن المسلمين في تأخر وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين فلم يجدوا إلا أن يقلدوا الأوربيين ولكن قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم».

كان لهذه الدعوات الهدامة مراكز قوية في مصر والشام، كما سعت إلى إنشاء المدارس العصرية بمناهجها المعادية للإسلام لمحاولة نقض أركان الإسلام وفصم عراه، فمظاهر هذا الغزو عبارة عن حملات التغريب للحضارة الإسلامية والمسلمين أنفسهم، لتغريب التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتغريب الأخلاق والآداب<sup>(١)</sup>.

إن من الصعوبات التي تواجه الدعوة، انقياد بعض المسلمين للآراء والمبادئ المستوردة، واتخاذها ديناً، أو في مكان الدين مع ما يبدو للعيان من فسادها نظرياً ومن دمار وأضرار في التطبيق العملي<sup>(٢)</sup>.

لقد شهدت هذه الأمة - خلال ربع القرن الماضي - محاولات متلاحقة

(١) الغزو الفكري، د. علي عبدالحليم محمود، ص ٢٣.

(٢) عبدالبديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٥٨.

من التجارب الفاشلة على كل صعيد سياسياً كان أو اقتصادياً. (والمملكة بوصفها إحدى البلاد العربية تتأثر بما في الساحة العربية والإسلامية سلباً وإيجاباً. ولكن بفضل الله فإن المتأثرين بهذه المبادئ قلة في المملكة تمكن العلماء من دحض حججهم وكشف زيف ما يدعون إليه، كما وقفت الدعوة السلفية وفقهاؤها سداً منيعاً أمام تيارات الإلحاد والفساد.

### ثالثاً: الاستعمار:

الاستعمار من أقوى العوائق التي تقف في طريق الدعوة، وما الحركات القومية والاتجاهات المادية وغيرها من معاول الهدم إلا أدوات هو المخطط لمؤامراتها والمنظم لها.

فالاستعمار لم يكن يخطط لاستغلال ثروات البلدان فحسب، بل كان من أهم مخططاته محاربة الإسلام، وتجهيل المسلمين بدينهم. فقد قام بتشجيع مدارس التنصير وتدوين مناهجها، لكي ينصرف إليها المسلمون. وقد نجحت خطته هذه في كثير من البلدان، وهو الذي شجع الطوائف المنحرفة والتي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة كالكاديانية، وبعض طوائف الصوفية لضرب الدعوة الإسلامية من الداخل، وهذا من أخطر الأسلحة التي مارسها الاستعمار ضد الإسلام ودعوته.

لقد عمد الاستعمار إلى نشر الثقافة الغربية على نطاق واسع، وأعلن في نفس الوقت الحرب على الثقافة الإسلامية، ونجح في العمل على أن يشب السذج من شبابنا على كراهية الإسلام، وإنه دين تعصب وتأخر.

وفطن الملك عبدالعزيز إلى كل هذه الأساليب الاستعمارية ووعاها، فحمى البلاد من مكرهم، وصانها من عبث مخططاتهم. وقد قال: «العرب هم الضحية، والجاني على نفسه بجهله، فإذا وعى العربي مصالحه وتعلم فسيدافع عن هذه المصالح ويسد الثغرات التي ينفذ منها الاستعمار. أما الإنجليز فهم الاستعمار المغتصب الظالم».





الاستعمار الشرقي الملحد، وهو أشد ضراوة وأكثر حقدًا على الدعوة الإسلامية وأهلها .

ومن الصعوبات الخارجية التي واجهت الدعوة أن كلا المعسكرين الشرقي والغربي يرى أن تمسك هذا الشرق بإسلامه يضر مصالحهما التجارية ضرراً بليغاً وهذا حق .

## الفصل السادس

# الجهود الرسمية العامة في الدعوة

- المبحث الأول: تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات.
- المبحث الثاني: إقامة الحدود الشرعية.
- المبحث الثالث: تأسيس العلم ونشره.
- المبحث الرابع: تنقية العقيدة.
- المبحث الخامس: نشر العقيدة.





## المبحث الأول

### تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات

الشريعة في اللغة معناها: المواضع التي ينحدر فيها الماء، ومعنى شرع أي نهج وأوضح وبين المسالك. وقد شرع لهم شرعاً أي سنَّ<sup>(١)</sup>. وهي في الاصطلاح ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام<sup>(٢)</sup>.

والمراد بما شرعه الله: توحيده وطاعته، والإيمان برسله وكتبه، ويوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً. قال - عز وجل - مخاطباً رسوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتِنَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وتتميز الشريعة الإسلامية بأنها شريعة شاملة كاملة، تنظم كل الحقوق والواجبات، وهي تنظم عدة أحكام منها:

١ - العقيدة والأخلاق والعبادات.

(١) لسان العرب، ج ١٠ ص ٤٠.

(٢) المعجم الوسيط ج ١/ ١٧٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ١٨.



- ٢ - الأحكام العملية (معاملات مالية وأحوال شخصية وعقوبات).  
 ٣ - الأحكام الدولية.  
 ٤ - الأحكام الدستورية التي تنظم علاقة الفرد بالدولة.

والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية أمر مرتبط بالإيمان بالله عز وجل والشريعة من عند الله، وهذا يضمن خلوها من شوائب النقص والهوى والجهل، هذا بخلاف ما يضعه البشر من أحكام، فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل. والشريعة أمر ماض لا يرد ولا يناقض فلا تؤخذ فيه آراء الناس ولا خياراتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٣٦) (١).

إذن فالشريعة فيها كل المقومات التي تجعلها صالحة للجميع، في كل زمان ومكان، وهذا من فضل الله على الإنسان. وسوف يكون بحثنا عن جهود الملك عبدالعزيز في مجال تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

كانت جزيرة العرب، قبل عهد الملك عبدالعزيز أيام حكم العثمانيين ممزقة الشمل، وكانت أحكام الشريعة غير مطبقة تطبيقاً سليماً، أو غير مطبقة بالمرة، واستبدلت بها أحكام جرت مجرى العرف، وكان التمسك بها شديداً لأنها من وضع سلفهم.

لما كان القضاء ركناً من أركان الدولة، وجزءاً مهماً من مقومات المجتمع، وتقع عليه مسؤولية حماية الأنفس والأرواح والأقوال والحقوق، لذلك فسوف نتعرض لبعض ملامح الحياة القضائية قبل الملك عبدالعزيز.

أما في نجد وأقاليمها فلم يعرف فيه أي تنظيم قضائي وإنما كان

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

القضاء يقوم على قضاة منفردين في أمهات المدن . فكان في كل مدينة قاضي يحكم بين المتخاصمين ، فإن رضيا وإلا رفع إلى الأمير لينفذ ما يراه ، ومحكمة القاضي تكون بيته أو المسجد ، وربما كان في الطريق . فكل شيء كان يتم شفويًا ، حتى الأحكام لا تكتب لها صكوك إلا فيما ندر . وكان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب الذي عليه أهل نجد<sup>(١)</sup> .

أما البوادي فقد كان هناك ما يسمى بحكم العارفة ، وهو كالقاضي عند الحضر ، وهو فرد مشهور بالحكمة والاطلاع على العرف والعادات القبلية . أما المناطق التي كانت تحت السيطرة العثمانية فقد كان القضاء فيها منظمًا . وأما المحاكم فلم تكن معروفة بالشكل الموجود الآن ، ولا بهذا العدد . وكان في مكة محكمة كبرى تحال إليها قضايا الأوقاف والأمور الزوجية .

إلى جانب هذا كان يوجد نظام العشائر ، لأن الشريف حسين عندما أعلن الثورة على الخلافة العثمانية أصدر قراراً بإلغاء الأنظمة العثمانية ، والرجوع إلى النظام القبلي على العرف . وهكذا نرى الخلل الذي كان ينتاب عملية التطبيق لأحكام الشريعة<sup>(٢)</sup> .

كانت حملات التشكيك في قدرة الشريعة على مواكبة الحضارة الحديثة محل طعن ، وقد انساق وراء هذا الوهم طائفة من زعماء المسلمين ، فطبقوا القوانين الوضعية في بلادهم . وقد سارع عبدالعزيز إلى إنفاذ الشريعة ، ولم يخف من نتائج تطبيق الشريعة ؛ لأنه لا يخافها إلا من نوى الظلم والفساد في الأرض .

عندما دخل مكة في جماد أول ١٣٤٣ هـ قال قبل سفره : «إني مسافر إلى

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن ٢٠ ، ص ٣٠٠ .

(٢) سعود الدريب ، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التعليم القضائي بالمملكة .



مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع الظلم عنها، ولبسط أحكام الشريعة، فلن يكون هناك سلطان بعد اليوم إلا الشرع»<sup>(١)</sup>. وهكذا اتخذت المملكة في عهده كتاب الله وسنة رسوله دستوراً تعمل بموجبه وتطبق أحكام شريعته السمحاء. ولا يخفى على أحد أثر التعاليم الشرعية في مجال العبادات والمعاملات من تحقيق لمصالح العباد، وتنظيم العلاقة بينهم، والقضاء على المعاملات الفاسدة. ومن ثم فقد عمل على إعادة تنظيم ولاية الحسبة وولاية المظالم، وأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز سنة ١٣٤٦هـ، ووضع في نفس العام حجر الأساس لديوان المظالم، الذي كان يعرف (بصندوق الشكاوى)، وكتب إلى العاملين بهذه الهيئات بالاهتمام بـ:

- ١ - إلزام الناس بالصلوات الخمس في جماعة وتعلم الدين.
- ٢ - جباية الزكاة وصرفها في مصارفها.
- ٣ - صيام رمضان ومنع المظاهر التي تتنافى مع طبيعة الشهر.
- ٤ - تفقد معاملات الناس وكشف الربا.
- ٥ - تأديب من غش أو خان أو بخس المكاييل.
- ٦ - النظر في الأوقاف وإيصالها لمستحقيها.
- ٧ - مسائل المديونيات والتساهل مع المعسرين، والإرفاق بالمضطر، لأن بيع المضطر مكروه.

يقول الملك عبدالعزيز: «أحببت أن أنظر في شؤون المحاكم الشرعية وترتيبها من الوجه المطابق للشرع». لقد كان على الملك عبدالعزيز أن يسعى جاهداً لتحقيق التوافق بين الأنظمة القضائية الموجودة، وإعادة صياغتها، وفق بنود الشريعة الإسلامية، فأوكل هذه المهمة إلى مجلس الشورى، الذي كان من أهم اختصاصاته النظر في نظام المحاكم.

(١) عبدالمنعم غلامي، حالة الأمن في عهد عبدالعزيز، ص ٨٣.

كما أصدر العلماء فتوى بتاريخ ٨ شعبان ١٣٤٥هـ، جاء فيها: «أما القوانين فإن كان موجود منها شيء في الحجاز فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر، كما عين عبدالعزيز قاضيين في الرياض أحدهما للحاضرة وآخر للبادية»<sup>(١)</sup>.

لقد كانت هناك عادات جاهلية أخرى مترسبة في نفوس أهل البوادي، وكان كل قاض حريصاً على علاجها، ومنها مسائل التحجر<sup>(٢)</sup> وكانت هذه العادات السبب في الكثير من المفاسد.

هكذا شرع الملك عبدالعزيز يتبع القول العمل في مجال تطبيق الأحكام الشرعية في كل الشؤون الاجتماعية والاقتصادية. وكما يقول - يرحمه الله -: «إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعوني - إن شاء الله تعالى - لعدم الجموح بالنفس وقد عاهدت الله على ثلاث:

- ١ - الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشرع.
- ٢ - الأخذ على يد السفية وتحكيم السيف.
- ٣ - الإحسان للمحسن والعتفو عن المسيء.

وبفضل هذه الجهود تمكن العلماء من السير بالقضاء وفق كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وما يتبع هذين المصدرين من أصول معتبرة في طرق الإثبات والاجتهاد القضائي، وفق تعاليم الشريعة الإسلامية التي أقيمت بها الحدود، وحفظت الحقوق والمصالح، وتوطد الأمن. وقد ذكر الزركلي أن هناك ١٢٤ محكمة منتشرة في مدن البلاد وقراها.

وقد قال شيخ الإسلام - يرحمه الله -: «صلاح أمر السلطان بتجريد

(١) الدرر السنية، ٥، ٣١٩.

(٢) التحجر أن يحتكر القريب نكاح ابنة عمه أو قريبته، فلا تنكح غيره.





المتابعة لكتاب الله وسنة نبيه وحمل الناس على ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء: - إقام الصلاة. - وإيتاء الزكاة. - والأمر بالمعروف. - والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.

وهكذا يتضح لنا أن عقيدة الأمة وشريعتها هي قوام وحدتها، وأن تطبيق الأحكام آية الإيمان بالله، لأنه المنهج الموافق للفتوة، وأن الملك قد سار على هذا النهج الحميد. والمملكة تعتبر من الدول المعاصرة الرائدة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف النواحي والقضايا، والأحوال المدنية والتجارية والجنائية، والأحوال الشخصية، بفضل الله ثم بجهود الملك عبدالعزيز، كما أن النظام القضائي الإسلامي نظام صالح لكل زمان ومكان.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، م ٢٨ ص ٢٤٢.

## المبحث الثاني إقامة الحدود الشرعية

الدين دائماً يدعم المجتمعات في مقاومة أسباب الجريمة ودوافع الانحلال. وتعتبر الشريعة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، فهي حريصة على حماية الأخلاق، ومعاينة كل من أجرم، فإذا صينت الأخلاق فقد صينت الصحة والعقول والأعراض والأموال، واستتب الأمن واستقر النظام. إن إقامة الحدود جزء من الشريعة وهي عالمية لا إقليمية، أراد الله تطبيقها على كل الناس في جميع بقاع الأرض، وهم مطالبون بتنفيذها من أجل نشر السلام على هذه الأرض. فحد الحرابة لحماية الطرق والمجتمعات، وحد السرقة لحماية الأموال، والقتل قصاصاً لحماية الدماء، وحد القذف، وحد الرجم أو الجلد والتغريب لحماية الأعراض، وحد الخمر لصيانة العقول.

إن الدين الإسلامي بجميع ما احتواه من عبادات ومعاملات، واعتقاد وأخلاق يعتبر كلاً لا يتجزأ، فهو وحدة متكاملة لا يتحقق إيمان المرء إذا أنكر بعضه ولو أقر ببعضه الآخر. ولأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين تطبيق الحدود الشرعية وبين استتباب الأمن، فلا بد من ذكر ما افتقدته الجزيرة من عدم أمن واستقرار. فالقبائل الواقعة على الطرق الرئيسية التي كان يكثر فيها مرور القوافل بالحجيج والتجارة، كانت تفرض إتاوة عليهم تسمى (الخوة)، تدفع إلى كل قبيلة يمرون بها، وفي حالات كثيرة كانوا لا يسلمون من النهب والسلب، بل القتل أحياناً<sup>(١)</sup>. وكان من العوامل

(١) حسن ساعاتي، سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن، ص ٦.



المساعدة لذلك صعوبة وصول يد السلطات إليهم، نظراً للامتداد الشاسع لمناطقهم، وانتشارهم المتناثر في رمالها ودروبها، ووديانها ووعورة الطرق، وهي تعتبر القيام بهذا مصدراً من مصادر الرزق.

لم تقتصر اعتداءات البدو على الطرق الرئيسة، بل تعدته إلى البقاع الزراعية. أضف إلى ذلك أن بعض الولاة كان يفرض على التجار أموالاً باهظة لينفقوا منها على ملذاتهم. وقد بين لنا تاريخ الجبرتي كيف كان الحج إلى بيت الله الحرام أشبه بغزوة من الغزوات يتجهز لها بالسلاح والعتاد، ويعتبر الحاج مفقوداً حتى يعود، فيكون مولوداً من جديد.

أما تطبيق الحدود فكان لا يخضع للنصوص الشرعية، وإنما للعرف السائد في مختلف البقاع، بما لا يحقق أمناً ولا استقراراً، وغالباً ما كان يهرب الجاني. ففي البادية كان أهل القتل يثأرون من أي قريب للقاتل يشترك مع أبيه في النسب حتى الجد الخامس (الخماسية)، أما في المدينة فكان على القاتل دفع الدية أو يجلي عن المدينة دون رجعة.

وكان أحياناً في مدن الحجاز تصر عائلة القاتل على قتل شخص من عائلة القاتل، فتقدم لهم أسرة القاتل شخصاً ضعيف العقل، وبعد قتله تثار مشكلة عدم التكافؤ بين المقتولين، وتبدأ دورة ثأرية لا تنتهي<sup>(١)</sup>.

كان هذا هو الحال في مختلف مدن المملكة، وبذلك يتضح الفهم الخاطيء في تطبيق الحدود الشرعية في هذه المجالات.

لقد بدأ عبدالعزيز بأهم شيء، وهو إصلاح الإنسان نفسه، بنزع فتيل الفوضى من نفسه الشريرة، ف قضى على الجريمة وأسبابها، ونشر الطمأنينة، ووضع النواة الأولى لمجتمع إنساني جديد، قاده بحركة إصلاح كبيرة وشاملة، وكانت الحركة الإصلاحية أمراً في غاية الصعوبة، تطلبت جهوداً

(١) الأحيديب، حياة الملك عبدالعزيز، ص ٢٠٥.

كبيرة لتدعيم القوة والسلطان لتنفيذ هذه الأحكام، وهذه الحدود لا بد أن تطبق على الجميع - بغض النظر عن مكانتهم ووضعهم - لتكسب هيبتها وتبلغ غايتها.

وأدرك الملك هذه المعاني، فلم يُعَفِّ أي شخص - مهما كان مركزه، أو ماله أو جاهه، أو صفاته أو منزلته - من أداء حق وجب عليه، ولم يسمح بتمييز شخص عن شخص أمام حدود الله.

لم يكن عبدالعزیز يهدف من وراء الحزم في تطبيق الأحكام الشرعية إلا إلى تطهير هذه النفوس التي ألفت العدوان نتيجة غياب سلطان الشرع، فاستمرت القتل والسلب، فلم تجد من يردعها. لقد قال: «إنني أريد تطوير نزعة العرب الفطرية إلى الحرب، وعدم جعلها الأسلوب الوحيد أو الأقوى للسيطرة وتحقيق الأهداف حتى يشعروا بأنهم أعضاء في جماعة واحدة».

لقد واجه الملك المطوعين من الإخوان الذين كانوا شديدي التعصب في تطبيق الأحكام ويطلقون حكمهم بمجرد التهمة، وارتكبوا من الجنايات ما أربه الناس، فاستبدلهم برجال معتدلين. وكان عبدالعزیز ذا بصيرة نافذة في اختيار من يتعاونون معه وتعيينهم أمراء للأقاليم والمناطق، وكان يختار للقضاء رجالاً من أهل التقوى وكلمة الحق وتطبيق الشريعة عرفوا بالاستقامة والعدل. وقد حكم الشيخ سعد بن عتيق ضد الملك في خصومة بينه وبين رجل على قطعة أرض.

لقد طبقت الدية والقصاص في جريمة القتل بحزم، مما كان له أثر كبير في القضاء على ظاهرة الأخذ بالثأر واستقرار الأمن وانتشار السلام.

لقد تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن وتوطيده بأمرين:  
الأول: نشر مبادئ الشرع الشريف، والثاني تنفيذ أحكامه تنفيذاً لا



يعرف التردد ولا التميز ولا الرأفة ولا المحاباة<sup>(١)</sup> .

لعل في الطريقة التي تنفذ بها الحدود والقصاص في البلاد ما يؤدي إلى إحداث أكبر قدر من الزجر والعظة والاعتبار. فقد جرت العادة على أن تتم إقامة الحدود بعد صلاة الجمعة، وفي ساحة عامة أمام أكبر المساجد.

ففي حد الزنا لغير المحصن أمر سبحانه أن يجلد الزانيان كل واحد منهما مائة جلدة، أمام جمع من الناس، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَتَا عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ونتيجة لهذا تشير الدلائل إلى تناقص معدلات الجريمة، بل إلى انعدامها في بعض الحدود.

إن نظرية العقوبة في الشريعة الإسلامية تجمع بين حماية المجتمع من الإجرام وبين العناية بشخص المجرم وعلاجه.

لقد نجح الملك عبدالعزيز في جعل الشريعة الإسلامية قانون المملكة، ونظامها في مختلف الأمور، الدينية والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية، وكذلك قضت على الإجرام وحفظت الأمن والنظام، مما يدل على أن النظام الإسلامي في محاربة الجرائم يؤدي عملياً إلى قطع دابر الجريمة.

والحق الذي لا مرأى فيه أن الملك عبدالعزيز أقام حكماً صالحاً في الجزيرة على أسس الشريعة الغراء، ونشر فيها العدل والأمن، بعد أن كانت مسرحاً للفوضى والسلب والنهب.

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج ٢، ص ٧٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

## المبحث الثالث

### تأسيس العلم ونشره

لقد استطاع الملك عبدالعزيز ربط دعوة التوحيد، بمعناها الديني، بدعوة التوحيد بمعناها السياسي. والدعوة إلى العلم تخدم الهدفين، وثُبتت أركانها، ولا نستطيع الحكم بذلك إلا بتتبع الحالة العلمية لأهل الجزيرة، ومبلغ الأمية التي كانت سائدة قبل عهد الملك عبدالعزيز، والمنهاج الأساس لبناء المجتمع الذي سلكه ابن سعود هو نشر العلم واعتماده وسيلة رئيسة للقضاء على الجهل والتخلف<sup>(١)</sup>.

يتضح من تاريخ الدولة السعودية منذ نشأتها أنها دولة تعليمية لا يكاد ينفصل فيها الجهاد لنشر الدعوة عن جانب التعليم ونشر العلم. فقد كان التعليم معدوماً عند قطاع من سكان نجد - البادية - . ولعل السبب يرجع لقسوة المعيشة وندرة المعلمين المتفرغين، وعلى الرغم من قلة التعليم فقد عرفت البلاد عدداً من العلماء، خاصة في المدن الكبيرة.

لم يكن التعليم إلا امتداداً ضعيفاً للحركة القديمة، بما بقي من علماء في المدن المهمة، وانتشرت الكتاتيب، كما قامت في المساجد حلقات الدرس، وفتح العثمانيون ثلاث مدارس حكومية في الهفوف<sup>(٢)</sup>، وتخرج عدد من العلماء والأدباء والقضاة وكبار الدعاة الذين حافظوا على التراث السلفي.

أما الحجاز فلمكانته الدينية واتصاله بالخارج عن طريق الحجاج فقد

(١) عمر أبو زلام، عبدالعزيز العبقري في التحرير والتوحيد والتحضر، ص ٤٢.

(٢) محمد عبدالله عبدالقادر، تحفة المستفيد، قسم ٢، ص ٤١.



عرف قدراً من نشاطات الجاليات في مجال التعليم. وقد استفاد الملك عبدالعزيز من بعض أشكال التعليم التي انتشرت في خلال فترة الحكم العثماني والهاشمي، وعمل على تطويرهما. وقد كان التعليم في الحجاز يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي:

- ١ - التعليم في الحرمين الشريفين.
- ٢ - المدارس الحكومية.
- ٣ - النشاط الأهلي (الكتاتيب والمدارس الأهلية والخيرية).

كانت حلقات التعليم في الحرم مائة وعشرين حلقة وعدد المدرسين سبعمائة مدرس. أما المسجد النبوي فكان فيه ثمانية عشر مدرساً لتدريس المذاهب<sup>(١)</sup>. وكان علماء الحرمين يشكون قبل الملك عبدالعزيز من سوء الأحوال المالية، فكاد أن يذهب العلم وطالبوه.

إلى جانب الضيق المادي واجه العلماء قدراً من الاضطهاد والعنت من ولاية العصر الهاشمي، كما حدث للشيخ أبي بكر خوقير، الذي دعا إلى محاربة البدع والخرافات، فضايقوه وسجنوه إلى أن دخل عبدالعزيز مكة فأفرج عنه.

أما التعليم الأهلي في الحجاز المتمثل في الكتاتيب التي وإن كانت أكثر عدداً من بقية أقاليم المملكة، لكنها كانت مشابهة لها في نظامها وأهدافها التعليمية، وهي قد أوجدتها الجاليات الأجنبية كالهندية والأندونيسية<sup>(٢)</sup>.

أما التعليم في عسير، فاعتمد على التعليم الأهلي في مكة المكرمة، لأن الحاكم التركي لم يهتم بنشر العلم.

هكذا نرى أن المدارس كانت موجودة قبل توحيد المملكة، وكانت

(١) الديق وأبوراس، الملك عبدالعزيز والتعليم، ص ٨٩.

(٢) محمد الشامخ، التعليم في مكة والمدينة، ص ١٠٣.

لها إسهامات في نشر العلم، فاستوعبت في نظام التعليم الجديد الذي أرسى قواعده الملك عبدالعزيز. وأهم ملامح السياسة التعليمية الجديدة كان:

- ١ - الإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.
- ٢ - إن الوجود كله خاضع لله تعالى.
- ٣ - طلب العلم فرض على كل مسلم.
- ٤ - العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم.
- ٥ - الحياة الدنيا مرحلة اختبار وعمل، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.
- ٦ - الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية، والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها، وتباين ديارها. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٧ - شخصية المملكة متميزة بالعقيدة والشريعة.
- ٨ - الدعوة للإسلام في أنحاء الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد.

بناء على هذه السياسة أخذ الملك عبدالعزيز ينظم الجهود، ويوحد الصفوف لنشر العلم، وعلى الدعوة تعليم الناس أحكام الإسلام ونشر مفاهيمه بين طبقات الأمة. يقول - رحمه الله -: «قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه والبركة في العمل».

إن عبدالعزيز لم يقيم بتوحيد المملكة، وبناء صرحها على أساس الشريعة الغراء فحسب، بل إنه سعى في تخليصها من التخلف، وجاهد في عملية النمو الحضاري للبلاد، وقد كان اهتمامه بنشر العلم والمعرفة واحداً من تلك الإنجازات العظيمة إلى أن قضى على الجهل والأمية بنسبة كبيرة، لأن أي حضارة لأي أمة من الأمم لا تقوم إلا على العلم.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.





مر التعليم في عهد الملك عبدالعزيز بمرحلتين :  
 المرحلة الأولى : تركز فيها الاهتمام على تعليم البادية عن طريق إنشاء  
 الهجر، وبناء المساجد، وإرسال الوعاظ والمرشدين لعقد حلقات التدريس  
 والإرشاد. وقد كان المسجد مكاناً للعبادة، وداراً للعلم ومنطلقاً للدعوة.  
 هذا بعد أن شاع في نفوس أهل البادية طمأنينة الأمن والاستقرار وأزيلت  
 عنهم ظلمات الأمية بنور العلم الشرعي، وبث روح الخلق الإسلامي.  
 وعليه يمكن اعتبار إنشاء الهجر أول محاولة للتعليم قام بها الملك في  
 هذا المجال، وقد كان نظاماً دينياً تربوياً عقائدياً، وقد كانت الهجرة تبنى  
 بعد ما يشاد المسجد الذي يكون مركزاً لتأدية الصلاة، ومركزاً للشورى،  
 والإرشاد والتوعية ومحاربة الجهل، وكان الوعاظ والمرشدون (المطاوعة)  
 النواة الأولى للتعليم في نجد.

المرحلة الثانية : وتبدأ بعد ضم الحجاز إلى نجد. وقد بدأ عبدالعزيز  
 هذه المرحلة بإنشاء مديرية المعارف في مكة سنة ١٣٤٤هـ، وبدأت مهمتها  
 مع إدخال المناهج الشرعية والعلمية في مراحل التعليم، وإنشاء هذه المديرية  
 انتهى نظام التعليم غير المنظم، وحل محله تعليم حكومي منظم، وموجه  
 لخدمة سياسة الدولة وهو مجاناً، بل يصرف رواتب تشجيعية للطلبة. ثم  
 تحولت المديرية إلى وزارة سنة ١٣٧٣هـ. وبين فترة إنشاء المديرية وتحويلها  
 إلى وزارة، شهدت المملكة إنشاء صروح تعليمية كثيرة منها :

١ - المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة ١٣٤٥هـ.

٢ - مدرسة تحضير البعثات بالعاصمة ١٣٥٥هـ.

٣ - مدرسة الأمراء سنة ١٣٥٤هـ بالرياض.

٤ - دار التوحيد بالطائف ١٣٦٤هـ.

٥ - كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٣٦٩هـ.

٦ - معهد الرياض العلمي ١٣٧٠هـ.

٧- كلية الشريعة بالرياض ١٣٧٣ هـ.

وقد كانت تلك نواة للتعليم ونهضته.

عندما أنشئ مجلس الشورى كان اختصاصه تعميم التعليم الديني<sup>(١)</sup> في البلاد.

«وأمر الملك بتوفير الكتب الدينية وطباعتها على حسابه الخاص، وطبعت كذلك النفاثس من كتب التراث والعلم المهمة، أو ما يتصل بالدعوة أو الكتب الأدبية والشعرية، وكان معروفاً أن جلساء الملك عبدالعزيز من صفوة الرجال علماً وأدباً ورجاحة عقل».

وقد كان يأمر بشراء كميات كبيرة بقصد التوزيع على طلبة العلم، بل أمر بمنح المكافآت لطلاب العلم، مما أوجد طبقة من المثقفين تسلحت بسلاح العلم والعقيدة الإسلامية الصحيحة. لقد كان الملك مع اعتزازه بتراث الإسلام، وحفاظه على مبادئها الروحية، وتمسكه بتعاليم الإسلام، متفتحاً على روح العصر يريد أن يأخذ من المدنية كل ما ينهض بدولته ويرتقي بأمته، عازفاً عن القشور، حريصاً على اللباب<sup>(٢)</sup>.

لقد سارت حركة التعليم في عهده - يرحمه الله - على الأسس والأهداف الإسلامية، وأهمها العلوم الشرعية والعقيدة، واللغة العربية كأساس لبناء الفرد، وقد وضع عبدالعزيز كل إمكانات الدولة، وبذل كل غال ونفيس في سبيل نشر العلم ومحو الأمية.

ففي الجنوب كان الشيخ عبدالله القرعاوي موفداً من الملك ليستفيد منه أهل الجنوب، فبلغ عدد المدارس ٢٨٠٠ مدرسة<sup>(٣)</sup>، وعدد الطلاب

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١١.

(٢) عبدالعزيز الرفاعي: عناية الملك بنشر الكتب، ص ٩، ١٠.

(٣) الفيقي، السمط الحاوي، ص ٧٩.



نحو ٧٥ ألفاً، وكذلك أرسل الدعاة والمعلمين إلى جميع مناطق المملكة فكانوا يتنقلون بين الحواضر والبوادي ويعلمونهم أمور دينهم في العقيدة والفقهاء.

وبإيجاز فإن كل تاريخ للتعليم كان بداية مع تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - .

إن أسس التعليم في المملكة كان قائماً على الآتي:

- ١ - المدارس النظامية في المدن والقرى الكبرى .
- ٢ - المطاوعة والمرشدون في (الهجر) والقبائل .
- ٣ - البعثات إلى الخارج .
- ٤ - التعليم الأهلي .

وفيما يلي بيان يوضح إجمالي المدارس والمدرسين والطلاب سنة

١٣٦٩هـ - (١٩٥٠م) .

السنة	عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م	١٤٦	٦٣٤	١٦٠٢٩
١٣٧٠هـ / ١٩٥١م	١٩٦	٩٤٣	٢٣٨٣٥
١٩٧٣هـ / ١٩٥٣م	٣٢٦	١٦٥٢	٤٣٧٣٤

من العقبات التي واجهتها مديرية المعارف العامة في البدء في الحجاز هو خلو المدارس الابتدائية والأولية كلها أو معظمها من المعلمين، فعالجت ذلك بإنشاء مدرسة (المعهد العلمي السعودي) مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، ومهمته إعداد المدرسين للابتدائي والأولي .

أما المطاوعة فقد انتشروا في الهجر والقبائل، وأول ما عليهم أن يعلموه: القرآن الكريم، وأركان الإسلام، والعبادات ومبادئ المعاملات، والقراءة والكتابة وبعض المعلومات لفائدة الدين والدنيا. بالإضافة لذلك

فالمطوع هو الواعظ وخطيب المسجد والمتولي عقود الزواج .

### البعثات

إلى جانب إنشاء المعهد العلمي في مكة عام ١٣٤٦هـ، كان إرسال أول بعثة من خريجي المدارس، وتعاقب بعد ذلك إرسال البعثات الذي يعد من أهم أعمال المعارف في المملكة . وكانت البعثة المرسله إلى مصر مكونة من ٥ طلاب للعلوم، و٢ للقضاء الشرعي، ٢ للحقوق، وواحد لكل من الطب، ومدرسة المعلمين، والتجارة، وكلية اللغة العربية وتحسين الخطوط<sup>(١)</sup> .

### التعليم الأهلي

هذا التعليم كان له فضل كبير في النهضة التعليمية، ومعظم خريجه اضطلعوا بالأعمال الحكومية في الدولة . وأهم هذه المدارس : الصولتية، الفائزين، الترقى العلمية، مدرسة أندونيسيا وغيرهم . وقد كان عدد الطلاب في هذه المدارس سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م ٥٢٧٧ طالباً . كما أرسل حوالي خمسين شاباً من أهل نجد للمعهد السعودي في مكة، وأكمل منهم ١٢ دراستهم منهم القاضي ومدير المدرسة والمدرس .

(١) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد عبدالعزيز، ص ٦٣٧ .



## المبحث الرابع

### تنقية العقيدة

المطلب الأول: تقرير العقيدة الصحيحة

أولاً: تقرير الرسل واتباعهم العقيدة الصحيحة :

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) (١) .

فهناك غاية محددة لوجود الجن والانس تتمثل في وظيفة، من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، وهذه الوظيفة هي العبادة لله، أو هي العبودية لله .

وحقيقة العبادة أمران الأول منهما استقرار معنى العبودية لله في النفس، فليس ثمة إلا رب واحد، والثاني هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير والجوارح والحياة، خالصة لله تعالى .

العقيدة الإسلامية ناصعة وواضحة، فالله يأمر عباده بالخير وينهاهم عن الشر (٢) . ولقد من الله على هذه البلاد بأن جعلها موطناً لدعوة التوحيد، ووضع فيها أول بيت لعبادة الله وحده لا شريك له . فتوحيد الله تعالى هو أول نداء نادى به كل رسول في قومه (والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣) يوحد حكاية ما قالوه، وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية على مدار التاريخ .

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ .

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ٣، ص ١٤٠٤ .

(٣) سورة هود، الآية: ٦١ .

«لقد جاءت الرسل بالتوحيد الخالص وبربوية رب العالمين وبالحساب يوم الدين، ولكن الانحرافات في خط الاعتقاد تمثلت في صور شتى من المعتقدات الجاهلية».

ويجب أن تكون الرغبة في التشريعات الإسلامية منبثقة عن الرغبة في إخلاص العبودية لله، والتحرر من أي سلطان سواه<sup>(١)</sup>.

سلك الملك عبدالعزيز منهجاً قوياً في ترسيخ العقيدة الصحيحة في البلاد، وقد مكّنه هذا المنهج من إحلال الأمن والاستقرار والرخاء، وهو يقوم على ثلاث دعائم:

- ١ - توحيد الله وعبادته.
- ٢ - تطبيق الشريعة الإسلامية.
- ٣ - السعي إلى وحدة الأمة.

وجهود الملك عبدالعزيز في تقرير العقيدة الصحيحة كانت امتداداً لجهود الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي ركزت في أمرين:  
الأول: دعوة الناس إلى تجريد العبادة لله وحده، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

الثاني: دعوة الناس، خصوصاً الحكام إلى تحكيم شريعة الله وحدها.  
وبناءً على هذه الأسس للدعوة السلفية وفي مجال تقرير العقيدة الصحيحة هنالك ثلاث نقاط ينبغي إيضاها هي:

- أ - تمسك الملك بعقيدة التوحيد.
- ب - جهوده في تقرير العقيدة الصحيحة في المملكة بوادئها وحواضرها.
- ج - جهوده في الدعوة إلى هذه العقيدة الصافية عالمياً من خلال السياسة الدولية.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٣ / ١٤٠٢هـ.



«والمملك عبدالعزيز رجل موحد أخلص لله التوحيد في خاصة نفسه ملتزم منهج السلف الصالح في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يدعو غير الله ولا يُشْرَع ما لم يأذن به الله»<sup>(١)</sup>. ومن الأدلة الواضحة على تمسكه بعقيدة التوحيد:

- ١ - محبته للتوحيد وإخلاصه له، فاختر الشهادتين شعاراً وعملاً.
- ٢ - اعتبار التوحيد القاعدة الأساسية في حياة المسلمين.
- ٣ - كان يقطاً فلم يتفوه بلفظ يجرح التوحيد.

ففي أحد مجالسه في الخرج ١٧ ذي الحجة ١٣٦٣هـ دخل عليه شاعر من نجد واستأذنه في قصيدة مطلعها:

أنت أملنا وفيك الرجاء . . .

فصاح عبدالعزيز قائلاً: تخساً . . تخساً، ولمح في المجلس أحد طلبه العلم، فقال له: علمه التوحيد»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الألفاظ من معاني توحيد الألوهية، وهو يعلم أنه لا يجوز صرف شيء منها لغير الله. قال رحمه الله: «أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصالح وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وما جاء عن الخلفاء الراشدين. ويقول - يرحمه الله -: «إني أفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده، على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وهي على حالتها من الكفر والضلال. اللهم إنك تعلم أني أحب من تحب وأبغض من تبغض. إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب وإنما يهمننا القيام بحق واجب كلمة التوحيد»<sup>(٣)</sup>.

(١) عبدالعزيز آل الشيخ: جهود الملك في خدمة العقيدة، ص ٢.

(٢) سعود الدريب: الملك عبدالعزيز والتنظيم القضائي في المملكة، ص ٢٣.

(٣) عبدالله عبدالمحسن التركي: منهج عبدالعزيز في السياسة الدولية، ص ٣٨.

لقد كان الملك عبدالعزيز داعية للتوحيد بقوله وفعله وقد اقتدى به عدد من دعاة التوحيد في العالم العربي والإسلامي، ولم يقتصر الأمر على مجرد النصائح، بل تعداه إلى الدعم المادي والمعنوي لهؤلاء الدعاة، وفي سبيل هذه العقيدة يقف عبدالعزيز أمام تيارات الوثنية والخرافات الشركية.

هكذا ترى تمسكه بالعقيدة التي يعتبرها منبع كل خير، ومن ثم لم يفكر أن يأتي قومه بمذاهب فكرية مستوردة غريبة على عقول أمته ومعتقداتهم، وتمسك بعقيدة التوحيد حتى وصف بأنه: «الإسلامي الداعية للحل الإسلامي»<sup>(١)</sup> وأوصى ولي عهده فقال: تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

- ١ - نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك ودينك إعلاء كلمة التوحيد.
- ٢ - النظر في شؤون من سيوليك الله أمرهم والعدل في المحب والمبغض وتحكيم الشريعة.
- ٣ - أن تنظر في أمر المسلمين عامة.

(١) محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي، ص ٣٢.





## المبحث الخامس

### نشر العقيدة

إن الدعوة السلفية التي نادى بتصحيح العقيدة لم تزل تنمو وتتسع بعد وفاة مؤسسها الأوائل محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود حتى بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مبلغاً عظيماً، ورفرت أعلام التوحيد على ربوع نجد كلها، حتى بلغت أطراف سوريا والعراق وعمان .

فكرت الدولة التركية في الخلاص من هذه الدعوة، خوفاً مما وصلت إليه من قوة هائلة، فذهبت تنشر الدعاية السيئة ضد هذه الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية، وألفت الكتب وارتفعت الأصوات على المنابر تقدح في الوهابيين وترميهم بكبائر الأمور، بل إنهم أرسلوا الجيوش لمحاولة ضرب هذه الدعوة وإضعافها<sup>(١)</sup> .

بهذه القوى المتضاربة ضعف سلطان آل سعود، وضعفت الدعوة واستولى حلفاء الأتراك على البلاد، وأحرقوا كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان نتاج هذه الاضطرابات عودة الناس إلى جاهليتهم الأولى، وعودة الخرافات وأمور الشرك .

لما حمل الملك عبدالعزيز راية الدعوة أدرك أن هذه الأمور الشركية قد تغلغلت جذورها في النفوس وترسخت المفاصد، ولقد كان عبدالعزيز يدرك خطورة البداوة على مبادئ الدعوة السلفية، وأن الجبلية التي فطرت عليها القبائل أورثتها عادات وتقاليد تتنافى مع تعاليم الدعوة<sup>(٢)</sup> .

(١) عبدالله القصيمي: الثورة الوهابية، ص ٢٨ .

(٢) الزركلي: شبه الجزيرة، ج ٢٥٩/١ وما بعدها .

لقد شخّص الملك عبدالعزيز الداء، واتضحَت سياسته الحكيمة في معالجة الشرك والخرافات التي اتسمت بها التقاليد في البداية، فرأى في التوطين والاستقرار وتصحيح العقيدة الدواء الناجح، حيث لا يمكن أن تتغير هذه المعتقدات إلا بوازع من الدين وإعادة البدو إلى عقيدتهم السلفية، وإزالة هذه البدع والخرافات.

لقد نجح الملك عبدالعزيز - بتوفيق الله - في أن يزيل سائر مظاهر الشرك، وأسس دولته على الإخلاص لله وحده، حتى كان القوم يعتزون بأنهم «أهل التوحيد» ويرددون في معاركهم «نحن أهل التوحيد».

عندما دخل الملك جدة سنة ١٣٤٤هـ قام بهدم قبة حواء، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وأبطل البدع التي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

اجتمع علماء نجد والحجاز، وتباحثوا في مسائل من الشرع في جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، وأصدر علماء مكة بياناً بالاتفاق مع علماء نجد جاء فيه:

١ - إن من جعل بينه وبين الله وسائط لجلب نفع أو دفع ضرر فهو كافر حلال الدم والمال.

٢ - إن البناء على القبور وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشرع.

٣ - من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب محرماً.

واتفق العلماء على نشر هذا البيان الذي من خلاله اتضحَت وحدة العقيدة في أنحاء المملكة. يقول الملك: «إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والضلالات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله ﷺ».

ومن أمثلة حماية الملك عبدالعزيز للعقيدة الإسلامية نورد الآتي:

(١) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ص ١٥٣.



١ - حرصه على إزالة جميع مظاهر الشرك المنتشرة عند بعض المسلمين مثل البناء على القبور، وكذلك هدم صنم ذا الخلصة في منطقة تبالة قرب بيشة، ونكّل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها.

٢ - حماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى وشيوعيين وغيرهم، وتحريم دخول المنصرين إليها، أو وجود صلبان.

٣ - تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>. حرص الملك على إلغاء جميع القوانين التي كانت موجودة من بقايا الدول السابقة، وقد حث العلماء على إصدار فتوى بذلك فصدرت بتاريخ ٨ شعبان ١٣٤٥هـ، جاء فيها: «وأما القوانين فإن كان موجوداً منها شيء فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: جهود الملك عبدالعزيز في نشر الدعوة للعقيدة السلفية عالمياً:

قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، فالخطاب موجه إلى كل الناس «النداء للناس كافة والأمر للبشرية جمعاء أن تختار الصورة الكريمة الواضحة، إنه النداء لجميع الناس لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، ربهم الذي تفرّد بالخلق فوجب أن يفرد بالعبادة»<sup>(٤)</sup>.

انطلاقاً من هذا سعى الملك يدعو إلى العقيدة السلفية عالمياً عن طريق استغلال مواسم الحج في الدعوة، وإيصالها إلى البلدان المختلفة عن طريق نشر الكتب وتوزيعها في البلاد المختلفة مجاناً.

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) الدرر السنوية ٣١٩/٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن ج ١ ص ٤٦.

كان عبدالعزيز وفي مأدبة كبرى يلتقي علماء الدول والحجاج يدعوهم فيها إلى الله وإخلاص العبودية له، وهكذا نرى أن جهاده كان مرتكزاً على تحقيق التوحيد، وهو يؤمن باستمرارية الحركة التي قادها وعالمية رسالتها، حتى وإن اضطر هو إلى الاكتفاء بما حققه جيله.

قال الملك عبدالعزيز لبروكلمان: «إذا وفق الله أولادي كما وفقني فسوف يتولون مقدرات مئة مليون مسلم»<sup>(١)</sup>.

أما المجال الثاني الذي نشط فيه عبدالعزيز في مجال تصحيح العقيدة عالمياً، فهو اجتهاده في إخراج المؤلفات القيمة التي تهتم بنشر العقيدة السلفية، وتطهير العقيدة من أدران الشرك، لاسيما كتب الشيخ ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب وأوصلت هذه الكتب إلى أيدي الناس في البلدان المختلفة ووزعت مجاناً.

«لقد نفعت هذه الدعوة وأحدثت نتائج طيبة في الخارج، فقد كان المسلمون في كل مكان مثل النجديين قبل الدعوة في الدين والعقائد آراء في منتهى الفظاعة والطرافة».

قال الملك يرحمه الله: «الإسلام عزيز علي، ورهبتة في قلوب أعدائه كبيرة، فواجب المسلم أن يقوم بالدعوة إلى عبادة الله خالصة».

وقال: «إن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو: الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله»<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي، ص ٣٥.

(٢) عبدالله التركي: الملك والمملكة والمنهج، ص ٧٤.



## المبحث السادس

### اهتمام الملك عبدالعزيز بالدعوة من خلال خطبه ومكاتبته

الداعية المؤمن بفكرة ما يدعو إليها بالكتابة أو الخطابة أو الحديث العادي، أو العمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة بكل ما يستطيع من وسائل الدعوة، فهو كاتب وخطيب يؤثر في الناس بعمله وشخصه، وهو طبيب يعالج أمراض النفوس، وهو ناقد يقف حياته على الإصلاح.

فالداعية قائد وسياسي وزعيم، ولا ينتهي عمله بمجرد الإفصاح، بل يجب عليه أن يوضح. وتعتبر الخطابة من أكثر الوسائل شيوعاً وتأثيراً في دعوة الجماهير. وقلب الخطيب متصل بعقله، فينبغي أن يستعد للخطابة بأن يكون قلبه ممتلئاً بالعاطفة وعقله ممتلئاً بالمعلومات.

وموقف الخطيب ليس سهلاً، ولا يحسنه من الدعاة إلا القليل حتى افتتحت في العصر الحديث العديد من المعاهد لهذا الغرض<sup>(١)</sup>. وقد استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب في نشر دعوته لكثرة فائدته وعظيم جدواه.

أما الرسائل والمكاتبات فلا تقل أهميتها عن الخطابة. وتأسياً بالرسول ﷺ، قام عبدالعزيز يدعو إلى الله من خلال الخطب والمكاتبات والرسائل، وذلك باعتبارها من الوسائل المؤثرة قديماً وحديثاً، وبما وهبه الله من قدرة على البيان والإقناع، فهو خطيب مفوه له قدرة عظيمة على إثارة العواطف<sup>(٢)</sup>.

فالخطابة تكاد تكون في نظر الجميع أهم مواهب البيان الثلاثة، خاصة

(١) عبد البديع صقر: كيف ندعو الناس، ص ٣٩.

(٢) عبد المنعم غلامي: الملك الراشد، ص ٣١٢.

لمن يتولى قيادة الأمة وهو مضطر أن يقنعهم في بيانه الخطابي، وإذا كان الأمر كذلك، فإن لعبدالعزیز الباع الوافر في هذا الميدان.

وقد لخص الملك منهجه لبناء المجتمع في عبارة واحدة، فقال: «دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ، فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موة سعيدة»<sup>(١)</sup>.

إن هذه العبارة تعتبر أقصر برنامج إصلاحی في التاريخ الحديث، فضلاً عن وضوحها وأحكامها ودقتها.

ولعل أهل ما يميز خطب الملك عبدالعزیز حرصه فيها على ألا يقول إلا صدقاً، مما يجعل مواهبه الخطابية ذات قيمة عظيمة، وكان يخاطب البدوي بلهجة البدوي، والحضري بلهجة الحضري، وما استمع أجنبي إليه إلا خرج مفتوناً بحديثه. لقد كان سياسياً في أجوبته، فلا يقول كل ما يعرفه، ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة، وسر القوة في حجته أن عقله كان يسبق لسانه، وكانت خطبه تبصر بجملة أحكام شرعية، وتصحح بعض المفاهيم التي تروج بين الناس، وتناقش القضايا المهمة.

قال - يرحمه الله - في حفلة الديوان العالي بأجیاد يوم ٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ: «تكاثر النعم والحمد لله وهي ليست من عمل المخلوق ويجب أن نتعظ بالماضي لأن الإنسان الذي لا يتعظ بالماضي لا يكون التوفيق حليفه في المستقبل، فكم من قبيلة وعشيرة أرسل الله إليها الرسل كعاد وشمود ولكنها لم تتعظ فأبأدها الله.

قلنا لنا أموال وصناعات وهي من نعيم الدنيا زائلة لا محالة ولكن هناك نعمة حقيقية لا تزول، وجزئية لا ينضب معينها هي: الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله، وهذه النعمة مشروعة في كل مكان ولكنها لهذه البقعة المباركة

(١) فهد المارك: من شيم الملك عبدالعزیز، ج ٣، ص ٩٩.



ألزم. لأن الحسنات والسيئات تتضاعف فيها، فالواجب هو معرفة الله تعالى، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وترك البدع والخرافات، والتأدب بأداب الشريعة السمحة وتوثيق عرى الألفة وأواصر النصيحة والإخلاص».

وقال - يرحمه الله - في حفل أقامته أمانة العاصمة في مكة ١ ذو الحجة ١٣٤٨ هـ: «أحمد الله أن أتاح لنا هذه الاجتماعات وليس الغرض منها الأكل والزينات وإنما المهم أن نتذكر مع إخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله فهذا جل ما نقصد من هذه الاجتماعات، إن المقصود من هذا الاجتماع أن نجدد رسم الإسلام ونعمل بمعناه، فالإسلام هو الاستسلام لله تعالى، والإيمان بكتابه ورسوله، وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الخلفاء الراشدين، وما اتفق عليه الصحابة وما جاء به الأئمة الأربعة فهو حق لا نحيد عنه قط. والغاية من هذا الاجتماع التعارف والتآلف».

إن من المسائل التي يجب أن نعمل بها هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علفت بالدين وهو برىء منها. يقولون الحرية ويدعي البعض أنها من وضع الأوربيين والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكاملة لحقوق الإنسان جميعاً والإخاء والمساواة المطلقة بينهم. لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، وإنما فخري بالدين الإسلامي وإنما دعاء مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه. نحن دعاء إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، ودعاء إلى العروة الوثقى لا انفصام لها».

ومن خطبه في مكة المكرمة ١٩ صفر ١٣٥٦ هـ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «إن الحياة المجردة عن الدين، والزاهرة بأنواع القوة ليست حياة، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة، أما التي تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يثمر».

إن الدين الإسلامي الصحيح في نظري هو أساس الرقي، ومن اعترضنا في ديننا أو وطننا قاتلناه ولو كان أهل الأرض، وليس معنى هذا أن المتمسكين بالدين يجب عليهم عدم الأخذ بأسباب القوة».

ويلاحظ من خطب الملك عبدالعزيز أنها تتضمن ما يأتي:

- ١ - سهولة الألفاظ .
- ٢ - الاستشهاد بالقرآن والأحاديث .
- ٣ - ملامسة عقول الناس .
- ٤ - يتخللها الوعظ .
- ٥ - ربط الحاضر بالماضي والاستفادة منه للمستقبل .
- ٦ - تخير المناسبات .
- ٧ - أساس الخطب دعوى تتضمن التوحيد، والتمسك بالكتاب والسنة، ونبذ البدع والالتزام بآداب الشريعة، وإخلاص النية في الأعمال كلها، وتوثيق عرى المودة والألفة بين المسلمين .

وفي حديث بينه وبين مندوبي الصحف العربية وسؤاله هل سيزور بعض الدول العربية والأوروبية أجاب: «الجماعة شوقوني لرؤية أوروبا، ولكني ما أحب أن أفارق بلادي، وأكثر ما أخشاه الصحفيون، لأنهم يهندسون الكلام، وأنا رجل تربيتي بدوية لا أجيد هندسة الكلام، وسئل عن المحاولة الأثمة لاغتياله من قبل ثلاثة يمينيين، فأجاب إنهم ليس فيهم دين يمنعهم وأنا ليس يهمني سوى إقامة كلمة التوحيد .

وسئل عن قضية فلسطين فأجاب: «إنني أتمنى لها كل خير وسعادة لأنها بلد عربي وفيها المسجد الأقصى والذي قال عنه الرسول ﷺ: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».





كان - يرحمه الله - يوصي في مكاتباته الخاصة والعامة بالتمسك بتعاليم الدين الحنيف. فقد كتب للشيخ عبدالعزيز عكاس عندما تولى قضاء الأحساء: «السلام عليكم بعد ذلك من يوم تاريخه إنشاء الله تتولى النظر في قضاء الأحساء، فقد وليتك ذلك والذي أوصيك به ونفسي تقوى الله، وتحكيم الشريعة الغراء والسهر على ذلك والله تعالى أسأل أن يتولى إعانة الجميع وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الصواب بمنه وكرمه آمين» ٢٨ محرم ١٣٤١هـ.

ومن رسائله للمسلمين عامة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز عبدالرحمن آل فيصل إلى من يراه من إخواننا المسلمين، وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات والإقلاع من الذنوب والسيئات، أما بعد فالموجب لهذا هو النصيحة لكم والشفقة عليكم لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتقوى هي للأولين والآخرين. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنه لإصلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك سبب صلاحهم وخلصهم في معاشهم ومعادهم وبتركة والتغافل عنه يكثر الفساد وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين وبقوته يقوى أهل الإيمان وبضعفه يضعف

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

الإيمان .

إن الذنوب والمعاصي من أعظم الموجبات لحلول العقوبات والنقمة، فارغبوا عباد الله إلى الله بالدعاء والاستغفار وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وعظموا أمر ربكم ونهيه، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «ما نهيتكم عنه فانتهاها وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» فاستدفعوا عنكم العقوبات بالتوبة النصوح<sup>(١)</sup> .

(١) هذا آخر ما وجد من الرسالة كتاب (وثائقنا الوطنية) ص ٢٨٨ .





## الفصل السابع

### وسائل الدعوة الأصلية

تمهيد عن وسائل الدعوة.

المبحث الأول: إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: تعيين المفتين والقضاة.

المبحث الثالث: التعليم في المساجد.

المبحث الرابع: الخطابة وتعيين أئمة المساجد.

المبحث الخامس: إرسال العلماء والدعاة إلى البوادي والهجر.

المبحث السادس: رسائل العلماء ومكاتباتهم.

المبحث السابع: التعريف بالمنهج خارج المملكة.

المبحث الثامن: استقبال الوفود.

المبحث التاسع: إقامة الجهاد.

المبحث العاشر: إنشاء المدارس.





**تمهيد**

كانت وسائل نشر الدعوة الإسلامية سابقاً عن طريق المخاطبة المباشرة، أو الرسائل والمكاتبات واستغلال التجمعات في المساجد وغيرها. أما في العصر الحديث فقد وجدت وسائل أخرى سريعة الانتشار بإمكانها نقل الخبر إلى أنحاء المعمورة فور وقوعه.

إن هذه الوسائل سواء كانت مقروءة أو مسموعة تؤثر في أفكار الفرد وسلوكه، بما يؤهلها لأن تكون أدوات مؤثرة في نجاح الدعوة الإسلامية.

**الوسيلة**

في اللغة من الفعل وسل يسل وسلاً أي رغب وتقرب فنقول: توسل فلان إلى الله: أي عمل عملاً يتقرب به إليه. والوسيلة: الوصلة الوسيلة القربى: والوسيلة درجة النبي ﷺ في الجنة.

والوسيلة اصطلاحاً: هي كل ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة إلى الناس بشكل نافع مثمر.

فالكاتب الذي يكتب قطعة أدبية فكتابته أسلوب، والصحيفة التي تنقل هذه القطعة للقراء وسيلة. وقد كان الأنبياء عليهم السلام يسلكون في دعوتهم أنسب الوسائل بالنسبة إلى عصورهم، وظلت هذه الوسائل تتطور مع تغير الأحوال والحضارات.

ويجب على الدعاة إلى الله أن يختاروا مما ظهر من أساليب الدعوة وطرق التبليغ في زمنهم ما يجعل لجهودهم الأثر الفعال<sup>(١)</sup>.

فهذا موسى عليه السلام يتقدم بتعاليم التوراة إلى أمته مكتوبة على الألواح. قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُمْ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً

(١) عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة، ص ٤٢٩.



وَتَقْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿١٤٥﴾ . والمقصود أن طرق الأنبياء في الدعوة لم تكن جامدة متحجرة، بل كانت تتغير مع تغير حياة البشر، الأمر الذي يدل على أن دعاة الحق أحق باستخدام ما جاء به العلم من وسائل وتسهيلات وتوافر المعلومات من غيرهم .

إن وسائل الدعوة لا بد وأن تتطور مع تطور العلم والمدنية . فالصحافة والإذاعة والتلفاز لها قوة في التعليم والدعاية لا يمكن إغفالها، مما جعلها وسائل لتبليغ الدعوة إلى الله أكثر فاعلية من غيرها .

ولهذا فإنه يجب على الدعاة إلى الله أن يستغلوا هذه الوسائل الحديثة أحسن استغلال، وأن يعرضوا الدعوة بأحدث الطرق حتى تكون مواجهة الباطل مواجهة قوية دامغة .

لقد استخدم النبي ﷺ جميع الوسائل التي راجت في الحياة الاجتماعية التي عاصرها لما رآها تعين على بث الدعوة، وذلك بنظام الدعوات، أو حينما يذهب إلى رؤساء الحجاج بمناسبة موسم الحج، كما بعث سفراء إلى بعض الأعيان وكبار القوم، وكانت تقام في الجزيرة العربية أسواق فصلية يرتادها الناس، على اختلاف طبقاتهم، فكان الرسول ﷺ، ينتهز هذه الفرصة ويتردد على هذه الأسواق، يدعو القوم إلى الله ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، كما أنه استخدم وسيلة المراسلة إلى كثير من الملوك كما أشرنا سابقاً .

وقد تنوعت أساليب الدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز، فكانت هناك وسائل أصلية معروفة كما ظهرت وسائل حديثة .

## المبحث الأول

## إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن المملكة العربية السعودية دولة قامت على أسس إسلامية، فلذا انفردت بإنشاء ولاية للاحتساب، رغبة منها في الحفاظ على الأخلاق العامة للمجتمع وحماية للشريعة الإسلامية. ثم تم على يد الملك عبدالعزيز، تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة بعد فتح الحجاز سنة ١٣٤٢هـ.

إن الحسبة في الإسلام تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتولى أمر الاحتساب، حيث تسعى هذه الهيئة إلى إقامة صرح هذه الولاية الدينية المهمة (ولاية الحسبة).

والحسبة في تعريف الفقهاء: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه أو نهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(١)</sup>.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل له فروع كثيرة من بينها الحسبة، فالصلة وثيقة بين مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصطلح قرآني يعبر عن مهمة الرسل ووظيفة الأنبياء، كل بما أرسل معه، ولمن أرسل إليه. وإلى هذا يشير القرآن الكريم من حديث لقمان لابنه: ﴿يَبْنِيْ أَقْرَبَ الصَّكْلُوَةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٢)</sup>. فهو مبدأ إلهي عام جاء به المرسلون وعليه أقيم دين الله.

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٤١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.





قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن جميع الولايات الإسلامية، إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله»<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي في تفسيره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِنْدَ حَقِّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه الآية دلت على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة، وقد نزلت في بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا يقتلون من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد لعنهم الله في الآية ٢١ من سورة آل عمران.

وقال أبو حبان: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>:  
ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك أي لا ينهى بعضهم عن بعض».

والاحتساب برز مع بداية الدعوة الإسلامية، حيث قام الرسول ﷺ في مكة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، باعتباره من أوضح السبل لنشر الدعوة. وليس في نصوص الكتاب والسنة ما يجعل واجب الحسبة مخصصاً بفتة دون فتة. ولا شك أن المحتسب داعية إلى الله، فهو يدعو إلى الخير ويحذر من ضده. وهناك قسمان من القائمين بالحسبة:

١ - المحتسب الفرد، فهي ثابتة لكل فرد فيهم، وهي لا تتوقف إلا على مدى قدرة المكلفين. ويمكن الاستدلال على ذلك من ترتيب مراتب الاحتساب، وهي اليد واللسان والقلب. أما مرحلة الإنكار القلبي،

(١) ابن تيمية، الحسبة، ص ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

فالقدره عليها عامه ممكنه، لأنه لا سلطان على القلب، ولا يعلم ما فيه ولا يحاسب عليه إلا الله .

والمحتسب الفرد يكون من عامه المسلمين إذا كان الأمر متعلقاً بما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولا يحتاج لاجتهاد. ويكون المحتسب الفرد من العلماء إذا احتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى فقه واجتهاد حتى لا يسود الأمر غير أهله .

٢ - المحتسب الموظف: وهو موظف يكلفه ولي الأمر للقيام بهذا الواجب، ويكون مسؤولاً أمام ولي الأمر، وينوب عنه ممثلون باختصاصات مكانية أو نوعية، يمارسون الحسبة في مجالات متعددة. وهذه الصورة تلائم الدولة الحديثة بما هي عليه من تقسيم في العمل، وتنوع في الاختصاصات، وتطور في العلوم والحرف والصناعات، حتى أصبحت الحسبة تحتاج إلى موظفين على دراية معينة يصعب جمعهم في إدارة واحدة<sup>(١)</sup> .

هكذا نرى أن المحتسب الفرد تجب عليه الحسبة وجوباً كفائياً في أغلب الحالات. أما المحتسب الموظف فتجب عليه الحسبة وجوباً عينياً في جميع الحالات .

وقد تولى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مسؤولية الحسبة، فبدأ نشاطاً مكثفاً في الدعوة إلى الله عن طريق الرسائل واللقاءات، واستطاع أن يقوم بإزالة الكثير من عناصر الشرك والبدع، كما قام بتنفيذ الحدود على مرتكبيها، ثم بايع الإمام محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الشرائع الإسلامية، وبذلك أصبحت للشيخ محمد بن عبد الوهاب صلاحيات تجعله يقوم بواجب الحسبة، باعتبارها ولاية بعد أن كانت مجرد حسبة فردية .

(١) محمد كمال إمام، أصول الحسبة، ص ٥٩ .



أما الحسبة في الدولة السعودية الثانية فإن العلماء استمروا يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطوعاً. ويبدو أن تطوراً هاماً حدث في أمر الاحتساب مع إرهاصات في الدولة السعودية الثانية. فقد صدرت أوامر الإمام فيصل بن تركي بإنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أول خطاب ألقاه على الشعب سنة ١٢٣٤هـ.

والمؤرخين يذهبون إلى أن تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف تم في عصر الدولة السعودية الثالثة على يد الإمام عبدالعزيز<sup>(١)</sup>.

فعند فتح الرياض كان العلماء يقومون بواجبهم في الاحتساب على مستوى فردي منهم الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ الذي كان يقوم بها تطوعاً في مدينة الرياض، وعندما استقرت الأمور نسبياً كلف الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ ليقوم على ولاية الحسبة، ومن ثم فقد تم تنظيم أمور هذه الولاية، ويكون الشيخ عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ مساعدين لوالي الحسبة.

اتسع نطاق الحسبة، ليشمل تولى أمورها في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية، مما استدعى إنشاء عدة مراكز بمدينة الرياض زودت بأعضاء وجنود ورئيس يدير شؤونها. وبناءً على الإجراءات السابقة فقد طرأت تطورات هامة على الحسبة، فقد تحولت من المجهودات الفردية إلى الولاية الرسمية، وأصبح لوالي الحسبة شرطة خاصة، وسجن يؤدب فيه المذنبين ودوريات تمارس عملها.

هكذا أصبحت هناك هيئة يقوم هدفها الأساس على غرس قيم الشريعة، ومقاومة المخالفات، وتهيئة المناخ النفسي والأخلاقي السليم.

(١) سعد محمد إبراهيم: تاريخ المملكة، ص ١٦٤، ورايح لطفي، حالة الأمن في عهد الملك

عبدالعزيز، ص ٩٥.

لقد أعطت ولاية الحسبة العلماء في نجد صلاحيات خولها لهم التفويض الذي منحه لهم الملك عبدالعزيز والنصر بالجنود، والتأييد بسلطان الشرع، مما مكنهم من القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأسلوب أفضل وأيسر من الحسبة الفردية، مما خدم الدعوة الإسلامية إذ قضى على كثير من المنكرات الظاهرة.

وكان يُزجر ويهدد من زل، ويجلد إذا كرر الأمر ثانية. وكان يؤتى بتارك صلاة الفجر إلى بئر، ويسكب عليه دلو ماء، فيعرف الناس أنه معاقب، وهكذا يعاقب كل مقصر، بل وهناك مراقبة ودوريات ليلية على الأحياء والأسواق، يحقق فيه مع كل مشبوه، وينكر عليه فعلة وقد يجبس.

اتسعت مجالات الاحتساب، فشملت أنشطة العبادة والأخلاق العامة والخاصة، وذلك نظراً لتوليها وتنظيمها من ناحية السلطان. وقد كانت هنالك نماذج من المشايخ كانت لهم الخبرة الدينية والسياسية الشرعية، منهم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، وكذلك كان الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في منطقة الحجاز.

كما كان هؤلاء العلماء يجتهدون في مراجعة المسؤولين عن أسباب ظهور تلك المنكرات، والسعي في علاجها، فيتصلون بهيئة الأمر بالمعروف، ويخبرونهم بما تجدد لديهم من معلومات عن المنكرات الظاهرة، ويحثونهم على إزالتها أو تخفيفها.

كما كان هؤلاء العلماء المتطوعون للاحتساب يتصلون بالملك عبدالعزيز، ويتبادلون معه النصيح في مجال الاحتساب<sup>(١)</sup>.

بعد أن فتح الملك عبدالعزيز الحجاز أصدر أوامره بإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن كانت في نجد، فكان لذلك الفضل بعد

(١) محمد الشثري، إتحاف اللبيب، ص ١٥٣.



الله للملك في تأسيس أول هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، التي كان مقرها في مدرسة (أحمد عيد) بباب الصفا.

لقد تشكلت الهيئة من علماء مكة ونجد، برئاسة الشيخ (عبدالله الشيبلي)، وكان الأساس في إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر، وحث الناس على الطاعة. وجاء في قرار إنشائها أن أهدافها هي:

١ - تتبع المعاملات والعادات المخالفة للشرع.

٢ - منع البذاءة اللسانية التي تعودها السوق.

٣ - مراقبة المساجد والعاملين فيها.

٤ - تتخذ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل الوسائل بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن عمل رجل الحسبة لم يقتصر على البحث عن المنكرات والتأديب والتعزير، وإنما شمل عمله حمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل منع المضايقات في الشوارع والغش في الأوزان... إلخ. ولا شك أن هذه الهيئة - بنظامها المذكور - تعتبر امتداداً إسلامياً لنظام الحسبة في الإسلام حيث كان المحتسب في عصور الرسالة الزاهرة يقوم بنفس هذه المهام تقريباً، مع تخويله من السلطة ما يمكنه من إمضاء التعاليم الدينية بقوة الردع إذا اقتضى الأمر.

ولا شك أنه لن يكون للهيئة من فعاليات تمكنها من تحقيق أهدافها إلا إذا تسلحت بقوة الردع عند الضرورة. وقد كان من الأمور الجديرة بالإعجاب أن ينشئ الملك هذه الهيئة، وهو لا يزال يخوض غمار توحيد أقاليم المملكة. وهكذا أعطيت الهيئة صلاحية اتخاذ ما تراه مناسباً من وسائل عملية تكفل نجاح فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كان هناك دليلاً لعمل موظفي الهيئة واختصاصاتهم ألفه الشيخ محمد

بهجت البيطار، استند فيه على كتاب الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، كما حاول فيه أن يبين بعض المجالات الجديدة في مجال الاحتساب، والتي ظهرت في المملكة نتيجة التطور والتوسع في المعاملات بعد التوحيد<sup>(١)</sup>.

### جهود الملك الشخصية في الحسبة

عرف الملك عبدالعزيز بأنه أمر بالمعروف، ناه عن المنكر، متمسك بأحكام الشريعة قولاً وعملاً في كل المجالات، عامل بما يحقق المصلحة لبلاده وشعبه، محب للعلماء، كثير التوجيه والنصح والإرشاد لهم إيماناً منه بأن محبة الخير لإخوانه كمحبته لنفسه<sup>(٢)</sup>.

قال الملك في اجتماع له بموظفي الدولة: «نحن وضعنا جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فبلاغاتها ومقرراتها تشمل الجميع على السواء، وأنتم يا جماعة الموظفين أحق الناس باتباع أوامرها واجتناب منهياتها، فإنكم أنتم المكلفون بتنفيذها، فإذا كنتم لا تبدؤون بأنفسكم وتكونون قدوة صالحة للناس يصعب تطبيقها وتنفيذها».

لقد أمر الملك بعض منسوبي الاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنهم أحق الناس باتباع الأوامر واجتناب النواهي، وهي رأس المال، وكما ذكّرهم بوجوب سعة الصدر مع الناس، ليعطي كل ذي حق حقه. وتستخلص من عباراته السابقة، تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمور التي وصى بها، ووصفه بأنه رأس المال.

وهناك رسالة جامعة للملك وجهها لعامة المسلمين بالبلاد، يحثهم فيها على شكر النعم، وعدم التكاسل عن الصلاة، ووجوب التناصح فيما بينهم.

(١) محمد كمال إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٣٤.

(٢) الدريب: الملك عبدالعزيز ووضع قواعد... ص ٣١.



ومما ورد في الرسالة: «وجب علينا القيام على أنفسنا بالخضوع والشكر لرب العزة والنصيحة لإخواننا المسلمين، ثم بعد ذلك رأيت بعض التغافل والتماذي في أمر هذه الدنيا وذكر لي أن الناس معهم كسل في الصلاة، والمبادرة لها وهذا شيء ما هو بدليل خير فالرجاء أن تقوموا على أنفسكم وتناصحوا إخوانكم المسلمين... وتؤدوا النصيحة للخاص والعام كل على حسبه العالم على قدر علمه وموقفه وطالب العلم على قدر اقتداره والباقي من كان يقدر يقوم بما أوجب الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليه أن يقوم بذلك على قدر استطاعته على الأمر المشروع».

هذه الرسالة في حد ذاتها دعوة لتغيير النفس والمجتمع وإخضاعها للالتزام بالشرع، ومن الرسالة يتضح قيام الملك بمراقبة الأمور العبادية والسلوكية، كما يتضح فقه الملك بمراتب الاحتساب وتفاوت الإمكانيات، وهذا يدل على أنه داعية وولي أمر، ويدل على غيرته على الأمور الشرعية، واهتمامه بها وحثه الناس على تطهير المجتمع، وهو تغيير النفس والمجتمع من أجل إصلاح الأرض وتبليغ كلمة الله بالقُدوة الحسنة والسلوك الشريف، «وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

كان الملك كثيراً ما يتبادل الرسائل المتضمنة للآراء، والتشاور مع العلماء بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد وردت رسالة من أحد العلماء ينصح فيها الملك عبدالعزيز بأن يختار لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمثل من يوجد، ويحذره هذا العالم المخلص من أن يتولى أمر الاحتساب بعض العوام. ويشير هذا العالم إلى أن المحتسب العام يجب أن يكون ممن يصلحون للقضاء، وممن بهم وتبراً الذمة أمام الله سبحانه وتعالى بتوليهم الحسبة. وقد استقبل الملك الرسالة بصدر رحب، بل كان يدعو العلماء لتبادل الرأي وإرسال الرسائل إليه.

ويتضح من الرسالة السابقة، أن مناصحة الملك عبدالعزيز للريعية لا بد أن تتضمن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا إن لم يأت هذا الواجب في مقدمة نصائحه في أغلب الأحيان، كما أننا نلاحظ اهتمامه بمن يقوم بهذا العمل، وأنهم يجب أن يكونوا من أهل الخير والاستقامة.

ونتيجة لتأسيس الهيئة في مكة المكرمة، فقد أصبح لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رئاستان الأولى في الرياض والثانية في الحجاز. وغطى الاحتساب كل أقاليم المملكة بعدما أمر الملك بفتح هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع البلدان.

من الجدير بالذكر أن التطور الذي شهدته المملكة في عهد الملك عبدالعزيز والنمو الذي حدث في النواحي السياسية والإدارية في البلاد أظهرت مجالات أخرى ذات صلة بمجال الاحتساب ومنها:

١ - الجهات القضائية المختلفة.

٢ - الجهات الأمنية المختلفة.

وقد أدى ظهور هذه الهيئات على نحو منظم إلى مساعدة المحتسبين والدعاة في أداء رسالتهم وتحقيق أهدافهم، ويبدو ذلك واضحاً في مجال حماية الأخلاق والآداب العامة، كذلك في مجال حماية الشباب من الانحراف، ومقاومة المنكرات في العديد من المجالات.

إن إغفال مبدأ الحسبة أصبح مخالفة شرعية كبيرة، بل تؤثر في حيوية المجتمع الإسلامي وفاعلية الفرد المسلم. والاحتساب نظام يتأكد به دور الأمة الدعوي العام، ويؤكد دور الجماعة الإسلامية كحارسة لقيم الدين، ودور الفرد المسلم في القيام بواجبه الشرعي، ليصبح جهاز رقابة ذات فاعلية خاصة، ويمهد الطريق في مسيرة الدعوة إلى الله عن طريق تقديم الفرد المسلم الملتزم والمجتمع المسلم.





إن الحسبة تبرز أهمية المسؤولية الفردية ومكانتها في الشرع، كما تبرز أهمية الجماعة المسلمة المتفكحة الواعية ودور الأمة كلها في مجال الدعوة كل حسب قدرته.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره رقابة المسلمين على الشريعة في المجتمع الإسلامي لم يتوقف في يوم من الأيام فما دام كان هناك إسلام ومسلمون، فلا بد أن يوجد فيهم من يؤدي هذا الواجب.

وإذا كانت إقامة الحسبة في الأصل تمثل واجباً عاماً على كل مسلم - شأنها شأن الدعوة عامة - فإن وجودها في الحياة الإسلامية حقيقة واقعة على الأقل في صورة النصح لكل مسلم. عن جرير - رضي الله عنه - قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».

## المبحث الثاني تعيين المفتين والقضاة

لابد للمجتمع الإسلامي من رجال يبينون له طريق السعادة التي جاء بها الإسلام، ويوضحون للسائلين حكم الإسلام، كما أنه لابد للمجتمع من رجال يعرفون العدل ويحكمون به. ولا شك أن هاتين الوظيفتين من خير وسائل الدعوة للمخلصين الراغبين في سعادة البشر. وحكمة القضاء منع الظلم ونصرة المظلوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والقضاة هم الذين يقومون بالفصل في المنازعات بين الخصوم، ويحكمون بالقصاص، ويصدرون الأحكام بإقامة الحدود ولا يصلح كل شخص لتولي منصب القضاء، بل يجب توافر شروط تجعله أهلاً لذلك.

واشتغال الدعاة بالقضاء ليس أمراً جديداً على الدعوة. فمنذ عهد الرسول ﷺ كان يرسل أصحابه للدعوة والقضاء معاً. وقد بعث معاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك داعياً إلى الإسلام<sup>(١)</sup>.

ونظراً لأن كتاب الله وسنة رسوله هما الأصولان عند التحاكم، فإن الدولة تضع علماء الشريعة وفقهاء الدين في المنزلة التي تليق بهم، لأنهم بذلوا الجهد لدراسة دين الله واستيعاب أحكامه وتشريعاته.

والقضاء وإن كان مظهراً طبيعياً من مظاهر الحكم، فإن له اعتباره من الوجهة الشرعية التي تمنع نفاذ أحكام القاضي الشرعي ما لم يكتسب حق التولية التي يملكها الحاكم أو نائبه.

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ٤٦.



ومن أهم ما يميز القضاء في هذه البلاد أن مرجع أهل الفصل هو الشريعة، والولاية يصدر عن أحكامهم وتشريعاتهم عن رأي العلماء الذين لا يجب عليهم النصح والإخلاص لحاكمهم، وتذكيره وإيضاح ما خفي عليه أمره في مظهر كريم من التعاون الصادق المخلص بين العلم والهدى، وبين السيف والسنان.

وقد اتبعت المملكة الناشئة نظام تعيين قاض وإمام في كل بلد تدين لها وحرصت على أن تجعل للقبائل المتنقلة قضاة وأئمة للصلاة يعلمون حدود الله وأحكامه<sup>(١)</sup>.

وإخلاص الولاية للمبدأ الكبير هو إعزاز دين الله وتحكيمه في كل شؤون حياتهم العامة والخاصة أوجد في نفوس رعاياهم الاحترام والهيبة لرجال الدين، فيلجؤون إليهم في غير أمور القضاء.

فعندما نعبر بلقب (العالم) بجانب لقب القاضي لا نعني مجرد الأخير من العلم، لكن يمكن وجود علماء أفاضل لهم مكانتهم في النفوس وليسوا بقضاة، وإلا فالواقع ينفي الاستحقاق للقضاء ممن لم يضرب في العلم بسهم وافر، على أنه بالرغم من تبليغ العلماء، ومنهم القضاة أحكام الدين للناس فقد يبقى بعض الناس جاهلاً بهذه الأحكام.

وهنا يتعين على الجاهل بالأحكام أن يسأل أهل العلم استجابة لقوله تعالى: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يعرف في الشريعة بنظام (الإفتاء). والإفتاء في اللغة يعني: السؤال عن أمر أو حكم مسألة.  
قال ابن منظور: هو الإبانة.

(١) عبدالله أبو راس، الملك عبدالعزيز والتعليم، ص ١١٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.

يقال أفتاه في الأمر أي أبانه، وأفتاه في المسألة بفتيه: إذا أجابه. والاسم فتوى، وهو اسم يوضع موضع الإفتاء والفتيا والفتوى: ما أفتى به الفقيه<sup>(١)</sup>، والإفتاء اصطلاحاً هو السؤال عن أمر أو حكم مسألة إذا كانت هذه المسألة تعتبر من المسائل الشرعية<sup>(٢)</sup>.

وكانت علاقة الملك بعلماء الشريعة مبنية على الوفاق والاحترام لعلمهم الشرعي، ويصغي إليهم وإلى آرائهم المبنية على المناصحة بين الحاكم والمحكوم في مظهر للتعاون الصادق المخلص بين العلم والعمل، وبين السيف والعلم، وقل أن يجادلهم في أمر يرون فيه ما لا يرى، قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة.

هذا ولم يقتصر دور القاضي في عهد عبدالعزيز على مجرد القيام بجميع أمور وشؤون المحاكم من الفصل في المنازعات والقضايا، وكتابة العدل وتولي شؤون بيت المال، وعقود النكاح في البلد التي يعمل فيها، بل تعداه بمهام منها:

- ١ - القيام بدور النصح للحاكم والرعية في البلد الذي يعمل به القاضي.
- ٢ - القضاء على العادات المخالفة لأحكام الشرع.
- ٣ - الصلح بين المتخاصمين.
- ٤ - التدريس ونشر العلوم.
- ٥ - الرد على الأسئلة بالجواب الشافي.
- ٦ - تطهير الدعوة السلفية والذب عنها مما لحقها من تشويه.

إن المطوع ليس مرشداً فقط، بل واعظ وخطيب المسجد وإمامه، وعاقده النكاح فيه والمرجع الديني في كل شيء، ورأيه مسموع في جميع

(١) لسان العرب، ج ١٥، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ١٣٠.



الشؤون. فهذه الأعمال التي يقومون بها إلى جانب القضاء تدل على سعة علمهم ورجاحة عقولهم، كما كانت للعلماء - خاصة القضاة منهم - مناظرات علمية في مواجهة علماء الضلال من الغلاة أو من أعداء الدعوة السلفية.

إلى جانب هذه الجهود والمهام الشخصية للقضاة فقد كانت للهيئات القضائية نشاطات واختصاصات هامة في مجال الدعوة في عهد الملك وهي:

أ - الإشراف على هيئة المعارف من خلال مراقبة التدريس والكتب والمناهج، والتنبيه على المسائل التي يكون فيها مخالفة للمسائل الشرعية.

ب - مراقبة هيئات الأمر بالمعروف من خلال تنبيه الهيئة في حال تجاوزها العرف الشرعي ومراقبة سيرها، وحضها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا إلى جانب تعيين الأئمة والمؤذنين والمدرسين، واعتبارها مرجع الفتوى فيما يتعلق بالمصالح المختلفة. ومن هذا نلاحظ الآتي:

أولاً: اتساع نطاق واختصاصات القاضي والمفتي من المهام الرئيسية إلى نطاق تبليغ الدعوة بكل الوسائل.

ثانياً: كان هناك وازع ديني قوي متمكن من نفوس الناس، بدا هذا واضحاً في ثباتهم مع الملك في جهاده لنشر الدعوة.

وبالرجوع إلى ما سبق تقريره من أهمية القضاء في شرعية الحكومة الإسلامية، فقد أولاه الملك اهتمامه الشخصي. وحتى يطمئن إلى سلامة المنهج القضائي كان يقوم الملك بتعيين القضاة، وإرسالهم للأقاليم، ويختار الأكفأ منهم<sup>(١)</sup>.

وقد اشتهرت جهود بعض القضاة والمفتين الذين عينهم الملك

(١) سعود الدريب، الملك ووضع قواعد التنظيم في المملكة ص ٦٢.

عبدالعزيز في مجال الدعوة بالوسائل المختلفة، باعتبارهم أصحاب الرأي المسموع.

من هؤلاء سماحة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، الذي قام بتدريس العامة والخاصة، وتخرج على يديه طوائف من القضاة، ومنهم سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز «وكان لما استعاد الملك الرياض، ورأى فيه الكفاية والتقوى به عينه إماماً في مسجد والده الإمام عبدالرحمن.

ثم قام الشيخ عبدالله بن حسن بنشر العلم وتثقيف البادية في أهم هجرة وهي (الأرطاوية)، فتحولوا من جهلهم إلى العلم والتوحيد. وفي سنة ١٣٤٦هـ أسند إليه الملك عبدالعزيز منصب رئاسة القضاء في مكة، وهو مقام خطير لا يصل إليه إلا من بلغ من النضج العلمي مبلغاً كبيراً، فضلاً عن اشتغاله بالحسبة، حيث كان رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة<sup>(١)</sup>. ومنهم قاضي حائل الشيخ عبدالله بن بليهد.

ولما استتب الأمر للملك عبدالعزيز في الحجاز عام ١٣٤٤هـ نقل الشيخ عبدالله من قضاء حائل إلى رئاسة القضاء في مكة المكرمة، فصار هو الذي يقابل الوفود الإسلامية، وكانت له مواقف مشرفة حمد عليها في تلك الأيام.

ويدل هذا على معرفة الملك بالرجال وعلى سياسته الحكيمة الراشدة، وكذلك العقل والحكمة السياسية للشيخ ابن بليهد، واحتياج أهل تلك المناطق لرجل ملاطفة وتطمين ودراية سياسية، ليطمئنهم ويقرب بينهم وبين الحاكم.

وللشيخ ابن بليهد نشاط ملحوظ في البادية في الوعظ والتوجيه.

(١) عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١، ص ٨٢.



مكث الشيخ رئيساً للقضاة في مكة حتى عام ١٣٤٥هـ، ثم أعيد إلى حائل، بناء على التماس قدمه أهلها إلى الملك.

وفي عام ١٣٥٨هـ، عين الملك عبدالعزيز سعود بن محمد بن رشود قاضياً بوادي الدواسر حتى عام ١٣٦٤هـ، ثم نقله إلى قضاء المجمعة، ثم اصطحبه إلى روضة خريم، فأعجب بعقله وعلمه وحسن حله للقضايا، فعينه في قضاء الرياض في الدماء وأعمال البادية، ثم جعله رئيساً لمحكمة الرياض عام ١٣٦٧هـ.

ومن هؤلاء الشيخ عمر بن سليم قاضي الأرطاوية من عام ١٣٣٠هـ إلى ١٣٣٧هـ، الذي كان قاضياً وواعظاً ومرشداً، فكان كما ظن فيه الملك عبدالعزيز من الخير وحسن الدعوة<sup>(١)</sup>.

ولما قام بواجب الدعوة إلى الله عند تلك البادية عاد إلى بريدة، فعين إماماً في أحد جوامعها، ومساعداً لأخيه عبدالله على قضاء بريدة والخطبة والصلاة فيها، وجلس لتدريس العلم، فكثر طلابه وانتفع به العام والخاص. وكانت دروسه تركز على التوحيد وعقائد السلف، والتفسير والحديث، والفقه وعلوم العربية.

أما أخو الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم فقد كان تقياً صالحاً، ولاءه الملك سنة ١٣٣١هـ قضاء مدينة بريدة، بعد أن كان قاضياً على البكيرية، فلم يشغله القضاء عن واجبه في التعليم، وكان العلماء يقدرونه.

ولما تمرد زعماء البادية على الملك سنة ١٣٤٧هـ، أرسل إليهم الشيخ عبدالله بن سليم يفاوضهم ويبصرهم بما يجب عليهم من الطاعة، ولزوم الجماعة.

(١) عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

وفي سنة ١٣٢٤هـ عين الملك الشيخ عبدالله العنقري قاضياً على الجمعة ومقاطعة سدير، وقد قام بأمور هامة في مجال السلم والحرب والصالح العام، وكان يقوم بواجب القضاء والتعليم والدعوة.

كذلك لما اشتدت صولة الإخوان في عام ١٣٤٧هـ - بتحريض بعض أعداء المسلمين استنفد الملك جميع الوسائل السلمية الحكيمة معهم، ومن جملتها أن بعث هذا العالم ليقوم بالوساطة بين الطرفين، فقام بها لكن مساعيه لم تكلل بالنجاح، فأخذت الفتنة بتأديبهم حتى عادوا إلى الصواب<sup>(١)</sup>.

في عام ١٣٣٦هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله عبدالوهاب بن زاحم قاضياً ومرشداً وإماماً في هجرة الاهنة عند أمير الروضة، وفي عام ١٣٥٨هـ عينه الملك قاضياً في الرياض، ثم نقله إلى رئاسة المحكمة الكبرى في المدينة المنورة عام ١٣٦٣هـ.

في العام ١٣٣٧ - عين الملك الشيخ عبدالعزيز الشثري قاضياً ومرشداً في هجرة الرين عند قبائل قحطان، واستمر في سلك القضاء أكثر من خمس وثلاثين سنة قام خلالها بواجب الدعوة خير قيام، وكان يستحث الولاة وكل مسؤول على القيام بواجب الدعوة، في وقت كان المجتمع في حاجة ماسة إلى كل داعية إلى الخير.

وفي سنة ١٣٥٧هـ تولى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز قضاء الخرج. ونظراً لما عرف به من سعة في العلم والمعرفة فقد أخذ طلاب العلم يتوافدون عليه من داخل المملكة وخارجها.

وفي عام ١٣٣٩هـ عين الملك الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان على القضاء في عسييلة وما حولها من السر، ونقل سنة ١٣٤٥هـ إلى قضاء شقراء، ثم عنيزة، وياشر عمله بجدة وحزم، وجلس للطلبة بمجلس الجامع

(١) عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢ ص ٥٨٣.





يعلمهم أصول الدين والفروع، والحديث والفرائض وعلوم العربية .  
من هذه الصورة الدعوية المشرقة التي قدمها القضاء، يتضح أن  
وظيفة القضاء في عهد الملك عبدالعزيز لم تعرف العزلة عن المجتمع، ولا  
الجمود عند الأحكام والأقضية، وترك الحياة تعج بالفوضى، بل مزج كثير  
من القضاة بين وظيفة القضاء ووظيفة الدعوة، وقاموا بالدورين معاً، لأنهم  
أدركوا أن الهدف واحد، وإن اختلفت الوسيلة. فتقديم مجتمع العدل  
والحب والتناصح والانسجام هو الهدف الدنيوي، وتحقيق رضا الله من  
تحويل الحياة كلها إلى ساحة عبادة بكل سلوكياتها هو الهدف الأخروي،  
والهدفان لا ينفصلان .

## المبحث الثالث

### التعليم في المسجد

توجد وسائل كثيرة يمكن بها تبليغ الدعوة. فهناك دعوة فردية، الخطاب موجه فيها إلى شخص أو فئة، وهناك دعوة عامة يوجه الخطاب فيها إلى جماعة.

والوسيلة الجيدة هي التي توفر على الداعية الوقت والجهد. ويعد التعليم في المسجد من أهم هذه الوسائل باعتبار أن المسجد قلعة حصينة للتربية الإيمانية، ومنطلق الدعوة إلى دين الله منذ فجر الدعوة الإسلامية.

ويعتبر المسجد من أهم المراكز الإعلامية بين المسلمين، وهو يحقق أوثق صلة بينهم، وذلك لترددهم المستمر عليه ولقائهم فيه<sup>(١)</sup>.

وإن من آثار المسجد الاجتماعية إيجاد التكافل الاجتماعي بين المسلمين، فالمسجد وسيلة التعارف اليومي، ثم يتحول إلى تآلف ومحبة وأخوة، وأخيراً وجود مجتمع مترابط، كالأُسرة الواحدة.

فالمسجد عامل مهم في بناء المجتمع، لأنه يجمع الأفراد على أهداف واضحة مشتركة. والمسجد هو كل موضع يتعبد فيه المسلمون بالصلاة، يشهد لذلك قول الرسول ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(٢)</sup>.

وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع شأنه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

(١) محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية، ص ١١.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٣ / ٢٢٢.

وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾<sup>(١)</sup> .

أذن الله : أي أمر ووصى «أن ترفع ويذكر فيها اسمه» .  
يدخل في ذلك الصلاة كلها فرضها ونفلها، وقراءة القرآن والتسبيح  
والتهليل وغير ذلك من أنواع الذكر والتعليم، ثم مدح الله عمارة المساجد  
فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بَيْعًا وَلَا بِيْعًا عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ  
الزَّكَاةِ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول  
الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم  
(الإمام العادل ورجل قلبه معلق بالمساجد).

ومن أفضل ممن جلس في المسجد يعلم الناس الخير، اقتداء بالنبي  
ﷺ، وما أعظم فضل من سلك طريقه للمسجد يلتمس العلم .

وقد أثبت التجارب أن المسجد أقدر المؤسسات التعليمية في التربة،  
وذلك للمناخ الإيماني الذي يهيئه، فهو أول مؤسسة تربوية أنشئت في  
الإسلام، فهو أصل وغيره من المرافق فرع .

ونظراً لهذه المكانة التي يتمتع بها المسجد في المجتمع الإسلامي كان  
أول عمل قام به الرسول ﷺ بعد الهجرة هو تأسيس المسجد، ولما هاجر  
النبي ﷺ من مكة إلى المدينة سار حتى نزل في بني عمرو بن عوف، فأقام  
فيهم أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء، فكان أول مسجد أسس بعد النبوة .

كما أنه شارك أصحابه في بناء المسجد، وكان يبني معهم ويقول:  
«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة النور، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧ .

(٣) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ٢، ص ٦٢ .

ولم يكن بناء هذا المسجد لأداء الصلاة وغيرها من الشعائر فحسب، بل إنه كان مركزاً للنظر في مصالح المسلمين الدينية والدنيوية.

ولا شك أن رسالة المسجد تتأكد أكثر عندما تنتشر البدع والانحرافات في المجتمع. وإذا كنا نتحدث عن التعليم في المسجد - كوسيلة للدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز والتي تعد امتداداً لحركة التعليم في المساجد، تلك الحركة التعليمية الدعوية الناتجة عن الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود، حينما بدأ الشيخ برنامجاً مكثفاً للتدريس لأهل بلدة الدرعية، ولمن قدم عليه من البلدان الأخرى - فإنه لا بد أن نشير إلى أن دروس العلم في هذه المدة تتمثل في دروس في المساجد يتطوع بها العلماء، أو أنشطة محدودة للكتابات.

وعندما تعاون الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على إقامة الدولة الإسلامية، طلب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأمير بناء مسجد كبير، ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة. وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس خلف سترة، وكانت له مجالس عديدة في التدريس.

واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن معنى (لا إله إلا الله) وفقه معناها، والسؤال عن أركان الإسلام، وشروط وأركان وواجبات الصلاة، فتعلم ذلك الكبير والصغير، والقارئ والأمي، بعد أن كان لا يعرفه إلا الخاصة<sup>(١)</sup>.

وهذه الجامعات التعليمية تعتبر النموذج الخاص للتعليم والتأهيل والقضاء في العصر السعودي برمته. وهكذا نرى أن المجمع الأول في الدرعية كان نموذجاً لجامع أخرى كثيرة أهمها مجامع الرياض.

(١) ابن بشر، ج ١، ١١٣ - ١١٤.



وكانت الكتابيب أحد الروافد التعليمية للمبتدئين، باعتبار القرآن الكريم الأصل الأول الذي تستنبط منه العلوم الشرعية.

وكان التعليم في هذه المدة يقوم في أسسه على التربية الدينية، وكانت غايته التهذيب الخلقي، وإعداد الفرد إعداداً ينظم علاقته بربه وبالمجتمع.

كل ذلك كان يتم في مجامع قرب المساجد «ثم انتقل التعليم كلياً إلى المساجد وهجرت تلك المجتمعات واستعملت كمساكن لطلبة العلم الغرباء الذين كانوا يقدمون من أنحاء البلاد لطلب العلم في الرياض باعتبارها أحد مراكز التعليم في نجد»<sup>(١)</sup>.

وهكذا أصبح المسجد أهم مصادر نشر العلم والدعوة، حتى دخلت الدولة السعودية عهداً الثالث، وعلى الرغم من وجود بعض المدارس في مطلع هذا العهد إلا أنها كانت قليلة، وقد لوحظ أن البداوة كانت من أخطر العقبات في طريق الدعوة منذ فتح الرياض.

لقد وفق الله الملك لتجربة الهجر، والذي يعيننا هنا أن بناء الهجر كان يسبقه تشييد المسجد ورفعته، باعتبار أن المقصود من هذه الهجر تهذيب النفوس وتربيتها، والمسجد خير وسيلة لتحقيق هذا الغرض. لقد كان نظام الهجر نظاماً دينياً لتربية النفوس وتهذيبها دينياً، فكانت الهجرة تبنى بعدما يشاد المسجد.

وهكذا كان التعليم في المسجد هو الأساس الذي اعتمد عليه الملك عبدالعزيز بعد الله - عز وجل - في تخليص العقلية البدوية من ترسبات العصبية في الأعراف والمفاهيم، وتوجيهها إلى خدمة الدعوة.

وقد ورد تعريف الهجر في كثير من الكتابات عن الدولة السعودية

(١) الملك عبدالعزيز والتعليم، ص ٧٢.

الثالثة بأنها عبارة عن مساجد تتم فيها كل الأعمال التي كانت تتعلق بمصالح المسلمين في صدر الإسلام.

يقول فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب».

«الهجرة من حيث الحرب والسياسة معسكرات منتشرة في أنحاء البادية والإخوان جند هذه المعسكرات يسيرون بأمر القائد عبدالعزيز آل سعود في أي وقت يشاء، والهجرة من حيث الدين مساجد خاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية، وعرف البوادي وانقلبوا إلى الحياة الدينية والوادة حياة الطهارة والعفاف والفضيلة والإيمان»<sup>(١)</sup>.

وقد زود الملك عبدالعزيز هذا المشروع التعليمي الكبير بعدد من العلماء، وجههم لتلقين سكان هذه الهجر المبادئ والتعاليم الصحيحة للعقيدة والعمل، فترك المشروع آثاراً كبيرة على المجتمع السعودي إلى الآن.

ركزت حركة المصلح الملك عبدالعزيز، على طلب العلم من داخل المسجد بجانب المعاهد والمدارس، ومن حينها تمت حلقات علمية كبرى في مساجد المملكة وقراها تصدرها مشايخ وقضاة أفاضل على جانب كبير من الفقه والخلق الحسن، والحرص على إخلاص العقيدة وتوثيق معلوماتهم ودعوتهم من منهلها»<sup>(٢)</sup>.

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أنه ليست هناك مصادر كافية لمعرفة رجال العلم الذين اختارهم الملك عبدالعزيز للقيام بهذه المهمة، وسوف نذكر بعض العلماء الذين أسهموا في هذا المشروع لاحقاً.

عندما دخل الملك عبدالعزيز مكة سنة ١٣٤٣هـ أصدر نظاماً جديداً

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٧٩.

(٢) محمد الأنصاري، ضباب على منار المسجد، ص ٣.



للتدريس في الحرم المكي<sup>(١)</sup>. أشار هذا النظام في بدايته إلى الحالة السيئة للتدريس في المسجد الحرام حيث جاء فيه: «أما بعد: فإن غالب العلماء بالمسجد الحرام لما اشتغلوا عن التدريس وتعليم الطلبة العلم لضيق معيشتهم وكثرة عيلتهم حتى خشي مع ذلك أن يقل التدريس والمدرسون بل خيف مع ذلك أن يضمحل العلم والمعلمون ويتولى رؤساء جهال على المسلمين ويكثر الضلال فقد أصدر أمير مكة أمره بتشكيل لجنة من خمسة عشر عالماً وكاتباً ومفتشين من العلماء ليحيا بهم العلم بالمسجد الحرام وليرتب لهم في الحال ذلك الذي عينه لهم من المال معاشاً شهرياً يكون معيناً لهم على معيشتهم وباعثاً لهم على فراغهم للقيام بوظيفتهم وبتدوين نظام جديد يكون ضابطاً لمرام الدولة». إلا أن هذا النظام لم يحقق الغرض إذ إنه ركز على تنظيم النواحي الإدارية والمالية أكثر من تنظيم وتحسين عملية التدريس.

وفي ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ صدر الأمر الملكي مصدقاً على ما

يأتي:

«أمر الملك عبدالعزيز بتأليف لجنة علمية برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن بليهد وأعضاؤها فضيلة مدير المعارف العمومية ومدير المعهد الإسلامي السعودي، ومدير معهد الفلاح، ونائب رئيس القضاة وتدعى هذه اللجنة (الهيئة العلمية).

ويقرر النظام أن وظيفة هذه اللجنة الإشراف على سير الدروس في الحرم المكي، وانتقاء الكتب النافعة، وتعيين الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة وحسن السيرة والسير على طريقة السلف الصالح وبالتدقيق في بنود هذا النظام نلاحظ أنه اهتم أساساً بمضمون التدريس في الحرم، وذلك على النحو التالي:

١ - يقرأ فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربية بكرة وأصيلاً، ودرس

(١) محمد الأنصاري، ضباب على منار المسجد، ص ٣.

التوحيد والتفسير والحديث والوعظ بين العشاءين .

٢ - يجب على المدرسين أن يبينوا في أصول العقائد ومباحث الصفات مذهب السلف الذي أجمع عليه أئمة أهل السنة على أنه أسلم المذاهب وأحراها بالقبول .

٣ - يجب على المدرسين أن يبينوا للناس في أثناء دروسهم أنواع البدع التي شوهدت سمعة الدين الحنيف، وأنواع الخرافات التي أخرجت المسلمين، وهبطت بهم إلى الحضيض .

كما رأى الملك عبدالعزيز ضرورة الاستعانة بالكفاءات المختلفة من العلماء في بلاد العالم الإسلامي لتطوير التدريس في الحرم، والنهوض بمستواه .

«ولم يمر عام على هذا النظام حتى شكل الملك عبدالعزيز هيئة لرئاسة القضاء سنة ١٣٤٦هـ أوكلت إلى الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، والذي كلف بحكم وظيفته ومكانته العلمية بالإشراف على التدريس في المسجد الحرام وتحددت العلوم التي تدرس في الحرم» .

ويعتبر ظهور الأنظمة الجديدة للتدريس في الحرم الشريف إعلاناً عن خطوات الملك عبدالعزيز في تكوين النهضة العلمية الجديدة حيث بدأ بإعادة تنظيم التدريس في أقدس بقاع الأرض وأكثرها تأثيراً في نفوس المسلمين .

حقاً إن المسجد مدرسة، يوم أغفلها المسلمون فتحوها أبواباً كثيرة للجهل والامية، وبدأ الرباط الوثيق بين الجماعة المسلمة من حول المسجد يتفكك وينقطع إلى أوصال لا يعرف بعضها بعضاً. غير أنه يجب التأكيد على أنه إذا فقدت ريادة المسجد فإنه لن تستطيع الجامعات، ولا المعاهد ولا المحاكم، ولا المحاضرات أو المؤتمرات أن تعوض عن المسجد .

إن المسجد جامعة حضارية فوق كل الأكاديميات يمكن أن تسترجع





ما فقدناه إذا أخلصنا ما بيننا وبين الله عز وجل استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ  
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) .

وكما ترى من العرض السابق فإن العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس في  
المسجد لم يقفوا عند حد الاستظهار والتلقين والتعليم، بل كانت الدعوة  
مقصدهم الأسمى، وبالتالي فهم لم يخرجوا فقهاء أو متخصصين، وإنما  
خرجوا أئمة هدى ودعاة خير، وأمثلة محبة للعمل في سبيل الله، من خلال  
خدمة الأمة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة، لقد كان المسجد  
الذي تولى الوظيفة الدعوية، ولاسيما المسجد الحرام جامعة حضارية لبناء  
الإنسان المسلم بالمعنى الشامل لهذا المصطلح الكريم.

## المبحث الرابع الخطابة وتعيين أئمة المساجد

إن استعراض واقع الدعوة في أنحاء الجزيرة العربية قبيل الملك عبدالعزيز، وخلال سنوات التوحيد يؤكد أن السمة السائدة لنشر مبادئ الدعوة هي اتباع الأسلوب التقليدي داخل نموذج قديم لمدرسة المسجد والكتاب.

هذا الأسلوب قد حافظ على قدر كبير من آثار الدعوة السلفية والتراث العلمي القديم، فضلاً عن تخريجه مجموعة من العلماء والقضاة.

فالمسجد هو القاعدة التي تنطلق منها رسالة المؤمن، وهو المدرسة التي تربي المسلم من جميع الجوانب - علماً وعملاً، وشجاعة وجهاداً وتواضعاً لله -. وبذلك أثر المسجد في الرعيل الأول، فكانوا مصلحين، وقادة فاتحين منتصرين.

ومن أهمية المسجد تنبثق أهمية الإمامة فيه، ولا يقتصر دور الأئمة في المسجد على إمامة المصلين في الجماعات وخطبة الجمعة، بل يكون لهم دورهم في التثقيف والتربية والتعليم.

والإمامة درس عملي في حسن الاقتداء. إن الأمير هو الذي يكون إماماً في الصلاة والجهاد، وكان ﷺ إذا بعث أميراً على حرب هو الذي يتولى إمامة الصلاة<sup>(١)</sup>.

فالإمامة مرتبة عالية، وفضيلة ظاهرة لا يستحقها إلا من هو أهل لها

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٢٦٠.



بالعلم والعمل .

إن وجود الإمام الصالح الحافظ يسهم في خدمة الدعوة إلى الله ، فالإمامة وظيفه من أداها بإخلاص على الوجه المشروع استحق أن يكون وريث الأنبياء ، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري : «العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»<sup>(١)</sup> .

ولا يفوتنا أن ننوه هنا إلى أهمية صلاة الجمعة وخطبتها التي أحاطها الإسلام بسياج من الأهمية ، وصل بها إلى درجة أنها واجبة وركن في أداء صلاة الجمعة ، وألزم المسلمين الإنصات لها وكأنهم في صلاة «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» .

وأمر المسلمين في وقتها أن يتركوا كل عمل سواها ، بل حرم البيع والشراء وكل المعاملات في وقت صلاة الجمعة .

قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

«وذروا البيع» أي اتركوه إذا نودي للصلاة وامضوا إليها ، فخطبة الجمعة شأنها عظيم في الدعوة إلى الله . إنه يوم اجتماع الناس وتذكيرهم بالمبدأ والمعاد ، وقد شرع الله لكل أمة في الأسبوع يوماً يتفرغون فيه للعبادة ويجتمعون فيه لتذكيرهم بالمبدأ والمعاد والثواب والعقاب .

وكان أحق الأيام بهذا الغرض المطلوب يوم الجمعة ، فهو يوم الاجتماع شرعاً في الدنيا وقدرأ في الآخرة ، ولما خلق الله السموات والأرض شرع لهم في الأسبوع يوماً يذكرهم فيه بذلك ، وحكمة الخلق وما خلقوا له في السموات والأرض ، وعود الأمر كما بدأه سبحانه وعدأ عليه حقاً وقولاً

(١) ابن حجر ، فتح الباري ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٩ .

صدقاً.

### جهود إمام المسجد في الدعوة إلى الله

يلزم في إمام المسجد أن يكون قدوة صالحة لمن حوله ليؤدي دوره في الدعوة، باعتبارها أهم الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها في المسجد.

وفي خطبة الجمعة والعيدين مجال واسع لدعوة الناس وتوجيههم إذا أحسن الإمام استغلالها، وخطبة الجمعة تتكرر كل أسبوع، تلبية لحاجة الناس إلى الإرشاد والعلم، كما جعل خطبة العيد في العام مرتين، ليتسنى للخطيب طرح الحلول المناسبة لمشاكل الناس، وما يتطلبه واقع المسلمين. فالخطابة أعظم وسيلة لتبليغ الدعوة، إذ يمكن للخطيب من خلالها استمالة المدعوين وشد انتباههم إلى محاسن الدين وأهمية التوحيد.

ومن تأمل حُطْب النبي ﷺ وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله وذكر ألائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره.

واهتم العلماء وولاة الأمر بإعداد هذه الوسيلة الهامة فضمنوها، مناهج الدراسة في دور العلم والمعرفة، ويجب أن يكون الخطيب ذا ثقافة واسعة في الدين والاجتماع، والتاريخ والأدب، وغير ذلك من المعارف<sup>(١)</sup>.

أما إلقاء الدروس والمحاضرات، والندوات في المسجد - سواء قام بها إمام المسجد أو غيره من العلماء - فتأثيرها في نجاح الدعوة كبير. ومن أهم مزايا الدرس أنه أكثر فائدة من الخطبة والمحاضرة والندوة، لأن من يحضر الدرس يستطيع أن يسأل ويستفسر عن كل ما يجول في خاطره أو يشكل عليه.

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ١٤٥.



أما المحاضرة فهي مجال رحب للدعوة إلى الله تعالى، تستقطب جمهوراً كبيراً يؤثر فيه المحاضر إذا قام بهذا الأمر كما ينبغي.

والندوة لا تقل في الأهمية عن المحاضرة وفائدتها، إلا أنها تختلف عنها قليلاً. فالندوة يكون المتحدث فيها أكثر من واحد، فتعم الفائدة جمهور المستمعين.

وهكذا تتضح لنا أهمية الخطب والدروس، والمحاضرات والندوات، ودورها في دعوة الناس وتوجيههم. فعلى الإمام عقدها ودعوة علماء الأمة ومفكرها للتأثير في الناس ودعوتهم لطريق الهدى من خلالها.

وهكذا يؤدي حضور الجمعة والجماعة إلى تعميق المعرفة الدينية ويتأثر سلوك الفرد بالجماعة، ويؤثر فيها. ونظراً لأهمية الإمامة فإن الدولة السعودية منذ نشأتها كانت حريصة على تدعيم هذا المرفق الهام من خلال اهتمامها بتعيين الأئمة والخطباء، فكانوا رجالها في مجال نشر الدعوة السلفية، وتثبيت أركانها في المجتمع.

فمثلاً عندما دخل سعود الأول الأحساء سنة ١٢١٠هـ، وامتدت حركة الدعوة السلفية إلى الأحساء نقل لنا ابن بشر ما يلي:

«أقام سعود قريباً من شهر ورتب أئمة المساجد وأمرهم بالمواظبة على الصلوات وإقامة الجمع والجماعات ونادى بإبطال جميع المعاملات الربوية وما خالف الشرع»<sup>(١)</sup>.

ومع إشراقه الدولة السعودية الثالثة كان أغلب المساجد بدون أئمة لقلة الدعاة، وازدادت حدة المشكلة مع توالي الفتوح وتوحيد البلاد، فكان على الملك أن يواجه هذه المشكلة. وقد انتهج في هذا المجال عدة تدابير منها:

(١) ١٠٠٠ ش، عنه ان المجد، ج ١، ص ١٥٩.

١ - شغل المساجد الكبرى بأئمة وخطباء غير متفرغين، ممن كانوا يشغلون منصب القضاء والتدريس وغيرها، وذلك لما كان يتمتع به شاغلو هذه المناصب من درجة كبيرة من العلم، وكانوا يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانت لهم خطى ثابتة في نشر العلم، ومكافحة الجهل المنتشر في ذلك الوقت.

من هؤلاء الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ. فقد عينه الملك في مسجد والده الإمام عبدالرحمن آل فيصل، إماماً وواعظاً ومدرساً، وقام بذلك خير قيام.

ولما استتب الأمن في الحجاز في مدنه وقراه جعله عبدالعزيز إماماً وخطيباً في المسجد الحرام سنة ١٣٤٤هـ، كما أسند إليه منصب رئاسة القضاء، ورئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعيين الأئمة في المساجد واختيارهم، وجعله المشرف العام على أحوال المساجد واختيارهم<sup>(١)</sup>.

كما عين الملك الشيخ سعد بن عتيق إماماً في جامع الرياض الكبير، وكان حريصاً على ما يلقيه من الدروس شديد الثبوت لمعنى ما يقرأ عليه. وهكذا قامت الدعوة في كل بلد على كبار العلماء فيه وتحت رعايتهم.

٢ - إنشاء المؤسسات التعليمية التي تكون نواة لتخريج أئمة مؤهلين، مثل إنشاء دار التوحيد في الطائف سنة ١٣٦٤هـ.

سعى الملك إلى تأسيس دار التوحيد وهو معهد ديني يخرج شباباً مؤهلين عقائدياً لوظائف القضاء والتعليم، والعمل في السلك الحكومي، والوظائف الدينية.

٣ - أسند لرئاسة القضاء الشرعي المهام المتعلقة بالمدرسين في

(١) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١، ص ٨٢-٨٤.



المساجد. حيث نص نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي<sup>(١)</sup> على الآتي:

جميع المدرسين الرسميين في المساجد تعيينهم وفصلهم من اختصاص رئاسة القضاء، وكان من حق رئاسة القضاء مراقبة الدروس.

إن عملية تعيين الأئمة والخطباء قد دخلها شيء من التنظيم، فقد أصبح هناك مدرسون رسميون للمساجد بدلاً من المتطوعين.

٤ - توجيه الاهتمام بأحوال الأئمة، وأن يمنح القائمون بوظيفة الإمامة والخطابة والدعوة ومعاشات تؤهلهم للتفرغ وتضمن لهم المعيشة الكريمة الهادئة، ويأتي في مقدمة هذه الحقوق أن تلحق بكل مسجد دار تعد لإمام المسجد، كما شرع الملك بتخصيص رواتب للأئمة، واشتري لهم البيوت، وكذلك كان اهتمامه بترتيب أئمة في المساجد يعينون بصفة دائمة وثابتة.

لقد كان لإمام المسجد في عهد الملك عبدالعزيز دور كبير في الدعوة، خاصة بعد تأسيس الهجر سنة ١٣٣٠هـ، فقد كانت لهم إسهامات في مجال الدعوة نتيجة لاتصالهم بالناس في اليوم خمس مرات.

كان الإمام مرجعاً للجماعة في المسائل الدينية، كما أنه في ذلك الوقت كان يقوم ببعض أعمال الحسبة، بالإضافة لعمله الأساس في الإمامة والخطابة والوعظ والتدريس، والتصدي لإفادة الطلاب والعامّة. ونشط الأئمة في تثقيف عامة الناس ونشر العلوم، وكان من عادة الأئمة بعد صلاة الفجر أن يختار أحد الحاضرين ويسأله عن ثلاثة الأصول:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

كما كان لإمام المسجد درس يومي عقب صلاة العصر، وغالباً ما يكون في رياض الصالحين، أو الترغيب والترهيب، ودرس آخر قبل صلاة العشاء يكون في تفسير ابن كثير، أو السيرة النبوية.

وكان الأئمة والخطباء يرجعون إلى بعض الكتب والدواوين الوعظية في خطب الجمعة والأعياد، وأشهرها في ذلك الوقت ديوان الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب.

أما بالنسبة لراتب الإمام فإنه غالباً ما يكون هناك وقف على المسجد ينفق منه على المسجد وإمامه.

أما بالنسبة للهجر التي أنشئت في ذلك العصر - وهي كثيرة - فكان إمامهم قاضياً مكلفاً من قبل الملك عبدالعزيز، فإن لم يكن هناك قاض طلبوا من الملك إماماً (مطوعاً)، فيرسل لهم من يقوم بذلك.

ولما تدفق البترول وازدادت موارد الدولة رتب الملك الرواتب للأئمة واهتم بأحوالهم المعيشية.

هكذا كانت للملك اليد الطولى في تنظيم تنصيب الأئمة والخطباء، للوعظ والإرشاد والتوجيه، وإمامة الناس في الصلاة، وقد أصبحت الإمامة وظيفة ثابتة لها مخصصات وعليها واجبات، وللقائم بها حقوق مادية ومعنوية. فقد مكن هذا التطور من تحقيق أهداف المسجد، وأهمها الدعوة إلى الله بالعبادة والوعظ والتوجيه في عصر أصبح لا يكفي فيه الاعتماد على الأعمال التطوعية.





## المبحث الخامس

### إرسال العلماء والدعاة إلى البوادي والهجر

الدعوة لا تؤمن بإصلاح جزئي، إنما تعتمد إلى الحياة البشرية بأجزائها وأبعادها وأعماقها فتقلبها، وتعطي خطة جديدة لحياتها الاجتماعية، ولذلك فإن الأمر يقتضي برنامجاً تربوياً تدريجياً لا يقل أهمية عن الدعوة.

وكلما كان الأساس صلباً ومتيناً ظل صامداً، لا تؤثر فيه معاول الباطل، وكان أدعى إلى استقرار البناء عليه، مهما علا وارتفع وهذه القاعدة الصلبة تتمثل في إعداد جيل مؤمن، استحوزت عليه العقيدة الإسلامية، فملكته عليه حياته وسخر لها كل طاقاته وإمكاناته، حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقد كانت هذه القاعدة إحدى الدعائم التي سار عليها الملك عبدالعزيز. فعندما عاد إلى الرياض شعر بعظم المسؤولية التي أوكلتها الدعوة السلفية إليه. لذلك رأى أن يوجه اهتمامه إلى البناء الداخلي لإيجاد جبهة منيعة قادرة على الصمود في وجه أعداء الدعوة.

إن البدوي صفاته خشنة، وطباعه غليظة أصعب من الحضري، وأشد تنعماً في قبول الأوامر والاستكانة للتعاليم، مما يجعل تهذيبه وتعليمه من المشاكل الكبرى، «وقد حل الملك هذه المشكلة بطريقة لم يسبقه إليها من ملوك العرب أحد، فحارب البدو وغلبهم وأدخلهم في دين التوحيد، ولكنه أيضاً قال: سنعطيهم أرضاً ونساعدهم في بناء البيوت»<sup>(١)</sup>.

(١) عمر أبو زلام ص ٣٨٧.

وقد كان عام ١٣٣٠هـ هو بداية استيطان البادية، وجمع قلوبهم على عقيدة التوحيد، وقد اختط أول هجرة في قلب التجمع القبلي في شمال القصيم، ما بين شمر الجبل، وبدو القصيم، وبدو الأحساء، وعلى الطريق المؤدية إلى الكويت أسس هجرة الأرتاوية، وسكنها أحد رؤساء حرب هو سعيد بن مثيب، ثم أعطيت لفيفل الدويش زعيم قبيلة مطير، وأحد قادة الإخوان.

إن الهجرة كانت هجرة بالمعنى الديني، غرسها علماء الدعوة في قلوب البدو، مما جعل هذه التجربة ظاهرة لم تتكرر منذ عصر النبوة. ولقد نجح الملك عبدالعزيز في ربط مشروعه للإمساك بالقبائل البدوية المتنقلة بإحياء العقيدة الصحيحة. «وإن شخصية الملك هي التي أعطت الدفعة القوية لهذا التحول العظيم وإحاطته بمقتضيات النجاح لهذا العمل الكبير، وهي التي جعلته يعين المرشدين لتعليم هؤلاء الرحل الزراعة والرعي إلى جانب المطوعين لتعليم أسس العقيدة الصحيحة».

كما وجه العناية ببنية المساجد لعلمه أن الصلوات الخمس هي أهم رباط لهؤلاء السكان، كما أنها ستوفر رقابة مستمرة للمطوعين على هؤلاء البدو.

والتاريخ حافل بالأمثلة على قدرة العقيدة على قهر العوامل المادية، فالبدو أثبتوا أنهم أكثر تضامناً وأخوة وترابطاً من كل الأمم حولهم<sup>(١)</sup>. إن هؤلاء البدو الذين التزموا بالدين هم الذين نادى قبلهم الملك وهو ذاهب لحرب ابن رشيد في حائل فقال:

«يجب أن تعرفوا أننا مقدمون على أمر خطير فمن أراد الشهادة فليتبنا، ومن شاء فليعد إلى زوجته». فتعالى بكاء الإخوان وأقسموا على

(١) محمد كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص ٥٧٣.



الموت وبدؤوا يستعدون للشهادة بالتوبة من المعاصي، ثم كتب كل منهم وصيته. قال الشريف عون بن هاشم: «من أعجب ما رأيت الإخوان في أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون للقتال».

فقد أدرك الملك دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة، ولذلك أرسل العلماء إلى تلك الهجر على منهاج الدعوة السلفية القائمة على العقيدة التي هي أساس التعليم وهدفه.

من هذا العرض يتبين لنا أن الهجر مجتمعات تعيش لتحقيق رسالة التوحيد، ورفض كل ما يخالف هذه الرسالة، فلم تمنعهم الدعوة عن أعمالهم، بالإضافة إلى تدينهم وسلوكهم، وشجاعتهم وكفاءاتهم القتالية في وقت الحرب.

وقد تحدث ابن سعود عن الهجر، فلم يشر من قريب أو بعيد للمشروعات الزراعية، أو بناء المدن بل وصفهم بقوله:

«يحيئوننا في السلم فنعطهم من كسوة ورزق ومال ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئاً، أيام الحرب يحتزم الواحد منهم بحزام الرصاص ويبادر إلى البندق ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شيء من الماء والتمر».

وهكذا استطاع الملك إقناع كل القبائل التي استمرت تقاتل بالأسلوب البدوي، بل استطاع بفضل الله - ثم بواسطتهم - أن يهزم جيش الأتراك النظامي والدائم، وكذلك جيش الشريف حسين بالرغم من مدافعه وطائراته وخبرائه الروس والشوام، وأقنع بريطانيا بتجنب مواجهته، وجعله يفخر بقوله:

«إن ورائي ما لا يقل عن أربعمئة ألف مقاتل إن بكيت بكوا وإن فرحت فرحوا وإن أمرت نزلوا على إرادتي وأمري وإن نهيت انتهوا، وهؤلاء جنود التوحيد، أهل التوحيد إخوان من أطاع الله، ومعلوم أن هتافات

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

١٧٣

الإخوان هي خيال التوحيد... أهل التوحيد أخو من أطاع الله - هبت هبوب الجنة... وين انت يا باغيها... يا ويل عدو الشريعة منا»<sup>(١)</sup>.

فإن المجتمع المفكك لا علاج له إلا الإلتزام بمبادئ الإسلام، وقد أدرك الملك أن نشر مبادئ هذه الدعوة هو الضامن الوحيد لهذه الأمة، كي تنهض من غفلتها، وتتحرر من الضعف والانحلال.

يقول الريحاني: «إن الهجرة هي الانتقال إلى دار الإسلام فهي إذن هجرة إلى الله والتوحيد فالداعي إلى الهجرة ثلاثة أمور:

- ١ - تعليم البدو الدين.
- ٢ - إفادة البدو بالحياة المدنية.
- ٣ - احتواء البدو وسهولة توجيههم»<sup>(٢)</sup>.

وفي سبيل الهدف الأول أرسل الملك الدعاة (المطواعة)، ليعلموا أهل هذه الهجر دين التوحيد.

«وأخى بين رجال تلك القبائل المتنافرة مقتفياً سنة محمد عليه الصلاة والسلام عندما أخى بين المهاجرين والأنصار وبعث لسكان الهجر (مطواعة) أي علماء دين حفظة قرآن يعلمونهم القراءة، حتى إذا مر بهم شخص يسمع لهم دوي كدوي خلية النحل من قراءة القرآن والذكر والتهليل، ولذلك باعوا إبلهم التي كانوا يرعونها بأبخس الأثمان اعتقاداً منهم أن هذه الإبل شغلتهم عن طاعة الله»<sup>(٣)</sup>.

إن إرسال العلماء للدعوة من الوسائل التي حث عليها الرسول ﷺ قولاً وعملاً. فقد أرسل مصعب بن عمير ليعلم مسلمي المدينة القرآن

(١) كشك، ص ٥٧٨، ٥٨٨.

(٢) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٦١.

(٣) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج ٣، ص ١٩٢.



الكريم، وقد ظل مصعب كذلك حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون .

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري إلى قبائل من العرب ليدعوهم إلى الإسلام، ويعلموا من أسلم منهم<sup>(١)</sup> .

أما المنهج التعليمي لهذه الهجرة الدعوة، فكان يهدف إلى بث روح الفقه الدعوي، والعلم بحقائق الإسلام، والتبصير بأمور الحياة في ضوء التشريع الإسلامي والعقيدة الإسلامية. وقد قدم لنا الريحاني نموذجاً للدعوة التي اقتفى فيها ابن سعود أثر السلف الصالح إذ قال:

«بأمر ابن سعود إصلاحه الكبير بالوسائل الدينية فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى ما دعاهم إليه من إيمان يستشعرونه، وبيت يأوون إليه، وأرض يحرثونها»<sup>(٢)</sup> .

وقد كان ابن سعود هو الذي بدأ حركة البعث بواسطة دعائه ووفر لهذه المستعمرات كل احتياجاتها، من المال، والأدوات الزراعية، والمعلمين الدينيين، والسلاح والذخيرة، للدفاع عن العقيدة التي كان البند الأول فيها هو التخلي عن العادات الجاهلية والقبلية، والتأخي بين كل الذين يقبلون النظام الجديد، بصرف النظر عن قبائلهم، وأصولهم الاجتماعية.

وهكذا وجه الملك النزعة القتالية عند الأعراب إلى خدمة الإسلام، وفي المقابل حرمت عليهم الغارات القبلية، وأعمال النهب، وشرب الدخان وكل خطايا الحياة القديمة.

(١) ابن هشام، ج ٤، ص ٢٠٣ - ٢٣٣.

(٢) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٦١.

## أثر علماء الدعوة في الهجر

تسببت الهجر في بداية أمرها للملك في مشكلة كبيرة، وهي أن البدو أقاموا في الهجر بعد بيع جمالهم لا يعملون شيئاً في أيام السلم غير الصلاة والعبادة في المساجد، فكادت تنتشر البطالة بينهم. لكن الملك - من منطلق حرصه على الصالح العام - استشار العلماء، فأشاروا عليه بحث أهل الهجر على العمل والكسب وزودوا الدعاء والمطاوعة بكتب التاريخ وأخبار السلف، التي تدل على أن السلف الصالح كانوا يعملون في الزراعة والتجارة، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ويضربون الأمثال بأبي بكر.

وقد أفلح المطاوعة في تحبيب العمل والغنى والكسب إلى الإخوان، فشرعوا يزرعون الأرض، ويتاجرون دون أن تضعف فيهم روح القتال وحب الاستشهاد، كما كانت الهجر تضم الكثير من أنصاف المتعلمين الذين جنحوا إلى التشديد عن حسن قصد.

إلا أن العلماء أخذوا يواجهون غلوهم ويقنعونهم بالحجة، ويدعونهم إلى الرجوع عن غلوهم بالدليل الشرعي. وقد صدرت عن العلماء فتوى بخصوص تعصب بعض الإخوان، وذلك سنة ١٣٣٧هـ. وقد أجاب العلماء على بعض الأسئلة: وهي أن الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم، وأن لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحد، وأنه لا فرق بين الحضرة الأولين والمهاجرين الآخرين، وأن لا فرق بين ذبيحة البدوي، وبين ذبيحة الحضرة الأولين والمهاجرين، وأنه لا يحق للمهاجرين أن يعتدوا على الناس بضرهم، أو يلزمهم بالهجرة، وأنه لا يحق لأحد أن يهجر أحداً، بدوياً أو حضرياً بغير أمر واضح، أو كفر صريح.



إن بعض المؤرخين عن المملكة قد نسبوا الكثير إلى علماء الهجر عن وقوفهم ضد تيار التمدن، واعتبر هؤلاء المؤرخون أن الدين عائق عن التقدم، ونسوا - أو تناسوا - أن المسلم أقدر على التعامل مع الحقائق العلمية التي تميز بها العالم المسلم، ومرجع ذلك إلى حث القرآن الكريم على استخدام العقل والعلم في آيات كثيرة<sup>(١)</sup>.

الملك عبدالعزيز كان بعيد النظر، فاستطاع أن يحافظ على استقلال المملكة من أي ضغط أو امتيازات أجنبية، مع انتفاعه - في الوقت نفسه - بكل وسائل المدنية الحديثة.

بقي أن نشير إلى أن العلماء لم يقتصر دورهم على الهجر فحسب، بل كان لهم نشاط ظاهر في تثقيف العوام. فقد قام الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي بالدعوة في جنوب المملكة على أسس إسلامية سلفية صحيحة، وفتح عندهم المدارس، وركز لديهم المجالس العلمية، وبث فيهم العقيدة السلفية فكثر لديه المتعلمون، وانتشر التعليم في الجنوب والغرب، وقد استطاع أن يستعين ببعضهم، حتى عم العلم النافع، والعقيدة السلفية والدين الخالص كثيراً من مناطق تهامة والحجاز.

وكان قد سبقه في الذهاب إليهم الشيخ محمد بن عبداللطيف، ومكث عندهم مدة من الزمن، وكان مما كتبه إليهم هذه النصيحة:  
من محمد بن عبداللطيف آل الشيخ إلى من يراه من أهل القرى،  
ورؤساء القبائل من أهل الجنوب، وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر،  
وقحطان، وغامد، وزهران وكافة أهل الحجاز، وغيرهم هداانا الله وإياهم  
لدين الإسلام، آمين.

(أما بعد) فقد بعثنا الإمام عبدالعزيز لأجل تعليمكم ما أوجبه الله

(١) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٦٥.

عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والإعراض عنه، وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار، ووجب علينا لذلك الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

واعلموا أن حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه ونجاهد على التزامه والعمل به، إنا ندعو إلى دين الإسلام، والتزام أركانه وأحكامه، الذي أصله، وأساسه شهادة أن لا إله إلا الله والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له.

ثم قال:

«وبالجملة فإننا نأمر بما أمر الله به في كتابه، وأمر به رسول الله ﷺ، ونهيه عما نهى عنه الله، ونهى عنه رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا نحرم إلا ما حرم الله، ولا نحلل إلا ما حلل الله، فهذا الذي ندعو إليه، ومن كان قصده الحق ومراده الخير والدخول فيه التزم ما ذكرنا وعمل بما قررنا، فيكون له ما لنا وعليه ما علينا، ونجاهد من لم يقبل ذلك، ونستعين بالله على جهاده ونقاتله حتى يلتزم ما أمر الله به في كتابه، وأمر به رسوله ﷺ» (٢).

وليس هناك شك بعد هذا أن خطة الملك في إرسال الدعوة إلى البادية والهجر كانت من أنجح الوسائل في نشر الدعوة، وكان من العوامل المساعدة في إقامة دولة الإسلام، كما أنها قضت على نزعات الخروج والاجتهادات الفردية الجامحة، التي تميل إلى التطرف، والتي تسيء إلى صورة الإسلام والمسلمين في نهاية الأمر.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) ابن قاسم، الدرر السننية، ج ١، ص ٢٨٤.





## المحب السادس

### رسائل العلماء ومكاتباتهم

إن القول، أو الكلمة هو الأصل وهو الوسيلة الأولى للتبليغ، لأن العقل يقتضي إيماناً واقتناعاً، وهما لا يتحققان إلا بالكلمة التي تخاطب العقل والوجدان، والقول تتفاوت أنواعه وفنونه، فقد يأتي في شكل حوار ثنائي بين الداعي والمدعو، وقد يأتي في صورة خطاب أو رسالة، كما يأتي في صورة خطبة أو درس أو محاضرة، أو كتاب أو مقالة أو غير ذلك.

والكتابة وسيلة قولية، يتحدث بها الكاتب لمن لا يمكنه المشافهة معه، كما أنها تحقق - أحياناً - ما لا يمكن للقول المنطوق أن يحققه، وهذه الكتابة قد تكون كتابة رسائل، يتوجه بها الداعي إلى من يريد دعوتهم إلى الإسلام، لتصحيح عقائدهم، وهذه الرسائل ذات طابع فردي - على الأغلب - إلا أن تكون منشورة تقرأ على عامة الناس في المساجد أو المحافل.

والرسائل وسيلة قديمة أصيلة معروفة. فقد أرسل الرسول ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء، وكان يكتب لكل منهم حسب حالته العقدية أو السياسية، داعياً إياه ومن معه إلى الدخول في الإسلام.

كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الله تعالى.

كما استخدم الخلفاء الراشدون هذه الوسيلة الدعوية الهامة (الرسائل)<sup>(١)</sup> فكانت من أقوى وسائل الإعلام في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - . كما كان العلماء والدعاة على امتداد التاريخ الإسلامي

(١) الطبري، تاريخ الأمم، ٣، ص ٢٤٩.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

١٧٩

يرسلون الرسائل إلى حكام المسلمين، يدعونهم فيها إلى الالتزام بما أمرهم الله به، ويذكرونهم ويعظونهم. ومن ذلك مثلاً رسالة الأوزاعي<sup>(١)</sup> إلى الوالي العباسي في الشام حول أهل الذمة ولزوم رعاية حقوقهم.

ومن أمثلة رسائل العلماء بعضهم إلى بعض في عهد السلف الصالح رسالة عبدالرحمن بن مهدي إلى عالم زمانه الإمام الشافعي يسأله عن قواعد الاستنباط، فأرسل إليه كتاب الرسالة<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة رسائل العلماء إلى العامة رسالة الإمام أحمد (الصلاة)، وكان قد صلى مع قوم، فلم يرهم يحسنون الصلاة ويسابقون الإمام، فكتب رسالة مختصرة في الصلاة وأحكامها.

ولقد كان لوسيلة الرسائل بأنواعها وخصائصها المتميزة إسهام كبير في الدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز، وكانت رسائله للدعوة تتصف بما يأتي:

- ١ - البدء بيسم الله الرحمن الرحيم دون الحمد وغيرها من العبارات، وذلك اتباعاً للنبي ﷺ في كتبه.
- ٢ - إن اسم المرسل يذكر فيه أولاً ثم اسم المرسل إليه.
- ٣ - الدعاء للمرسل إليه وليس فيه مدح ولا إطراء زائد.
- ٤ - السلام على المرسل إليه رغبة في إفشاء السلام.
- ٥ - وضوح العبارة.
- ٦ - الرسالة تتضمن الأدلة من الكتاب والسنة.
- ٧ - إنهاء الرسالة بإبلاغ السلام لمن تربطه مع المرسل إليه قرابة أو عمل.
- ٨ - وضع التاريخ في آخر الرسالة.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ص ١٠٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٦٤.



٩ - الختم في آخر الرسالة .

وفي عهد الملك عبدالعزيز ، كانت رسائل العلماء على عدة أنواع :  
النوع الأول : رسائل العلماء للملك عبدالعزيز . وهذه الرسائل تثبت لنا قيام العلماء بواجبهم تجاه قادة البلد وولاية الأمر ، ولم يكن جهد هؤلاء العلماء مقصوراً على الإجابة عن الأسئلة التي يوجهها الملك إليهم ، وإنما كانوا يوجهون رسائلهم إليه للنصح والإرشاد والمشورة .

ولقد كان للملك عبدالعزيز سياسة راشدة في الأخذ بقول العلماء وقبول اعتراضاتهم ، ومناقشاتهم . ومن أمثلة هذا النوع من الرسائل : رسالة الشيخ سعد بن عتيق للملك التي تتضمن ملحوظاته على بعض الدعاة الذين أرسلوا إلى الحجاز لكنهم تهاونوا في القيام بواجباتهم .

وكذلك الرسالة التي وجهها الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ، والشيخ حسن بن حسين ، والشيخ محمد بن عبداللطيف إلى الملك ينصحونه فيها بحفظ الثغور ، ومنع الناس من الغزو إلا بإذن الإمام<sup>(١)</sup> .

وكذلك الرسائل من العلماء أمثال الشيخ محمد بن عبداللطيف ، والشيخ عبدالعزيز الشثري التي يشيران فيها إلى وقائع معينة ويعالجانها بالحكم الشرعي ، وهي تشكل تفاعلاً رائعاً بين العلماء وبين الملك ، للوصول بالأمة إلى ما فيه عزها وعلو شأنها ، ورفعة كلمتها ، واتحاد أمرها .

فكان لهذه الرسائل دور بارز في القضاء على الخرافات والبدع ، وفي تحقيق وحدة البلاد السعودية على أساس عقيدة صحيحة وشرعية ربانية .

النوع الثاني من رسائل الدعوة الخاصة : وهي الرسائل المتبادلة بين العلماء أنفسهم للتباحث في بعض المسائل العلمية والفقهية أو للتشاور في بعض الأمور والمصالح . ومنها الرسالة التي وجهها الشيخ محمد بن

(١) الدرر السنوية ص ٢٧٧ ج ٥ .

عبداللطيف إلى بعض طلبة العلم يبين لهم معنى قول الرسول ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»<sup>(١)</sup>، أي من مكة؛ لأنها أصبحت دار إسلام، وأن الهجرة لا تزال واجبة عن بلاد الكفر، إذا استشعر الإنسان خطراً على نفسه أو دينه أو ذويه.

هذه الرسائل تدل على محبة العلماء بعضهم لبعض، ورغبتهم في الخير وعدم خجلهم من السؤال عما لا يعلمون. وكانت تلك الكتابة مبنية على أسس قوية مستمدة من الكتاب والسنة بواسطة القواعد الأصولية، غير مغفلة لآراء العلماء واستنباطاتهم، فكانت ذات محتوى أصولي وفقهي.

وهذه الرسائل العلمية مكتوبة بأسلوب سهل بعيد عن الاصطلاحات الغامضة والإيجاز المخل، وتميل إلى التلقائية والبساطة والوضوح.

أما النوع الثالث: فهو أجوبتهم على أسئلة المستفتين في المسائل الفقهية والعقدية. فعندما تبرز مسألة شرعية يسأل المستفتون العلماء عنها، فيجيبونهم بالحكم الشرعي مشافهة أو كتابة، وقد أثرت هذه الرسائل الناحية العلمية عند عامة الناس، وجعلتهم يسرون بموجب أحكام الله، وأدت إلى التفاهم حول علمائهم.

كان لهذه الرسائل دور في إرشاد الناس لأحكام الدين، ورفع مستواهم العلميو وتبصيرهم بالطريق الصحيح، ومن ثم التزامهم بتعاليم الإسلام في كل جوانب حياتهم.

وقد نتج عن هذه الوسيلة ثروة علمية هائلة جمع بعضها وبقي جزء منها مخطوطاً، وضاع جزء ثالثاً، ومن أمثلة الكتب التي جمعت هذه الرسائل:

كتاب (مجموع الرسائل والمسائل)، وكتاب (الدرر السنية في الأجوبة

(١) رواه البخاري ٢٨/٤ رقم ٢٨٢٥، كتاب الجهاد.



النجدية)، الذي جمعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم . وقد أمر الملك بطبع هذه الرسائل، فانتشرت بين العلماء وطلاب العلم، فصار لها أكثر الفائدة وأعظم النفع<sup>(١)</sup> .

### ثانياً: الرسائل العامة

وهذا نوع من الرسائل يتوجه من الملك أو العلماء إلى عامة الناس، وهي أشبه ما تكون بالبيانات العامة في وقتنا الحاضر، تعالج ظروفاً طارئة وأوضاعاً مستقلة، فقد يبلغ الملك أو العلماء وقوع بعض المخالفات، أو التساهل في بعض الواجبات أو المسنونات، أو التحاكم إلى بعض العادات المخالفة للشريعة، فيحمل هذا الملك أو العلماء إلى الكتابة إليهم، لتحذيرهم عن إتيان هذه المخالفات وبيان خطرها الجسيم، ويرد في مستهلها الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى من يراه من إخواننا المسلمين، ثم يأتي النص مبدوءة بالسلام عليكم، وهي تكتب لعامة الناس وتكون سهلة الأسلوب واضحة المعنى .

ويعزز من تأثير هذه الوسيلة وأهميتها قلة الدعاة في ذلك الوقت . فمن المعروف أن العالم أو الداعية قد لا يستطيع إلا مشافهة قوم محددين، وبخاصة قبل انتشار المذياع والتلفاز .

ومن هذا النوع رسالة الملك إلى الحجازيين والنجديين واليمنيين، التي ينصحهم فيها بالفقه بمعنى لا إله إلا الله، فكراً وتطبيقاً، والفقه بمعنى النصيحة لله ولرسوله، والعمل بمحكم كتاب الله والإيمان بمتشابهه، والعمل على توحيد المسلمين على العقيدة الصحيحة الموجودة في كتاب الله وسنة رسوله، والإيمان بشفاعرة الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أذن الله،

(١) عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢ ص ٤١٥ .

وتكفير الذي يفرق في الإيمان بين الكتاب والسنة<sup>(١)</sup> .

هذه الرسائل - وإن انطلقت من باعث محدد إلا أنها - تعالج أموراً عامة في الجملة، وإن الباعث حمل الرعية إلى استحضار الحالة العامة للمسلمين، وهو بالتالي يوجه إليهم توجيهاً إجمالياً يتبع فيه عوامل تخلفهم وجهلهم بدينهم .

ومن رسالة الملك عبدالعزيز السابقة نستخلص الآتي :

أولاً: هي خطاب لعدد كبير من الناس (الحجازيين والنجديين واليمانيين) .

ثانياً: تذكير بالإسلام في الجملة .

ثالثاً: عرض سلفي ملتزم بمذهب السلف الصالح .

رابعاً: شعوره بالوضع الإسلامي المؤلم .

خامساً: مقاومة البدع من الجاهلية وأخطارها .

سادساً: دعوة إلى إنقاذ الشباب عن طريق التربية الإسلامية .

سابعاً: دعوة إلى تبادل النصح وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر .

ويلاحظ أن أسلوب هذه الرسائل يمتاز بالإطناب والشرح

والبساطة، أكثر من الرسائل الخاصة، حيث إنها توجه إلى مستويات كثيرة

مختلفة الفكر والثقافة، وإلى قطاعات كبيرة من الناس .

(١) أم القرى، عدد ٦٤٧، ١٩/٢/١٣٥١هـ .



## المبحث السابع

### التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة

يقف جهل الشعوب بحقيقة الدعوة السلفية عقبه دون نشر الإسلام الصحيح في مختلف البلدان العربية والإسلامية. كما يدفع هذا الجهل أعداء هذه الدعوة لإثارة الشبهات حولها. ولهذا يجب على الدعاة تجلية حقيقة الدعوة ونشرها، وتفنييد الشبهات، وإظهار الحق أمام الناس بالحجة الواضحة والبراهين، وذلك برفق وصبر، وتحمل واحتساب عند الله.

إن حقيقة الدعوة السلفية وأهدافها تقوم على ثلاثة أصول:

- ١ - تصحيح العقيدة وتجريدها مما علق بها من بدع وخرافات، مع أفراد الله وحده بكل أنواع العبادة.
- ٢ - تحكيم شرع الله، والالتزام بمنهج الإسلام في شؤون الحياة.
- ٣ - القيام بواجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذه الدعوة تعبر عن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين في العقائد والعبادات. والدعوة السلفية هي التي هذبت النفوس أمام النصوص، مع الحرص على التطبيق بقدر المستطاع، وأصبح لها أبناء يستميتون في الدفاع عنها، والدعوة إلى الله من خلالها، بعد ما رأوا فيها المخلص من ذل الحياة الدنيا ومن عذاب الآخرة.

لقد تناولت بعض الأقلام العربية والأجنبية هذه الدعوة السلفية بعين الإنصاف، وأقلام آخر تناولتها بإجحاف وظلم كما يلي.

(أ) أقلام تناولت الدعوة بإخلاص، ووصفتها وصفاً أقرب إلى الحقيقة، وقد أيدتها وسعت إلى نصرتها، مثل الشيخ محمد سالم البيحاني في

كتابه (أشعة الأنوار على مرويات الأخبار)، ومثل الأمير شكيب أرسلان وكتابه (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف)<sup>(١)</sup>.

(ب) طائفة جاهلة بالدعوة، ولم توفق إلى من يقوم بتعريفها بحقائقها. ونتيجة لذلك جاءت كتاباتهم مليئة بالخلط والتشويه، وإن سلم قصد بعضهم مثل محمد جميل الشطي في كتابه الوسيط بين الإفراط والتفريط.

(ج) وطائفة حاربت الدعوة بالقلم والسلطان، وسعت إلى تشويه صورتها وصد الناس عنها بالكذب والتزوين، وذلك لدوافع سياسية وطائفية ودينية، ولمصالح شخصية، أمثال يوسف الدجوي الذي حشا مجلة نور الإسلام بمقالات متعددة، يطعن فيها بعقيدة السلف الصالح. وقد رد عليه عبدالله القصيمي في كتابه البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية.

ومثل يوسف النبهاني وكتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق وقد رد عليه الشيخ محمود آلوسي في كتابه غاية الأمان في الرد على النبهاني. ولولا هذه الأمور لما كان هناك عائق من أن يجتمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على هذه الدعوة، وينضموا تحت رايتها.

كان الملك عبدالعزيز يأمل في جمع الأمة كلها على الأخوة الإسلامية. وكان يقول: «نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله وبكتابه وبسنه نبيه ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن».

وقد ساعد الملك على نشره للدعوة السلفية أنه في الوقت الذي كان مشغولاً فيه بتأسيس دعائم الدولة السعودية كانت معظم البلدان العربية والإسلامية تعاني من سيطرة الاستعمار، وكان على المملكة أن تقوم بدور

(١) شكيب أرسلان، أديب كاتب ولد سنة ١٢٨٦هـ ببلنات وتوفي ١٣٦٦هـ (الأعلام ج ٣ ص ١٧٣).





المرشد الديني، فتبعث العلماء إلى البلدان للتعريف بالمنهج الإسلامي، لما في ذلك من قيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بالإضافة إلى دعم العلماء في مختلف البلدان مادياً ومعنوياً ليدافعوا عن هذه الدعوة ضد ما أثير حولها من شبهات.

كان الملك يسعى - قدر طاقته - لتعريف المسلمين بالعقيدة الصحيحة، بعدما طرأ عليهم من الخرافات والبدع، وذلك من خلال عدة وسائل أهمها:

١ - اللقاء بوفود الحجيج، وحثهم على التمسك بالدين الصحيح ليكونوا دعاة في بلادهم.

٢ - دعم ونشر الكتب والمجلات والنشرات الإسلامية التي توضح الدين الحق.

٣ - دعم العلماء السلفيين في مختلف البلدان مادياً ومعنوياً لإيضاح الحق ودعم الرد على المحاولين تشويش الدعوة.

٤ - إرسال الدعاة إلى هذه البلدان للتعريف بالمنهج السلفي، حيث أرسل الكثير من العلماء والدعاة يدعون إلى توحيد الله وعبادته.

وقد وجد هؤلاء الدعاة الناس في حاجة إلى تعريفهم بدينهم الصحيح، ولاسيما بعد أن نشطت الفرق الضالة في الترويج لمذاهبها، وبعد أن عمل دعاة النصرانية والإلحاد في نشر مبادئهم، فاجتهد هؤلاء الدعاة ليعرفوا الناس بالمنهج السلفي، فنادوا إلى التمسك بالدين الصحيح، وترك البدع والخرافات، معتمدين في دعوتهم على الحديث الصحيح: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة الدعاة الذين كان لهم تأثير في خارج المملكة الشيخ

(١) ابن ماجه مقدمة ٦، ٧ - وصحيح مسلم ٤٣ ج ٣ المعجم المفهرس ص ٤١٨.

محمد بن عبدالعزيز بن مانع، الذي سافر للخليج، وكان رئيساً لنادٍ دعوي في البحرين.

كما أنه رحل عام ١٣٣٤هـ إلى قطر، فتولى فيها التدريس والخطابة والقضاء نحواً من ثلاث وعشرين سنة، فنشر المنهج السلفي، ورحل إليه الطلاب من عمان وسائر بلدان الخليج، وأخذوا عنه أثناء هذه الفترة الطويلة<sup>(١)</sup>.

ومن قام بالدعوة خارج المملكة الشيخ عبدالله المحمود، الذي أرسله الملك إلى قطر ١٣٥٩هـ وقد قام بالدعوة والخطابة والإفتاء والتأليف، بالإضافة إلى عمله في القضاء.

ونظراً لمكانة مصر بين البلدان الإسلامية لوجود الجامع الأزهر بها، والذي كان له دوره الكبير في مسيرة الحركة العلمية والثقافية، بالإضافة إلى وجود العديد من المدارس العربية التي جعلت الحالة الثقافية في مصر أحسن منها في بلاد الشام، وغيرها من البلدان، لذلك وجه الملك اهتمامه إلى مصر، وذلك بدعم العلماء السلفيين فيها، مثل الشيخ محمد رشيد رضا، ومحمد حامد الفقي، ومحمد خليل الهراس، وعبدالرحمن الوكيل وغيرهم من أعلام الدعوة السلفية في مصر.

كان الشريف حسين قد سعى إلى تشويه سمعة الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية بما يستطيعه من وسائل، وقد حرص مناصرو الشريف حسين في حروبهم للسعوديين على التعرض لعقيدتهم السلفية، فسبوا الحركة الإصلاحية السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ووصفوها بالابتداع والخروج عن الإسلام.

ولم يقف رشيد رضا متفرجاً إزاء ذلك، بل أخذ قلمه يصول ويجول في

(١) عبدالله البسام، علماء نجد ج ٣، ص ٨٣٠.



خضم المعركة مناصراً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعها، فكتب مقالات عديدة في صحف مصر ومجلاتها يشرح فيها حركة الشيخ ومبادئها وأهدافها، ويبين أنها تقوم على مبادئ الإسلام الصحيح، كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ، وقد كانت له مقالات في صحيفة (الأهرام)، وفي مجلة المنار ترد على مزاعم أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

كما كان للشيخ محمد رضا العديد من الكتب التي توضح الحقائق وترد على أعداء الدعوة، مثل كتابه (الوهابيون والحجاز) الذي أوضح أن حقيقة الدعوة التي انتعشت في الجزيرة تهدف إلى العودة إلى الإسلام وأصوله الأولى، ومحاربة الأمور الدخيلة والبدعية في الدين.

وكان الملك يستنير بأرائه، ويصغي لنصائحه وتوجيهاته، وكانت العلاقة بينهما تقوم على أساس تمسكهما بالدعوة الإسلامية، وكانت الرسائل المتبادلة بينهما تحمل ألواناً من النصائح والموضوعات الشرعية.

لقد ساعد الملك عبدالعزيز الشيخ رشيد رضا وغيره في تمويل طبع الكتب السلفية التي تقوم بطباعتها مطبعة المنار، ولم يقصر في تقديم أي مساعدات للسلفيين، باعتبارها نصرة للسنة ومذهب السلف. وبفضل الله قامت في بعض البلاد العربية العديد من الجمعيات السلفية، وعلى رأسها (جماعة أنصار السنة المحمدية) بالقاهرة، وهي الجمعية التي أنشأها الشيخ (محمد حامد الفقي) في مصر، وهو من تلاميذ رشيد رضا وتولى - يرحمه الله - نشر العقيدة السلفية في مصر من خلال مجلته ومحاضراته وخطبه.

ومن مؤلفاته (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الاجتماعي والعمرائي)<sup>(١)</sup>، كما لا ننسى كتب القصيمي في أول أمره وهو الذي كان يقوم

(١) د. علي جواد طاهر، معجم المطبوعات العربية، ج ٢، ص ٢٢٠.

بنشر الدعوة السلفية والانتصار لها، وكانت له مؤلفات عديدة في هذا المجال .

وومن كان له جهد كبير في نشر الدعوة السلفية، في سوريا الشيخ عبدالقادر بدران، وهو الذي قام بتحرير العديد من المؤلفات في نصرة الدعوة السلفية وخدمة الفقه الإسلامي، وأغلبها طبع على نفقة الملك عبدالعزيز .

وفي العراق وجد الشيخ محمود شكري الألوسي الذي كان يرى أن مذهب السلف هو الطريقة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميمة وعدم مراعاة الدليل .

وكان - رحمه الله - يحمل على أهل البدع في دروسه في المسجد، ويرد عليهم في كتبه ورسائله . ومما ألفه في هذا الصدد (غاية الأمان في الرد على النبهاني) . ولهذا عاداه كثير من الناس، وألبوا عليه والي بغداد، فأصدر السلطان عبدالحميد أمراً بنفيه إلى الأناضول، فاحتج أهل الموصل وكتبوا للسلطان يطالبونه بإعادته، فسمح له بالعودة إلى بغداد .

وقد اتصل بالملك عبدالعزيز في نجد سنة ١٣٣٣هـ، وتزعم حركة الإصلاح الإسلامي في العراق، وكتب عدة مقالات في مواجهة بعض المذاهب الإسلامية المنحرفة .

كما كانت في لبنان وغيره من البلاد الإسلامية جماعات سلفية لها نشاط في الدعوة ومحاربة البدع والخرافات، ففي طرابلس الشام وجدت جماعة من تلامذة الشيخ محمد رشيد رضا وأقاربه يقومون بالدعوة السلفية خير قيام، ويرسلون في ذلك الوفود إلى الجبل وبلاد الساحل .

كما وصلت مبادئ الدعوة السلفية إلى الكثير من دول شرق آسيا عن طريق الطلاب الذين كانوا يدرسون من هذه البلدان في الحرمين الشريفين، حيث عين الملك عبدالعزيز - بعد توحيد المملكة - علماء سلفيين في



الحرمين، انتصروا لهذه الدعوة ونشروها بين طلاب العلم.

وقد كان من حنكة الملك عبدالعزيز في مجال نشر الدعوة السلفية خارج المملكة أنه كان يختار للمناصب السياسية في المفوضية السعودية في البلدان المختلفة الشخصيات الصالحة التي تدعو إلى الإسلام وتكون نموذجاً عملياً بما تتحلى به من أخلاق فاضلة وفكر سديد.

وكانت تعطي أهل تلك البلدان انطباعاً صادقاً عن أتباع الدعوة السلفية، ومدى التمسك بالدين الحنيف. فعلى سبيل المثال كان الشيخ فوزان بن سابق الفوزان يسافر بتجارته إلى العراق ومصر، وعينه الملك عبدالعزيز معتمداً له في دمشق.

وهناك اتصل برجال العلم، وقرأ على مشاهير العلماء مثل الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبدالرزاق البيطار، ثم نقل إلى المفوضية السعودية بالقاهرة.

فكانت رحلاته إلى هذه البلدان الهامة، واتصاله بالعلماء ذات أثر كبير في بيان الدعوة السلفية.

قال الزركلي: «صحبته اثني عشر عاماً وهو قائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بمصر وأنا مستشار لها وكان من التقى والصدق والدعة وحسن التبصر في الأمور والتفهم لها على جانب عظيم».

ويقول القصيمي: «ها هو التقي الورع السيد الفوزان السابق معتمد حكومة هذه الدعوة في مصر يصلي في كل المساجد المصرية مع شدة احتياطه لدينه».

ولا شك أن نشاط هؤلاء العلماء في نصرة الدعوة السلفية خارج المملكة كان له نصيب كبير من النجاح والانتشار، وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الدعوة التي جاهد رجالها من أجل نشرها هي دعوة قائمة على أساس

إسلام سليم يوافق الفطرة السليمة .

فهي دعوة سهلة الفهم بعيدة عن التعقيدات العقديّة، لأنها هي الدعوة إلى الإسلام بعينه .

وكان من نتائج هذه الجهود أن ثمار الدعوة السلفية قد أينعت في كثير من بلدان العالم، مما يشير إلى أن هذا المجتمع الإسلامي ككل سوف يلتقي مع هذه الدعوة السلفية المباركة إن عاجلاً أو آجلاً، فالمؤمنون - وإن تباعدت أوطانهم، واختلفت لغاتهم - تربط بينهم رابطة فوق روابط الوطن والنسب والدم، وهي رابطة العقيدة .

ومن الذين أرسلوا للدعوة خارج البلاد «عبدالعزیز بن رشید البداح الذي كانت له جولات في البلاد الإسلامية . فقد سافر إلى العراق ومصر، والشام والهند وتركيا، واجتمع أكثر علماء هذه البلاد، وبحث معهم واستفاد منهم، وكان ممن أقام علاقة قوية معه العلامة محمد رشيد رضا في القاهرة، وفي آخر رحلاته وفد على الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فلما رأى معتقده ونشاطه في الدعوة بعثه إلى إندونيسيا لنشر الدعوة الإسلامية هناك، فرحل وقام بمهمته خير قيام». رحمه الله رحمة واسعة .

وهكذا نرى بعض نشاط الملك عبدالعزيز في حقل نشر الدعوة السلفية الصحيحة خارج المملكة، وهي نشاطات عظيمة، إذا قسناها ببداية المواصلات، وقلة الإمكانيات، وظروف الملك وانشغاله بتوحيد الجزيرة، وأخذنا في الاعتبار الصورة المشوهة التي حاول الاستعمار نشرها للدعوة السلفية والإمكانات المضادة التي كانت تواجهها الدعوة في داخل البلاد العربية والإسلامية وخارجها!!



## المبحث الثامن

### استقبال الوفود

للاتصال المباشر تأثير كبير في الفرد والمجتمع. فالاتصال المباشر - غالباً - يتسم بالألفة وتبادل المصلحة، وتحقيق التعارف. ولذلك كان أسلوب الاتصال المباشر بالوفود والقادمين من أبرز رسائل الدعوة التي سلكها النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان يقابل وفود الحجيج في مكة، ووفود العرب في أسواقهم، في عكاظ وغيرها من الأسواق، ويدعوهم إلى الإسلام، وي بذل جهده في ذلك<sup>(١)</sup>. وقد أثمر ذلك نتائج هامة للدعوة الإسلامية، فأسلم بعض القادمين من يثرب، ثم وفدوا عليه في العام التالي وبايعوه عند العقبة.

وأيضاً قد اشتهر عام ٩ من الهجرة عند أهل السير بعام الوفود، حينما أتته وفود العرب من أدنى الجزيرة وأقصاها، وحدود الشام والعراق، والخليج واليمن. وفي عهد الملك عبدالعزيز أيضاً استفادت الدعوة من ذلك فاستخدمت وسيلة الاتصال المباشر بالوفود في الدعوة إلى الله سبحانه من الملك والعلماء.

والوفود منها وفود من داخل المملكة وأخرى من خارجها، لأن الله جعل استقبال البيت الشريف واجباً على المسلمين استقباله خمس مرات في اليوم والليلة، كما أوجب عليهم الوفود إليه مرة في العمر مع الاستطاعة تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ

(١) الفتح الرباني، ترتيب مسند الإمام أحمد، ٢٠/٢٦٤، ٢٦٦.

يَأْتِيكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ (١) .

لقد كان الملك حريصاً على راحة الوفود وإكرم قادتهم وعلمائهم وتأليف قلوبهم بالهدية، مما يجعلهم يعودون إلى التوحيد، وتتبدل نظرتهم إلى السلفية، كما كان الملك يخصص اجتماعاً سنوياً لوفود الحجيج تناقش فيه أمور المسلمين في دينهم ودنياهم، ويلقي فيهم الخطب يحثهم فيها بالاعتصام بحبل الله وكتابه، وسنة رسول الله ﷺ، والتوحيد الخالص من الشرك والبدع، وإن الإسلام هو الوسيلة لسعادة الدنيا والآخرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿٢٠١﴾ (٢) .

ويقول الملك عبدالعزيز في أحد خطبه: «لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالاً شديداً ولكننا صبرنا وصمدنا . . . لقد دعونا إلى الله من قبل وندعو من بعد في المواسم وفي سائر المواقف حتى نقوم بالواجب المفروض علينا كما هو مفروض على كل مسلم من الدعوة إلى الله .  
إني أدعو المسلمين جميعاً في هذا الموقف إلى دعوة الله وحده والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا» .

وهكذا كان دأب الملك عبدالعزيز، في كل عام مع وفود الحجاج، وهو أسلوب الدعوة إلى الله بالحكمة، خاصة مع رؤساء الوفود من العلماء والقادة. أما الوفود من داخل البلاد السعودية، فكانت تصل إليه بشكل يومي بالعشرات من مختلف البلدان وفي كل مكان يجلب فيه، وكان في حديثه معهم يحثهم على الحرص على إقامة شعائر الدين .

وعندما حدثت فتنة الدويش، عام ١٣٤٧هـ، توافد إلى الرياض أكثر

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١ .





من ثمانمائة عالم وأمير، وقد اجتمع بهم الملك ومما قاله لهم: «أيها الإخوان تعلمون عظم المنة التي من الله بها علينا بدين الإسلام، إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد المذلة، واذكروا قوله سبحانه: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِيرِ اللَّهِ عَمَلِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، إذ يقول: إن شفقتي عليكم وعلى ما من الله به علينا، وخوفي من تحذيره سبحانه بقول: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدَّدًا لَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتذكروا أولاً ما أنعم الله به علينا، فترى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة، وثانياً لأمر بدا في نفسي، وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد أي شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي، بإساءة كانت عليه، أو بمنعه حقاً من حقوقه فأردت أن أعرف ذلك منكم لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك وأكون قد أديت ما علي من واجب، وثالثاً: لأسألكم عما في خواطركم وما لديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في أمر دينكم وديناكم». انتهى.

إن بعض الأقطار الإسلامية لم يتمكن فيها بعض الدعاة من القيام بواجب الدعوة لأسباب كثيرة، منها سيطرة الاستعمار في ذلك الوقت، مما جعل بعضاً من أبناء تلك الأقطار يفتدون للمملكة لما عرفوه من الوضع الديني والأمني المستتب، وكان قادة وعلماء هذا البلد يكرمون من وفد إليهم ويبدلون له العلم والمال.

لقد كان الملك عبدالعزيز يوصي المشايخ في الحرمين بالحرص على إكرام الوفود والعلماء من البلاد الإسلامية، كما حدث مع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي سمع الدعايات المغرضة ضد الوهابية، فالتقى بعد

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

الحج بالشيخين عبدالله بن زاحم وعبدالعزيز بن صالح، وكانا حكيمين وأوضحا له الحقيقة وما عليه هذه البلاد من مذهب في الفقه ومنهج في العقيدة، وأطلعوه على بعض كتب الشيخ ابن تيمية، فعرف حقيقة الدعوة وزيف الدعاية الباطلة ضدها، مما حدا به للبقاء بالمدينة المنورة والتدريس والدعوة بها.



## المبحث التاسع

### إقامة الجهاد

الجهاد لغة: بذل الإنسان جهده وطاقته. فالجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو<sup>(١)</sup>. والمراد به في الشرع: بذل المسلم طاقته وجهده في القتال، نصره للإسلام ابتغاء مرضاة الله<sup>(٢)</sup>.

والجهاد ذروة سنام الإسلام، وبه ينال العز في الدنيا والآخرة، كما به تحفظ الأوطان، وتصان الحرمات، وينشر العدل، ويسود الأمن، ويعم الرخاء، وتزرع الهيبة في نفوس الأعداء، وتشاد به الممالك، وتعلو راية الحق على كل راية. وهو طريق الرسول ﷺ، وطريق صحبه الكرام الذين أمرنا بالافتداء بهم، والسير على هداهم.

والجهاد نوعان: جهاد طلب وجهاد دفاع، وأعظم الجهاد وآكده على العباد جهاد الدفاع عن الدين، وأوطان المسلمين وحرماتهم ومقدساتهم، فإن العزة والكرامة لا تحصلان إلا بدفع ثمنهما، والجهاد من أعظم وسائل الدعوة إلى الله وأشرفها.

وقد كان على رجال الدعوة إقامة شعيرة الجهاد، لأن حالة الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز كانت بالغة السوء عقدياً وسياسياً وأمنياً، وكانت مجزأة دويلات متناحرة مختلفة الأهواء والمذاهب، وكان بعض الحكام يفرضون سلطانهم بيد من حديد، لتكون الطاعة لهم مطلقة، ولا يسمحون

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص ٩٩.

(٢) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٢٦٢.

بوصول الدعوة والدعاة إلى شعوبهم، بل تطاولوا واعتدوا وقتلوا الدعاة وأحرقوا كتب الدعوة.

لذلك كان لا بد من الجهاد لفتح الطريق لنشر الحق ومنع الفساد والظلم، وفي سبيل نصرة الدين استطاع الملك أن يشكل من اثنتي عشرة قبيلة جيشاً نظامياً من المجاهدين.

لقد كان الملك عبدالعزيز وجنوده كارهين للقتال وإزهاق الأرواح، اقتداء بالرسول الكريم في عدم حبه للقتال، ولكنهم كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد، وتوجيه الناس للحق والحرية والعقيدة السلفية، والإيمان بالله وحده لا شريك له، وبالتالي فهم لا يلجؤون للجهاد إلا إذا أكرهوا عليه.

وقد جاء في قول الملك: «لست من المحيين للحرب وشرورها وليس أحب إلي من السلم والتفرغ للإصلاح»<sup>(١)</sup>.

لقد كان كل فرد في نجد محارباً بطبيعته يحمل السلاح منذ نشأته ويتمرن عليه، فإذا دُعِيَ تقلد بندقيته وركب ناقته، ومضى إلى المعركة. وقد كان الملك يعتمد في فجر حياته على جيش الجهاد الذي كان مكوناً من حاضرة أهل نجد، مضافاً إليه جيش الإخوان الذي كان من القبائل البدوية الرحالة التي وضع لها نظام الهجر، وأنزلها من البادية إلى الحاضرة، وأصبحت هجرها شبيهة بالشكنات العسكرية، وظل هذا سائداً إلى سنة ١٣٤٨هـ.

وجرت العادة بصحبة العلماء للجيش في معظم المعارك للقيام بواجب الدعوة إلى الله وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، ولقد جرت عادة الملك باستشارة العلماء في كل شأن خطير يعترض سبيله، ولقد كان لوجود العلماء بصحبة الجيش أثر كبير في تهذيب نفوس الجنود.

(١) الزركلي، الوجيز، ص ٤٨.



وكان العلماء يسبقون الجيش إلى الأقاليم التي استدعى لتلبية نداء الدعوة السلفية، ويدعونهم إلى التحاكم إلى شرع الله في الخصومات قبل تحكيم السيف، ولقد كان مع كل جيش عالم موجه في جميع الأمور الشرعية وواعظ ومدرس في أوقات الفراغ.

إن جيش الملك إذا فتح بلداً أزال عنها جميع ما فيها من شرك وبدع ومعاص، ولا يقتصر دور العلماء عند هذا الحد، بل كانوا يرسلون القادة ويحثونهم على الثبات والصبر، ويحذرونهم من التنازع والتفرق.

وهناك رسائل كثيرة تصور تعاون العلماء مع الملك، منها رسالة الشيخ سعد بن عتيق «من سعد بن عتيق إلى جميع إخواننا المجاهدين والمرابطين وفقهم الله للعمل بما يرضيه . . . أما بعد .

فالموجب للكتاب هو إبلاغكم السلام وتذكيركم ما من الله به عليكم من النعم العظيمة، والمواهب الجسيمة، وكذلك الجهاد في سبيله، والحراسة والرباط فيه، وإغاظة أعداء الله، وإنزال الضيق والضرر بهم.

فعليكم عباد الله بالصبر والثبات، ولزوم المراكز والمعسكرات، وإياكم والضجر والسامة والملل وغير ذلك، مما يؤول بصاحبه إلى الوهن والفسل، واحذروا التفرق والتنازع، والتخالف والانسحاب عن شيء من تلك المقامات والمواقف، فإن النصر مع الصبر، وإن الله ناصر حزبه وجنده، ومظهر دينه على الدين كله، ولو شاء الله لانتصر منهم، ولكن ليلو بعضهم ببعض، وعليكم بلزوم الطاعة، وملازمة الجماعة، وامثال أمر من ولاة الله أمركم، وعدم الاختلاف عليه والتخلف عن طاعته، فعلى الله فاعتمدوا وبه فثقوا، وعليه فتوكلوا ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ (١).

وفي رسالة الشيخ محمد بن عبداللطيف: «هذا الكتاب هو النصيحة لكم، والوصية بتقوى الله، وامثال ما أوجبه عليكم. وأعظم الواجبات التي أوجبها الله ورسوله وفرضها عبادته بالإخلاص، وترك عبادة ما سواه، والتزام شرائعه، والجهاد في سبيل الله. ولا يتخلف عن الجهاد إلا منافق معلوم النفاق، فاحذر كل الحذر من الإصغاء والالتفات إلى المخذلين والمُثبطين، وما يلقونه من الشك والريب وإساءة الظن.

فإذا دعاكم الملك أيها المسلمون إلى الجهاد والنفير، فاسمعوا وأطيعوا، واحذروا أن تكونوا كالذين قالوا سمعنا وعصينا فإن القيام معه ونصرته من الواجبات الدينية<sup>(١)</sup>.

لقد وضَّح الملك أغراضه الجهادية عندما قال لوالده عبدالرحمن: «إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشرع ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع»<sup>(٢)</sup>.

لم يقتحم الملك عبدالعزيز ساحة المعارك بدافع طفرة من نزق، ولم يسمح لعواطفه أن تستبد به وتملك عقله، ولقد كان خوضه الحرب حينما لا يجد مفرّاً منها، وبعدهما يتأكد أنه ليس هناك من لغة غيرها تجدي مع الخصوم، وتردعهم عن الاعتداء تعيد الحق إلى نصابه.

هكذا كان الجهاد إحدى الدعائم التي بنيت عليها الدعوة السلفية في هذا العهد، وبفضلها بعد الله مهد الطريق لبناء الدولة، وطال الإصلاح الشامل جميع مرافقها، حتى أصبحت الجزيرة العربية بلداً واحداً مترابطاً موحداً، يسوده التآلف بعد أن كانت إمارات ضعيفة متفرقة يجارب بعضها بعضاً.

(١) الدرر السنية، ج ٧، ص ١٥.

(٢) الوجيز، ص ٨٦.



## المبحث العاشر

### إنشاء المدارس

في منتصف القرن الثالث عشر الهجري كان التعليم قد نشط في كثير من البلاد العربية، خاصة مصر والشام، ولم يكن ذلك النشاط من عمل الدولة العثمانية، لأنها حصرت في البلاد التركية. وعندما فتحت المدارس في الحجاز وسوريا والعراق جعلت التعليم باللغة التركية، وكان ذلك جزءاً من حملة التريك التي تريد بها الهيمنة على جميع الشعوب.

لذلك بقي التعليم في الجزيرة على ما كان عليه من نظام المدارس البدائية (الكتاتيب) التي تعلم الصبية مبادئ القراءة والكتابة، وقواعد الحساب والخط والإملاء، والقرآن فإذا نبغ الصبي يلتحق بحلق الدرس ومجالس العلم في المساجد وبيوت العلماء في المدن الكبيرة، مثل الحرمين الشريفين، والدرعية والرياض وغيرها.

وقد أنشأ الملك المدارس الحديثة فهي وسيلة أساسية لنشر العلم وخدمة الدعوة. وفي غرة رمضان ١٣٤٤ صدر الأمر بإنشاء (مديرية المعارف العامة) ومهمتها نشر العلوم والمعارف والصناعات، وافتتاح المكاتب والمدارس، وحماية المعاهد العلمية الاهتمام الدقة بأصول الدين الحنيف.

ولأن التعليم الابتدائي هو القاعدة الأساسية للتعليم، فقد اهتمت الدولة بهذه المرحلة، ونشر مدارسها في الحاضرة والبادية، بهدف تهذيب النشء بما يتفق والأهداف السامية والمثل الإسلامية العليا التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، وذلك بقراءة كتاب الله وتدبر معانيه، ومعرفة العلوم الشرعية.

لم يقتصر اهتمام الملك على المرحلة التحضيرية والابتدائية التي بدأت عام ١٣٤٥هـ، بل اهتم بنائر المراحل. فقد افتتح مرحلة متوسطة وثانوية باسم (المعهد السعودي)، ثم أسست مدرسة (تحضير البعثات) بمكة المكرمة ١٣٥٥هـ، ثم مدرسة (دار التوحيد) ١٣٦٤هـ بالطائف، ثم افتتحت مدارس ثانوية وفصول متوسطة، كما فتح معهد الرياض العلمي ١٣٧٠هـ.

#### المعهد العلمي السعودي:

تأسس عام ١٣٤٥هـ في مكة المكرمة، وكان اسمه (المعهد العلمي الإسلامي)، وهو أقدم مؤسسة تعليمية في المملكة، وكان الهدف منه رغبة الدولة في إعداد معلمين متخصصين للمدارس الابتدائية، نظراً لتزايد عددها في المدن والقرى، وتزويد الدوائر الحكومية بموظفين مؤهلين<sup>(١)</sup>.

واختار الملك مدير المعهد ومدرسيه وخمسين طالباً من نجد للدراسة فيه، ودراسته تشمل القرآن الكريم، والدروس الدينية، والإملاء والحساب والقراءة والتقويم، والأخلاق واللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

#### مدرسة تحضير البعثات

في سنة ١٣٥٥هـ أنشئت المؤسسة، وكانت نافذة على العلوم الحديثة. فبعد عشر سنوات من تجربة (المعهد العلمي السعودي) فتح المجال لتخصصات جديدة، فأنشئت مدرسة تحضير البعثات على مستوى المرحلة الثانوية تؤهل للالتحاق بالكليات المتخصصة النظرية والعلمية في الجامعات العربية في التخصصات العلمية، كالطب والزراعة والهندسة.

كان الأمر الملكي يقضي بإرسال أربعة عشر تلميذاً من الحجاز للتعليم في الخارج للتخصص في التدريس، والقضاء الشرعي، والتعليم الفني

(١) الدهيش، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٦٦.

(٢) التعليم الحكومي المنظم، ص ٦٧.





(الميكانيكا والزراعة والطب). وتوالى بعد ذلك البعثات، وأصبحت سياسة ثابتة للمملكة في مجال الاستفادة من العلوم الحديثة، لكن حجم هذه البعثات كان يختلف حسب التخصص وحاجة البلاد مع النمو المستمر في نظام التعليم بالمملكة.

وفي إنشاء هذه المدارس دليل على أن نهضة الدعوة لا تقوم على التعاليم الدينية والشريعة فحسب، بل لابد من الأخذ بأسباب المدنية المطلوبة للجهاد لإعلاء كلمة الدين.

### دار التوحيد

من المؤسسات التعليمية الفريدة، وقد أنشئت بالطائف سنة ١٣٦٤هـ بعد إنشاء مدرسة طيبة الثانوية بالمدينة المنورة، والمدرسة الثانوية بجدة كليهما سنة ١٣٦٢هـ.

كانت هذه الدار تشبه تجربة الهجر وتوطين البدو، غير أنها تتميز بأن الملك قد فرضها إيماناً منه بقيمة العلم الديني وأثره في الدعوة، حيث يتخرج منها المؤهلون لهذا العمل الجليل.

كانت هذه الدار نواة لتطوير مؤسسات التعليم الديني، كما كانت نموذجاً للمعاهد الدينية.

ويرى المؤرخون أن الملك استخدم نوعاً من قوة الترهيب وحافز الترغيب، وهو إحضار الطلبة بالقوة، وتوفير السكن والغذاء والمرتب لهم.

ولا شك أن هذا الأسلوب يوضح أن هذه الدار تعد بذرة للتعليم النظامي بالمملكة ولو بالقوة، وقد أثمرت الفكرة وازدهر التعليم بالمملكة ازدهاراً كبيراً.

وقد كان الملك يهدف إلى إنشاء هذه الدار لتحقيق غاية تعليمية سامية، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها، وتزويد الطلاب بالقيم الإسلامية، لذلك كان حريصاً على ألا يدخل هذه الدار إلا الطلاب الطيبون

ذوو المهارات العلمية في الدين والدنيا .

لقد افتتحت دار التوحيد، ووفق الملك في تجربة جديدة من تجاربه التعليمية، كما أن تطور هذه المؤسسات التعليمية من الناحية الدينية ما هو إلا تطوير في الأساليب الدعوية التي كان لها أكثر الأثر في نشر الدعوة السلفية في أنحاء الجزيرة العربية .

إن هذه الدار تعتبر ظاهرة تربوية فريدة، ولقد خرّجت أعداداً كبيرة من القضاة والمدرسين، والكتاب والشعراء الذين شغلوا مناصب عليا في مؤسسات الدولة التعليمية والتنفيذية<sup>(١)</sup> .

وقد نشأت حركة المعاهد العلمية على نفس الأسس التي قامت عليها الدار، وقد ازدهرت حتى زادت عن خمسين معهداً علمياً سنة ١٤٠٣هـ، فضلاً عن الجامعات الإسلامية .

### كلية الشريعة

أنشئت هذه الكلية بمكة المكرمة سنة ١٣٦٨هـ كامتداد طبيعي لتأسيس (دار التوحيد)، وازدهار (المعهد العلمي السعودي) من حيث مواصلة أبناء الوطن دراستهم للعلوم الشرعية حيث رفع مجلس المعارف إلى الملك توصياته والذي وافق على فتح الكلية بمكة المكرمة .

هكذا بدأت أول تجربة للتعليم العالي في المملكة لتخريج المدرسين في العلوم الدينية والعربية ومناصب القضاء، كما أنه أصبحت هناك مدارس نظامية على مستوى جميع المراحل في المدن والقرى تخدم الدعوة الإسلامية، بالإضافة إلى المساجد المنتشرة في كل مكان .

لقد ظلت فريضة العلم ودعوة التوحيد مرفوعة مؤداة في أنحاء البلاد، ولقد قام مئات الذين تخرجوا من تلك المؤسسات بواجب تربية

(١) الملك عبدالعزيز والتعليم، ص ٢٠٨ .



النشء وتدرّيس العلوم والدين، وتولي القضاء والاحتساب، والتربية وغيرها، وذهب بعضهم في مهمات دعوية خارج المملكة.

كما حصل بعضهم على شهادات عليا، وألفوا مؤلفات في الإسلام وعلومه، وفي النواحي العلمية الدنيوية والدينية، وكل هذا بفضل الله ثم هذه النهضة التعليمية المباركة التي رعاها الملك عبدالعزيز، ثم أنشئت وزارة المعارف وكان أول وزير لها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وفقه الله.

## الفصل الثامن

# وسائل الدعوة الإعلامية الحديثة

يحتوي على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد في أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة.

المبحث الأول: الصحافة.

المبحث الثاني: الإذاعة.

المبحث الثالث: طباعة الكتب الإسلامية ونشرها.





## تمهيد

## في أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة

أصبح الإعلام قوة مؤثرة ومهمة في المجتمع الحديث، بعد أن تعددت المخترعات الحديثة. فهو ترجمان الأمة، والمعبر عن وجهتها وقضاياها ومصالحها. ووسائل النشر لا شك تؤثر تأثيراً خطيراً في نفوس الناس وأعمالهم، وتكوين اتجاهاتهم ومعتقداتهم.

والوسائل المرئية والمسموعة أكثر جذباً وتأثيراً، ومن ثم تسابقت الأحزاب والمذاهب المختلفة إلى التحكم في هذه الوسائل، ونشر أكبر كمية من الموضوعات المختلفة من خلالها، تريد بذلك بث فكرتها ونشر مبادئها، حتى تسيطر على العقول وتكسبها.

ولما كانت الرسالة الإسلامية، هي البناء المتكامل لكل ما ينشده المرء في حياته، لذلك ينبغي استغلال كل وسيلة إعلامية ممكنة لتبليغ هذه الدعوة والاجتهاد في معرفة خصائصها.

إن السياسة الإعلامية في عهد الملك كانت مسخرة لخدمة الدعوة، وقد نصت المادة الأولى فيها على: «أن يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام ويحافظ على عقيدة السلف، ويستبعد منها كل ما يناقض الشرع الإسلامي» والمادة ٢٢ تنص على أن: يؤكد الإعلام السعودي على أن الدعوة بين المسلمين وغيرهم قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الرسول عليه الصلاة والسلام استعمل كلمة (الدعاية) مكان (الدعوة) في رسائله بقوله (أدعوك بدعاية الإسلام) بكسر الدال من قولك دعا يدعو دعاية، نحو شكا يشكو شكاية، وفي صحيح مسلم بلفظ: (بدعاية الإسلام)، ولكن الاصطلاح الحديث كسا الدعاية ثوباً قشيباً بتغير



يسير . فالدعوة إرشاد وتوجيه ، والدعاية ترويج وترغيب ، وإن أي دعوة مهما كانت من السمو لا يمكن أن تجتذب إليها الأنظار إلا إذا كانت لها دعاية . وقد اتخذت الدعاية في العصر الحديث وسائل عديدة في صرف أنظار الناس إلى شيء ما . ومن تلك الوسائل :

- ١ - الإعلان بالأقلام في الصحف والمجلات .
- ٢ - الإعلان بالكلام في الإذاعات المسموعة والمرئية .
- ٣ - الإعلان بالنشرات .

## المبحث الأول الصحافة

الصحافة فن من فنون الاتصال الجماهيري، وهي وسيلة لنشر الموضوعات والدراسات ذات التفاصيل المتشعبة، مما يُمكن من الاستفادة من النقد المدروس، مع العناية بالتفاصيل الدقيقة، والمهم فيها أنها أقل تكلفة بالنسبة للجمهور. لذلك فالجمعيات والمنظمات تصدر صحفاً خاصة بها. والصحافة تتيح فرصة المشاركة الفعالة من القارىء.

ولما كان الدين الإسلامي دين دعوة، فالصحافة الإسلامية يجب أن يكون منهجها دعويًا. وفي عالمنا المعاصر تعد الصحافة مؤثراً خطيراً بين المجتمعات، فيجب استخدامها بأسلوب مناسب لخدمة دينهم، ومن الواجب أن تتميز الصحافة الإسلامية بالصفات الأخلاقية الآتية:

- ١ - إخلاص النية في العمل .
- ٢ - حفظ الأسرار .
- ٣ - الحفاظ على حرية المواطن، وعدم التشهير .
- ٤ - احترام الآداب العامة .
- ٥ - الأمانة والالتزام بتصحيح الأخطاء .
- ٦ - احترام سمعة الآخرين، وعدم نشر أخبار مغلوبة عنهم .
- ٧ - معالجة المشاكل الاجتماعية بمفهوم الشرع .
- ٨ - العمل على نشر الدعوة بأسلوب مناسب .

ومن العقبات التي واجهت الصحافة السعودية التخلف الثقافي، والأمية وعدم الاستقرار، ووندرة وجود المختصين والإمكانات الصحفية.





لقد كانت البداية الأولى قبل توحيد المملكة متعثرة، وقد ولدت الصحافة حقيقة بعد الاستقرار عام ١٣٤٣هـ، وقد دُعي الكتاب والأدباء والصحفيون إلى تسيير دفة الصحافة والأدب، فانصرفوا لمعالجة مختلف الموضوعات الصحفية.

وقد حملت الصحافة عبئاً ثقيلاً تجاه التوحيد ونهضة البلاد، ولاسيما صحافة الأفراد حينذاك التي كانت أهدافها تتجه للإسهام في نهضة البلاد. ومن تلك الصحف (أم القرى) ١٣٤٣هـ، (صوت الحجاز) (المنهل) ١٣٥٥هـ، (المدينة المنورة) ١٣٥٦هـ، (اليمامة) بالإضافة إلى مجلة النداء الإسلامي التي صدرت في مكة المكرمة ١٣٥٦هـ، وهي شهرية وكذلك مجلة الحج التي صدرت في مكة المكرمة عام ١٣٦٦هـ، وهي تهدف لخدمة قضايا الحجيج وإرشادهم وتوجيههم وحل مشاكلهم، واسمها اليوم (التضامن الإسلامي).

وهناك أول صحيفة تصدر في المنطقة الوسطى وهي (مجلة اليمامة) في سنة ١٣٧٢هـ، وهي شهرية جامعة، ثم أصبحت أسبوعية وكان رئيس تحريرها حمد الجاسر - رحمه الله -.

وهناك من الصحف «صحيفة الرياض» التي أنشأها سليمان الدخيل، وكانت تصدر في بغداد، لكنها كانت مهتمة بالدرجة الأولى بأخبار منطقة نجد، وانبرى صاحبها لتأييد الملك عبدالعزيز في إعادة بناء الدولة وتوحيدها، فأصدرت السلطات التركية في بغداد أمراً بإغلاقها.

ومن المسؤوليات الواقعة على عاتق الصحافة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز:

أولاً: غرس اعتزاز الفرد بانتمائه إلى هذا الكيان العربي المسلم الموحد، وعلى الصحافة بيان ذلك بوضوح وجلاء، يؤدي إلى إقناع المواطنين بعظمة هذا الإنجاز، إنجاز الوحدة وتأسيسها على المبادئ الشرعية

للإسلام.

ثانياً: قيام الصحافة بتوضيح المفاهيم، وتوعية الناس بأهداف التغيرات الواجب إحداثها، وإلقاء الضوء على القضايا والموضوعات الملحة لمعالجتها، ومنها الاعتداء والغزو والعداوات القبلية، والخروج على روح الشريعة ووجوب تنقية العقيدة، بالإضافة إلى قضايا التعليم والصحة وغيرها.

ومن أمثلة إسهامات الصحافة ما جاء في صحيفة صوت الحجاز في عددها رقم ١١ بتاريخ ١٥/٢/١٣٥١هـ، محذرة من الجهل والخمول، وحائثة على العلم الذي هو سبب نهضة الأمم، وكذلك بجريدة أم القرى وعددها الأول في ١٥/٥/١٣٤٣هـ، وتثني على رجال الدعوة الذين هم من أسباب نهضة البلاد وتوحيدها في موضوع بعنوان (عونك اللهم).

ولقد كان للصحافة دور كبير في إحداث تغيير عقلية المواطن في عمليات إدراك معجزة التوحيد، وكانت تقوم الصحافة على قاعدتين، الأولى هي أن العدالة التي تهدف إليها الدولة الموحدة هي عدالة الشرع الإسلامي التي يعيش في ظلها كل الناس على قدم المساواة، وتوحيد البلاد يقوم على التوازن بحيث يكون لكل المناطق الاهتمام والرعاية. والثانية إبراز دور جميع أفراد الشعب تجاه هذا التوحيد، ومشاركتهم في عملية البناء.

ثالثاً: المساعدة في نشر الأمن والعدل في ربوع البلاد.

من أهداف الصحافة إقناع الجميع وخاصة الشباب أنهم جنود لخوض المعارك لرفع كلمة التوحيد، وتوطيد الأمن، مما حدا بالصحافة المساعدة على حماية المجتمع ضد الجريمة، وضد الخارجين على مبادئ الشريعة الإسلامية. ومثالاً لذلك ما جاء في جريدة أم القرى بتاريخ ٦/رجب/١٣٤٧هـ عددها ٢٠٨، وهو عندما حاولت بعض القبائل زعزعة



الأمن فعقد الملك اجتماعاً في الرياض لمناقشة القضية، وقامت الجريدة بنشر تفاصيل أخبار الاجتماع عموماً للفائدة.

ولقد كانت للصحافة جهود أخرى مثل مساندة جهود التنمية، وحمل عبء النهضة الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية، حيث ازدهر الأدب السعودي، وأصبح له مكان بين أدب البلدان العربية.

ويؤكد دور الصحافة وأهميتها في عهد الملك أنها ظلت الوسيلة الإعلامية الوحيدة على الساحة الدعوية لمدة طويلة. وبناءً عليه فإن النهضة الصحفية التي نعيشها اليوم هي نتاج طبيعي لتلك المؤسسات الصحفية التي كانت على عهد الملك عبدالعزيز.

لقد كانت مهمة الصحافة في عهد الملك تقوم على نشر الدعوة الإسلامية، بالإضافة لدورها في مجالات التنمية الاجتماعية الإسلامية. ومن خلال منهج الصحافة الإسلامية الملتزمة بكتاب الله وسنة رسوله يمكن التصدي للأفكار الغربية والملحدة، ويمكن وضع حلول إسلامية عادلة لكل المشكلات الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية والسياسية.

## المبحث الثاني الإذاعة

مما لا شك فيه أن الوسائل الإعلامية كلها على درجة كبيرة من الأهمية إلا أن الإذاعة تعتبر أقوى تلك الوسائل إذ يصل خبرها في نفس الوقت الذي يذاع فيه، وهي الوسيلة الوحيدة التي تغطي أماكن واسعة من العالم دون حدود أو قيود.

والإذاعة تقدم برامج مختلفة من حيث الأغراض، وتنقل وقائع الاجتماعات الدينية وغيرها، وأخبار العلم كما تساعد على التعبئة السريعة للقوى والنجادات في حالة الكوارث والطوارئ. كما تقدم الإذاعة وسيلة سهلة للدعاة لتوصيل دعوتهم، فقد كان الطغاة في الماضي يمنعون وصول الدعوة.

فالمذيع أكثر فاعلية لتوفر أجهزته لدى كل مستوى من الناس، بغض النظر عن ظروفهم المادية لشراء جهاز متطور، أو ظروفهم الثقافية والتعليمية.

لقد أمكن لكثير من البلدان الإسلامية استغلال هذه الوسيلة العظيمة، مما أظهر إذاعات متخصصة لخدمة الدعوة الإسلامية ومبادئها، مثل إذاعة القرآن الكريم.

لقد تمكن الملك عبدالعزيز من تأسيس أول نظام إذاعي في المملكة في شهر رمضان عام ١٣٦٨هـ، ويحدد النظام طريقة اختيار مديرها المسؤول عن تنفيذ سياستها أمام الدولة، ومكانها وما يذاع فيها.



وكان من أهداف إنشاء الإذاعة السعودية خدمة المواطن السعودي في مجال الأخبار والتثقيف، وترسيخ أسس الدعوة الإسلامية. ومن مهام الإذاعة ترسيخ الوحدة، والتمسك بما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والأمانة والصدق في الأخبار، وبث تعاليم الإسلام، والدفاع عن القضايا العربية والإسلامية. ومما ورد في مرسوم تأسيس الإذاعة:

أ - انتخاب مدير مسؤول أمام الحكومة وما يذاع في الإذاعة والتدقيق فيها والعمل على تحسينها.

ب - وضع برنامج للإذاعة ويلاحظ فيه نشر الأخبار كما هي دون شتم أو سب أو مدح.

ج - النظر فيما يمكن إذاعته من القرآن الكريم والمواعظ الدينية والمحاضرات التاريخية عن الإسلام والعرب.

وقد اختيرت (جدة) لتكون مقراً للإذاعة، نظراً لقربها من الأماكن المقدسة، وسهولة نشر التعاليم الإسلامية بين الحجاج والزوار والعمار. وتأكيداً لذلك فإن البداية الفعلية كانت يوم الوقوف بعرفة يوم ٩ ذو الحجة ١٣٦٨هـ، وأكد المرسوم ضرورة الاهتمام بنشر وإذاعة القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، بالإضافة إلى المحاضرات التاريخية، عموماً لقد جاءت الإذاعة لتكمل عملية الأمن والنظام بالمعرفة.

والدولة السعودية اهتمت بالإذاعة والإشراف عليها وتشغيلها وتسخيرها لخدمة الدعوة في المقام الأول. وقد قال الملك: «يسرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في جميع أنحاء الأرض من هذا البيت الحرام في هذا اليوم المبارك، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله وإخلاص العبادة له وحده كما أمرنا ربنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»<sup>(١)</sup> ندعو الحجاج لنبذ الخلاف واتباع أمر الله ويجمعوا قلوبهم على كلمة الإخلاص.

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

كانت الإذاعة في عهد عبدالعزيز تركز على برامج خدمة الدعوة، وكان للأدب نصيب، ولا مجال للمنوعات والتمثيلات والإضحاك والتسلية.

وفي حج عام ١٣٧٠هـ سجلت الإذاعة عدداً وافراً من التلاوات القرآنية لقراء مجيدين، ووجهت الدعوة للعلماء بتخصصاتهم المختلفة والشعراء للمساهمة في أداء رسالتها الاجتماعية.

وقد تمكنت الإذاعة من نقل آذان العشاء مباشرة من مكة، وفي بداية رجب ١٣٧١هـ نقلت شعائر صلاة الجمعة على الهواء من مكة المكرمة، وكذلك آذان المغرب في رمضان، وصلاة الفجر وعيد الأضحى، وخطبة العيد مباشرة.

وتطورت الإذاعة إلى أن بدأت توجه انطلاقةً من دورها في الدعوة إلى الله ببرنامجها الدعوية بعد عام من إنشائها إلى شعوب العالم، وهو ما يعرف (بالبرامج الموجهة)، أو (الإذاعة الخارجية)، وهذا التوجيه كان للاستفادة من تجمع آلاف الحجاج ١٣٦٩هـ، ولقد كان البث التجريبي الموجه لحجاج بيت الله يتضمن اللغتين الأندونيسية والأردية إلى جانب العربية.

تعتبر سياسة الإذاعة السعودية جزءاً من السياسة العامة للمملكة، وتستند في قوتها إلى الفكر الإسلامي والضمير الإسلامي اليقظ، فقد أسست على الالتزام بالشريعة الإسلامية، واستبعاد كل ما يناقض ذلك من برامجها.

والإذاعة في عهد الملك ناهضت كافة التيارات الهدامة والاتجاهات الإلحادية، فكانت تكشف زيف هذه التيارات، وكانت الإذاعة تعرف المسلمين بأنهم تربط بينهم عقيدة التوحيد والدين واللغة والقيم المشتركة، كما كان لها دور في نشر الأمن وضبط المجتمع، بما تبثه من أخبار وحوادث، وإقامة الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية، مما ساعد على تثبيت



القواعد الأخلاقية والوقوف أمام مظاهر الانحراف والتسيب بالمرصاد، لمواجهة السلوكيات الخارجية عن أحكام الشريعة، وعملت الإذاعة على توظيف الجهود من أجل الصالح العام لتحقيق حاجات المجتمع وأهدافه .

لقد كانت للإذاعة في عهد عبدالعزيز إسهامات كبيرة في الدعوة إلى الله، وذلك باعتبارها أسهل الوسائل الإعلامية وأسرعها في نشر الدعوة، محطمة كل قيود العزلة والمسافات، وبقدرتها على تحريك النفوس بسرعة تفوق العديد من الوسائل الدعوية الأخرى .

هكذا أسست الإذاعة السعودية لتكون وسيلة من الوسائل الهامة الداعية إلى الله في عهده، وكانت الشريعة الإسلامية والعقيدة السلفية هدف الدعوة فيه (ثم أخذت الحكومة تمد في برامج الإذاعة وتقوي أجهزتها ليتسع انتشارها، ومازالت بها حتى صارت من أقوى المحطات العربية، وصارت تسمع في أنحاء آسيا وأفريقيا، بل سائر العالم، وصارت برامجها تغطي أكثر ساعات اليوم واللييلة<sup>(١)</sup> .

(١) محمد الحسين، الأدب الحديث، تاريخ ودراسات، ج ٢ ص ٣٩ .

## المبحث الثالث

### طباعة الكتب الإسلامية ونشرها

الكتب من الوسائل الإعلامية المهمة التي أسهمت في حفظ التراث وتسجيل الأحداث وتدوين جميع جوانب الحياة لمختلف المجتمعات. والقرآن الكريم كتاب الله الخالد، كان وسيبقى المصدر الأول لجميع وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله.

وقد كانت الكتب ووسائل إعلامية مهمة، أفادت الغرب في إقامة حضارته الحديثة التي اعتمد فيها على كثير من علوم المسلمين النظرية والتجريبية، كما كانت دليلاً ساطعاً على ما وصل إليه المسلمون من حضارة فائقة.

والدعوة الإسلامية، كانت ومازالت في حاجة إلى الكتاب الذي يبرز جوانب الإسلام المتعددة، المتعلقة بالعقائد والتشريعات والأخلاق، وحكم الإسلام فيما يستجد من أمور الحياة ويبيان أسباب تأخر المسلمين، وسبيل النهوض بهم. ومما يزيد من تأثير وفعالية هذه الكتب أن تترجم إلى اللغات العالمية وتوزع في كل أنحاء العالم<sup>(١)</sup>.

ونظراً لأهمية الكتب والمخطوطات في نشر الدعوة، فقد اتجه الملك إلى طبع نفائس من كتب التراث والكتب العلمية المهمة، ومما يتصل بالدعوة من أمثال الكتب الأدبية وغيرها، مما فيه خدمة للدعوة السلفية.

فالملك عبدالعزيز كان يأخذ بما يشير به عليه العلماء من كتب الدعوة

(١) محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، ص ٣٣.





المعتمدة، والتفاسير المعتبرة، وكتب في الحديث، والفقهاء الإسلاميين، ولم تقتصر جهوده في النشر على الكتب العربية وحدها، بل إن هناك كتباً نشرها باللغة الجاوية والهندية، لتعميم نشر الدعوة في الأقطار الإسلامية.

لقد أراد أن ينشر الدعوة إلى الدين الخالص، فاستشار العلماء في خير الكتب لنشرها بين الناس، فذكروا له كتب العقيدة والتوحيد، فاشترى منها المطبوع وطبع ما لم يطبع لتوزيعه، والهدف هو رغبة الملك في تعميم الدعوة السلفية، وإتاحة كتب الفقه وغيرها لطلاب العلم.

المطابع من أهم الوسائل للنشر، ولذلك حرص على أن تكون هنالك مطبعة حكومية تقوم إلى جانب طباعة ما يلزم للحكومة، بطباعة كتب أخرى نافعة. وقد طبعت فيها كتب إسلامية كثيرة.

كانت في مكة مطبعة حكومية هرمة من بقايا العهد العثماني، وجددت في عهد الملك إلى جانب بضع مطابع أهلية صغيرة، اشترتها الحكومة وضممتها إلى الأولى وسمتها جميعاً: مطبعة أم القرى. لقد أنشأ الملك ثلاث مطابع بمكة، وفي جدة مطبعة الفتح ومطبعة الشركة العربية والمطبعة الشرقية، أما في المدينة فمطبعة واحدة اشترت من مصر سنة ١٣٥٥هـ<sup>(١)</sup>.

هذه المطابع يبدو أنها لم تسعف الرغبة الدعوية في نشر العديد من الكتب، لذلك اتجه الملك إلى الهند والشام ومصر لنشر المزيد من كتب السنة والفقهاء الإسلاميين والتاريخ. واتخذت جهود الملك في ذلك ثلاثة مسارات هي:

- أ- تمويل طباعة الكتب.
- ب- تدعيم الناشرين مادياً.
- ج- شراء الكتب بغرض توزيعها.

(١) الزركلي، ص ٣٣٥.

كانت الكتب التي أمر بطبعها الملك كثيرة وضعت وزارة المعارف دليلاً بتلك الكتب (دليل المؤلفات السعودية) تحوي بياناً باثنين وسبعين كتاباً، تمثل بعض ما نشره الملك وليس كلها.  
ومن البلدان التي اتجه الملك عبدالعزيز للطباعة فيها:

#### (أ) الطباعة في الهند

كانت صلة نجد بالهند قوية، لذلك طبعت أولى المطبوعات في ذلك الوقت في الهند، حيث كان طبع كتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام) في بومبي ١٣٣٢هـ، وديوان الشيخ سليمان بن سحمان (الجواهر المنضدة الحسان)، وهكذا بدأت الطباعة بالهند قبل مصر.

#### (ب) الطباعة في مصر

في سنة ١٣٤٠هـ بدأ الملك يطبع الكتب في القاهرة في مطبعة المنار، طبع خلالها مجموعة من أشهر المؤلفات، كتفسير ابن جرير وتفسير البغوي، وكتاب المغني في الفقه، والشرح الكبير، وكتب أخرى في الحديث والتوحيد، والفتاوى والآداب الشرعية، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير.

ثم بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا ١٣٥٤هـ انتقلت الطباعة إلى مطبعة (أنصار السنة)، وكذلك قامت المطبعة السلفية بطبع العديد من الكتب بإشراف محب الدين الخطيب. وقد كان لمطبعة المنار الأثر الطيب في نشر كتب العقيدة، والفقه الحنبلي، فقد طبعت نوادر الكتب لعلماء أجلاء، وقد بدأ في عام ١٣٤١هـ بطبع كتاب المغني لابن قدامة، والشرح الكبير.

#### (ج) الطباعة في الشام

امتدت عناية الملك بطبع الكتب إلى الشام، حيث قام بطبع الكتب لدى مطبعة الترقي بدمشق، منها (روضة المحيين، ونزهة المشتاقين) لابن قيم الجوزية.



أما أهم الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز :  
في التفسير : تفسير القرآن الكريم للإمامين ابن كثير والبغوي .  
في التاريخ :

- ١ - البداية والنهاية لابن كثير .
- ٢ - طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى .
- ٣ - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .
- ٤ - مختصر طبقات الحنابلة للنبلسي .
- ٥ - روضة الأفكار (تاريخ ابن غنام) .

وفي الفتاوى :

- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية مجموعة من علماء نجد .
  - الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، مجموعة من علماء نجد .
- في الفقه وأصوله :

- المغني والشرح الكبير لابن قدامة .
  - روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة .
  - التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح للشوبكي .
- في الحديث :

- كتاب السنة (عبدالله بن حنبل) .
- جامع الأصول ، لابن الأثير .
- شرح تهذيب سنن أبي داود ، لابن قيم الجوزية .
- معالم السنن للخطابي .
- مختصر السنن للمنذري .

في الآداب :

- الآداب الشرعية ، لابن مفلح .
- روضة المحبين ، لابن قيم الجوزية .

في التوحيد:

- التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة .
- مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين .

في العقيدة:

- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لأبي العز الحنفي .
- مختصر الصواعق المرسله، لابن قيم الجوزية .

هذه بعض من الكتب أوردتها كأمثلة على العشرات من الكتب التي انتفع بها طلبة العلم والدعاة في ذلك الوقت، وكانت خير زاد لهم في الدعوة، وبخاصة إذا عرفنا قلة الكتب في ذلك الوقت، وكان أكثرها خطية، وكان بعض الطلبة يقوم باستعارتها ونسخها .

كما أن نشر كتب التوحيد والعقيدة ساعد على تعريف الكثير من المسلمين بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، بعد أن كانت كتب السلف محاربة، وتشاع ضد أصحابها الافتراءات لتنفير الناس منها . وقد سار على سنة الملك عبدالعزيز الحسنة في طباعة الكتب مجموعة من الفضلاء .





## الفصل التاسع

### أساليب الدعوة

- المبحث الأول: القدوة الحسنة.
- المبحث الثاني: الدعوة بالحكمة.
- المبحث الثالث: الدعوة بالموعظة الحسنة.
- المبحث الرابع: المجادلة بالتي هي أحسن.
- المبحث الخامس: القصص وضرب الأمثال.





## المبحث الأول القدوة الحسنة

القدوة من الاقتداء والمحاكاة، وهو شيء فطري في الإنسان. فالطفل تقليدي، ويتخذ من والديه ومن يكبره من إخوته قدوة يقتدي بهم. ولخطورة هذا التأثير حذر الرسول عليه الصلاة والسلام من مجالسة الأشرار خشية التأثير بهم.

ولغريزة التقليد أثر فعال في ميدان الإعلام وميدان التربية والتعليم على السواء. وفي القرآن الكريم توجه أنظار الرسول ﷺ إلى الاقتداء بمن سبقه من الرسل مثل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿١﴾. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠) ﴿٢﴾، ويضرب لنا النبي ﷺ القدوة المثلى، وهي الصبر والجهاد وبذل النفس. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١١) ﴿٣﴾.

يقول ابن كثير: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، لهذا أمر الله بالتأسّي به.

ومعروف أن القدوة الحسنة تقدم واقعاً عملياً، يغني عن الكثير من

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.





أساليب التبليغ والتأثير المختلفة، وهي تتمثل في الهدف من الإعلام الذي يتمثل في هداية الناس لطريق الحق والخير باتباع أمر الله في كل شيء .

وقد كان الرسول ﷺ يقدم تعاليمه في الواقع المعاش، ليتطابق الامتثال وتحصيل القدوة المطلوبة . والنفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا يوافق فعله قوله .

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُكُمْ مِنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١) .

إذن فالداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق، وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثال حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها (٢) . ولقد جرت العادة أن أغلب الناس يقلد من فوقه، وكما قيل: إن الناس على دين ملوكهم، يتبعونهم في الخير والشر . قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (٣) .

ومما عُرف عن الملك عبدالعزيز أنه كان قدوة حسنة في أفعاله أكثر تأثيراً منه، حال كونه متكلماً بليغاً محيطاً بنواحي البيان المشرق أو الديباجة المؤثرة، ويظهر ذلك في حرصه - رحمه الله - على إقامة الواجبات الشرعية وكان سياق حياته اليومي كما يلي:

تعتبر الخطوة الأولى من المنهج لدى الملك حرصه على توجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص لله علماً وعملاً، لأنه قدوة صالحة في خاصة نفسه ملتزم منهج السلف في التوحيد، لا يدعو غير الله، ولا يشرع ما لم يأذن به الله، وليس له منهج يطبقه على نفسه وآخر يلزم به الأمة .

(١) سورة هود، الآية: ٨٨ .

(٢) محمد الغزالي، دراسات في الدعوة والدعاة، ص ٢٩٧ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧ .

لقد كان الجد الأعلى للملك هو الإمام محمد بن سعود - يرحمه الله - الذي نفر لدعوة التوحيد، وقد نجح في القضاء على الخرافات التي كانت قد انتشرت في أماكن الجزيرة ومعامل التوحيد. وقد علم عبدالعزيز ذلك كله، فهداه الله إلى أن جعل التوحيد قضيته المنهجية الأولى. لقد قال الملك عبدالعزيز: «أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح»<sup>(١)</sup>، «إني والله لا أحب إلا من أحب الله حباً خالصاً من الشرك والبدع، ولا أعمل إلا لأجل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة جوانبه السلوكية والعملية التي كان لها تأثيرها في تحقيق القدوة الحسنة أيضاً حرصه على الصلاة جماعة في المسجد في أوقاتها، وكان برنامج اليوم يدير حول أوقات الصلاة التي تبدأ بصلاة الفجر وتنتهي بصلاة العشاء، كما يصلي علاوة على الفرض السنن الرواتب والنوافل، حيث ينهض قبل الفجر بأكثر من ساعة، فيوتر ثم يشرع في قراءة القرآن، أو قراءة ورد خاص إلى أن يؤذن لصلاة الفجر، ثم يصلي الفجر جماعة.

لا تخلو مجالس الملك من سماع شكوى أو إسداء نصيحة، وفي نهاية يومه، له مجلس عام فيه قارئ يقرأ من كتب مختلفة في الحديث والتفسير، والتاريخ والأدب، وأنه يحافظ على برنامج عمله، لا يطرأ عليه تغيير. وكان بعد كل صلاة يدعو الله قائلاً: «ربي أجرني من النار» ويكررها<sup>(٣)</sup>.

يقول الشيخ صالح السليمان:

«ما عهدت عن الملك إلا أنه رجل طيب، في الصلاة يحض إخوانه عليها، وإذا شاف الرديء في الصلاة قال ابعده عني، يحض الجميع على الصلاة والتوحيد، وإذا شاف الذي فاتته الصلاة من عياله تكلم عليه وأقامنا

(١) الزركلي، الوجيز، ص ٢١٦.

(٢) عبدالمنعم الغلاف، الملك الراشد، ص ٣٦٦.

(٣) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٣٤، ٣٥.



ونحن جالسون وقال: «قوموا صلوا. قوموا صلوا».

يقول الشيخ عقيل الخطيب:

«كان الملك يفرغ من صلاة الفجر ويلتفت حوله فإذا شك في تغيب أحدهم أحضروه وسأله عن عذره فإذا كان مقنعاً وإلا أمر الملك بشد وثاقه وتوقيع العقوبة عليه ويقول له: «يا ولدي الدنيا ليست بدار قرار فلا تتهاون في صلاتك ولا تتكاسل عنها فالصلاة ركن الدين وصلة الإنسان برب العالمين من ضيعها ضيعه الله وباء بغضبه ولعنته».

ويقول الشيخ حسن بن غشيان:

«كان الملك يقسم الليل ثلاثة أثلاث فبعد صلاة العشاء يستمع إلى القرآن من أحد المشايخ، ثم يذهب لمكتبه في القصر فيعمل ويصرف شؤون الدولة ثم يأوي لفراشه.

كان الملك ذا ثقافة إسلامية عريقة وكان على علم بالأمهات والأصول والمقاصد، ومن هذا المنبع علم أن الغاية العظمى للإنسان في هذه الأرض هي عبادة الله وحده لا شريك له، إن شخصاً هذه سيرته وتلك قيمه وأخلاقه كان حرياً أن ينجح في توحيد أجزاء الجزيرة، تحت راية التوحيد وحكم الشريعة وينادي بالإسلام ويرفع شعاره «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

كان الملك قدوة صالحة لأنه بمثابة رأس الهرم في المجتمع السعودي، وأعين المجتمع متطلعة إليه، وتعمل مثل ما يعمل، وفي المثل: الناس على دين ملوكهم.

أما العلماء وأثرهم بالقدوة فقد أفردت لهم فصلاً كاملاً، وسوف نأخذ الآن ثلاثة أمثلة أولهم: الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، الورع الزاهد العابد، الذي كان آية في الفهم والذكاء والفتنة، وكان - يرحمه

الله - مفيداً للطالين قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، له قوة وإقدام وسوف نورد له ترجمة في الباب الثالث. وثانيهم: الشيخ عمر آل الشيخ الذي تقلد وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كان غيوراً على محارم الله، قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم. كان مشهوراً بالتقوى يحيي غالب الليل قراءة وتهجداً. يلتقي بكبار علماء الأمصار، ويناقشهم في مهام الشرع، وأصول الدين وفروعه.

وثالثهم: الشيخ عبدالعزيز بن باز - يرحمه الله - لقد كان ثمرة من ثمار الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، وعمل بالدعوة والقضاء في عهد الملك لمدة تزيد عن الخمسة عشر عاماً، وإن ما اتسم به من صفات كريمة ورجاحة فكره وقوة علمه أهله لتولي القضاء في منطقة الخرج لمدة تزيد عن أربعة عشر عاماً، ثم انتقل للرياض للعمل مدرساً بالمعهد العلمي ١٣٧٢هـ كلية الشريعة.

ومما عرف عنه صلته الدائمة بالعلماء للمشاورة وحفظه لكتاب الله، وسرعة استحضاره للآيات الكريمة، وهو نحوي فرضي كبير محدث، يحفظ متوناً كثيرة من السنة النبوية الشريفة. كان يهتم بأمور المسلمين عامة والأقليات الإسلامية خاصة.

ومن المعالم البارزة في حياته أيام منى في الحج، حيث كان يفتح خيمته للناس مفتياً لهم ويتناولون معه الطعام ويعلمون منه وهو يعلمهم، ويدعو لهم، وصار له تلامذة ودعاة يقبلون على علمه وفتاواه في جميع أنحاء العالم<sup>(١)</sup>.

(١) محمد خير، مؤلفات الشيخ ابن باز، ص ١٤.



## المبحث الثاني الدعوة بالحكمة

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥).

ففي هذه الآية يأمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الناس إلى الله بالحكمة، ومن احتاج منهم مناظرة وجدالاً فليكن بالوجه الحسن وبلين ورفق وحسن خطاب. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٦٩).

والحكمة لا تخص النبوة بل هي أعم منها، وتأتي النبوة في ذروة الحكمة، والحكمة هي كل كلام وافق الحق، كما أنها الكلام المعقول المصون عن الحشو (٣).

والحكمة عند الشوكاني هي كل كلمة وكل مقالة تردع عن السفه وتزجر عن الباطل فهي حكمة، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة، والسنة الصحيحة حكمة، وقد سماها الله سبحانه حكمة في كتابه العظيم. قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٤) يعني السنة.

فالداعي يجب أن يكون حكيماً في الدعوة بصيراً بأسلوبها، لا يعجل

- 
- (١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.  
 (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.  
 (٣) الجرجاني، التعريفات، ص ٩١.  
 (٤) سورة الجمعة، الآية: ٢.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٢٣١

ولا يعنف، بل يدعو بالحكمة وهي المقال الواضح المصيب للحق، من الآيات والأحاديث وبالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فهذا هو الأسلوب الذي ينبغي أن يستخدم في الدعوة إلى الله عز وجل، إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. وينبغي أن يتميز الدعاة بالأخلاق الحسنة وهي:

## ١ - الرفق

فهو الذي يجمع القلوب حول الدعوة، وهو حسن التواضع مع الناس، والأخذ بالأسهل من الأمور بالفعل والقول. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>. يقول ابن كثير: «لو كنت سييء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك، وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم»<sup>(٣)</sup>.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله». «من حرم الرفق حرم الخير».

وبالرفق فتح الله للسلف الصالح مغاليق كثيرة، وجمع شملهم على كلمة التوحيد، كما أن أسباب تفرق القلوب والتنافر هو العنف والحدة والغلظة، تكون من الأسباب الواضحة في ذلك.

(١) سورة التحريم، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ٤٢٠.



## ٢ - الصبر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلبان عزمًا وصبراً. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧). فعلى الداعية أن يصبر على المجادلة والمناقشة، ولا يستعجل النتيجة. وقد أمر الله عز وجل موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون أن يقولوا قولاً ليناً وهو أظغى الطغاة: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّئَلَّا تُتَذَكَّرَ ۖ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤). (١)

وقد حارب الدعوة السلفية كثيرون على أساس العصبية القبلية التي تتضمن عنصرين هما:

الأول: أن الولاء للقبيلة يتضمن رفض القبائل الأخرى.

الثاني: أن الولاء للقبيلة مرتبط بالمصالح المباشرة.

لكن بالمبادرة والصبر واجه حماة الدعوة السلفية التحديات وانتصروا للعقيدة، فالميزان عندهم هو الحب في الله، والبغض في الله، فكانت الدعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام دين الله الحق. هذا هو محل دعوتهم التي بعث الله بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، فهم لا يدعون إلى مذهب فلان ولا إلى رأي علان، بل يدعون إلى صراط الله المستقيم.

ويكفي أن نذكر في مناسبة الحكمة هناك أحد الأعلام الكبار وهو الشيخ عبدالله البليهد، الذي كان يقوم بالدعوة في جميع بلدان القصيم، وفي عام ١٣٣٣هـ عينه الملك قاضياً لقرى القصيم وبواديها. ثم نقل الشيخ البليهد من قضاء حائل إلى مكة المكرمة، فكان يقابل الوفود الإسلامية وكانت له مواقف مشرفة حمد عليها في تلك الأيام القلقة.

وإننا نجد في تولية الملك للشيخ بليهد لقضاء حائل وتولية قضاء مكة

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

حين فتحها أن الملك يعرف رجال سياسته المحنكة الرشيدة، فعقل وحكمة الشيخ البليهد جعلت منه الرجل المناسب لسكان هاتين المدينتين الذين كانوا يحتاجون إلى ملاحظة وتأليف وتطمين .

وإن كان من أصول الدعوة مراعاة عقول المخاطبين، وبيئتهم، وملاحظة عدم التعرض لأمر جانبيه تثير بينهم الفرقة والحساسية، فإن هذا يذكر بحق العلماء العاملين، والحكماء العارفين، الذين لا يريدون من وراء علمهم ودعوتهم إلا هداية الناس وتوجيههم نحو الحق والخير والألفة، والتعاون على البر والتقوى .

قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» .





## المبحث الثالث

### الموعظة الحسنة

إن من الأساليب التي حث الله سبحانه عليها في القرآن الكريم الدعوة بالموعظة الحسنة مصداق قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup> وهي أساليب صالحة لكل زمان ومكان، وقادرة على مخاطبة العقل والوجدان في سياق واحد.

إن أساليب الدعوة بالحكمة تقتضي أن تكون أساليب الدعوة متنوعة بحسب تنوع البيئات.

إن القلب هو مركز التفاعل في الإنسان، فكما أنه قابل للإشراق والضياء والصفاء، فهو قابل كذلك للإظلام والذبول والصدأ، ولذلك كان على الداعية أن يعنى بقلب المدعو عن طريق الوعظ الذي يوقظ القلب.

قال الشيخ السعدي عن المدعو: «فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمقصود بالترغيب هنا، كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والمقصود بالترهيب: كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

قال أبو حيان: «الموعظة الحسنة هي التي لا تخفى عليهم إنك تناصحهم بها وتقصد ما تنفعهم فيها، والموعظة الحسنة أن تختلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عطية: «الموعظة الحسنة التخويف

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٥، ص ٥٤٩.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٢٣٥

والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل».

لقد انتهجها الرسول ﷺ في الدعوة، فقد روى العرياض بن سارية رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب.

ومهمة الداعية في وعظه تنبيه القلوب الغافلة، وإيقاظ النفوس الميتة، والتذكير بحسن الأخلاق، والاقتران بالأنبياء والصالحين، والتذكير بالموت، والالتفات إلى العهود السابقة، والنظر في آيات الله وفي أنفسهم وفي الآفاق، وفي نعم الله السابغة على الإنسان والتنبيه على فساد المدنية المادية بمذاهبها الوضعية»<sup>(١)</sup>.

والموعظة الحسنة لها جرعة معينة إذا تجاوزتها أتت برد فعل عسكي. وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام على الرغم من حب أصحابه له يشفق عليهم من كثرة الوعظ لكي لا يملوا، وفي حديث ابن مسعود أنه قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا»<sup>(٢)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ يغضب في الموعظة إذا رأى ما يكره. أخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة»<sup>(٣)</sup>.

واستعمال الدعاة لأسلوب الموعظة الحسنة يأخذ صورتين:

(١) محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية، ص ١٠٥.

(٢) صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٥.

(٣) المعجم ص ٢٦٠ ج ٧.



(أ) وعظ العامة في المساجد عقب الصلوات .

(ب) وعظ الخاصة من الناس ، وذلك يكون جهراً أو سراً .

نماذج لبعض المواعظ في عهد الملك عبدالعزيز

قال أحد العلماء : قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) . فمبنى الدين تعظيم أمر الله إلى عباد الله . وقد تضمنتها هذه الآية الكريمة مع بيان أن الدعوة بالحكمة لمن يحتاج إلى موعظة ، وبالموعظة الحسنة لمن لا تكفيه الحكمة ، وبالمجادلة بالتي هي أحسن لمن يحتاج إلى ذلك .

وشفاء القلوب بأمرين : محبة الله تعالى وكثرة ذكره ، ومرضاها من أمرين : كثرة الذنوب والغفلة عن ذكر الله .

فيا خسارة من أنفق أنفاسه وأوقاته النفيسة في غير طاعة الله ، وأخسر منه من ضيعها في ضد الطاعة . يقول الشيخ عبدالله السليمان في موعظة له ، وهو من العلماء في عهد الملك عبدالعزيز .

«اعلموا رحمكم الله أن أكثر الناس في هذا الزمان نبذوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وراءهم ظهرياً ، وتركوا دينهم الصحيح المقرر بكتاب الله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، فعميت البصائر وعمت الفتن حتى اجتمع الصالح بالفساد ، والفاسق بالعباد وخالط المسلمون الكفار والمشركين وحصل بهذا الاختلاط فساد الاعتقاد وفساد الأخلاق والحامل على هذا للجميع الجهل بدين الإسلام ومحبة الدنيا والافتتان بها على غير ما يرضي الله .

أيها المسلمون : الدنيا لا تدوم نعمتها ، بل هي مجمع الآفات ومستودع المصائب ، لا يركن إليها إلا مغرور ولا ينخدع بها إلا مفتون .

وقال الشيخ فيصل المبارك ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ (٨٣)

وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴿١﴾ .

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله فقال: استعيذوا من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه معهم كفن من أكفان الجنة، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: «أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان».

وأن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة تنزل إليه الملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح ويجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: «يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب».

إن الملك عبدالعزيز كان يأمر الكتبة بنسخ المواعظ وتوزيعها على الناس، بل كان يقوم بالوعظ بنفسه، وقلما تخلو خطبة من خطبه من مواعظ يوجهها إلى عموم الناس والأمة، كما كان يملئ المواعظ ويوزعها على البلدان فتقرأ في المساجد بعد صلاة الجمعة. ومن أمثلة هذه المواعظ:

بعد السلام والدعاء «تفهمون أن الله سبحانه من علينا بنعمة الإسلام أو أكملها علينا كما قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٢) .

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٨٣-٨٥ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣ .

ومن أكبر نعمه علينا إنزال كتابه الكريم وخلاصة ذلك وعمدة ما نزل في كتاب الله وإرسال رسله الأولين وخاتمهم سيد المرسلين هي الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له وهي مضمون «لا إله إلا الله»، ومن قالها ولم يعرف معناها ولم يعمل بمقتضاها فليس هو من أهل لا إله إلا الله فهو كالأنعام بل هو أضل .

والمقصد من ذلك الفائدة والاتباع لما أمر الله به وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤١) .

والذي حملني على هذه النصيحة، هو ما رأيت في هذا الزمان وأهله من الفساد وما اقترفناه من الذنوب كبيرنا وصغيرنا نستغفر الله ونتوب إليه، فالناس انقسموا على أقسام شتى وقصروا في العمل وتركوا النصيحة ولم يقوموا بالواجب» .

والجدير بالذكر أن هذه النصيحة التي وجهها الملك عبدالعزيز إلى عموم الأمة صدرت تحت عنوان (منشور ملكي كريم)، فأى ملك عابد واعظ كان هذا الرجل، جزاه الله عن الإسلام خيراً .

## المبحث الرابع

### المجادلة بالتي هي أحسن

الدعوة إلى الله دعوة خير وسلام، وتدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته دون إكراه، فبعض الناس يتنكرون لفطرتهم ويغلقون عقولهم، فلا يسمعون ولا يستجيبون للداعي الله إذا دعاهم لما يحييهم، بل ويحاربون من أجل نصر مذاهبهم، وهنا يجب أن ينتقل الداعي إلى أسلوب المجادلة، ولكنها بالتي هي أحسن.

والجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهه وهو الخصومة في الحقيقة، والمجادلة عند الجدليين والمتكلمين هي المناظرة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصومة وهذه المجادلة حرام. أما المجادلة لإظهار الحق وإبطال الباطل فمأمور بها شرعاً. قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

على ألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاقمة، بل يكون المقصود منها هداية إلى الحق لا المغالبة ونحوها، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. أما المجادلة بالتي هي أحسن فإنها تطمئن النفس على مشاعرها الحساسة.

إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله، وبالجدال بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح الداعي حتى يشعر أنه ليس هدفه الغلبة في الجدل، فإن أصر المدعو على باطله ولج في عناده وأصبح الكلام معه

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.



عبثاً، فليقطع الداعي المجادلة معه، فإن قطع المجادلة في هذه الحالة مسلك سديد.

لقد ذكر القرآن الكريم نوعين من المجادلة هما:

### ١ - المجادلة الباطلة

وهذا النوع نسبة إلى الكفار، والمعاندين للمسيرة الإسلامية الواقفين في طريق امتداد الدعوة، بهدف طمس الحقيقة. قال تعالى: ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ (١).

فالمجادلة بالباطل فيها إصرار على معارضة الدعوة بدون دليل معقول، وتعقيد القضية الحقيقية، وإضاعة الوقت.

### ٢ - المجادلة الحسنة

ومعناها جذب الخصم إلى الفكرة وتقريبه لها بأسلوب ملؤه الود والحب، والتعاطف وحسن الاستدلال. فالمجادلة الحسنة لا غلظة فيها، بل فيها صبر واجتهاد في كشف الشبهة، وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، لأن هذا أقرب للانتفاع بالحق وقبوله. وقد ذكر القرآن عدة أمثلة منها الحوار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين النمرود. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

ويمكن تقسيم المجادلات الدعوية في عهد الملك إلى قسمين:

القسم الأول: المناظرات الشفوية التي يجتمع فيها العلماء،

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

ويتناقشون حول قضية محددة، ويكون مراد الجميع الوصول إلى الحق، كما جرى في عام ١٣٤٣هـ بعد فتح الحجاز، حينما اجتمع علماء مكة المكرمة، بعلماء نجد وتناظروا خلالها حول قضايا عديدة، فأصدروا على أثرها رسالة مختصرة في بيان العقيدة الصحيحة على نهج كتاب الله، وسنة نبيه، وإجماع علماء الأمة تاركين الآراء الفلسفية والدجل الصوفي، وصدر بسبب ذلك كتابان:

١ - البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد عن عقائد التوحيد. ٢ - نداء عام من علماء بلد الله الحرام.

القسم الثاني: المناظرات العلمية التحريرية. ومن أهم ما يمثل هذا القسم كتب الردود التي قام علماء الدعوة بتأليفها رداً على من تهجم على الدعوة السلفية ولتصحيح أخطاء في العقيدة.

ولقد كان علماء الدعوة السلفية يخوضون غمار معركة القلم في المجادلة والتي هي أحسن بأسلوب علمي رصين، رداً للشبهات التي أثرت حول الدعوة السلفية. وقد كان الجهال يفترون على الشريعة المطهرة، وينسبون إليها الترهات، والخرافات، ولكن الله عز وجل أقام في هذا العهد دعاة لدينه، ذابن عن شريعته، وقد وفقهم الله في الرد على المبطلين، وكشف زيغ الزائغين، ونصرة الحق المبين.

وقد كانت للعلماء في عصر الملك عبدالعزيز اليد الطولى في بيان العقيدة السلفية ورد الشبهات عنها بالمجادلة، وكانوا يعتمدون على الكتاب والسنة في الاستدلال.

أمثال الشيخ سليمان بن سحمان: وقد كان أعداء الدعوة السلفية، قبيل حكم الملك قد أحسوا بضعف الدعوة، لانشغال أنصارها من آل سعود، فصاروا يوجهون إليها سهام النقد، وسموم الحقد. فانبرى العلماء يفتندون مزاعمهم ويبتلون افتراءاتهم، ويحثون الناس على التمسك بأهداب





الشريعة، والتمسك بالسنة والعمل بها، وبينوا للناس بالحكمة والموعظة الحسنة أن هذه الدعوة بعيدة كل البعد عن العنف والشدة، فلانت بعض القلوب مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وخرجت بعض الأقلام ضد الدعوة، ولم ينثن العلماء عن ردهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وقد بذل العلماء الجد والجهد من أجل إظهار الحق ونصرته أمام الغلاة تارة، وأمام المعاندين للدعوة تارة أخرى، فجزاهم الله خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

إن مناظرة العلماء في مواجهة الغلو والافتراء على الدعوة السلفية قد أورثت حركة التأليف كتباً عظيمة الفائدة للدراسة والمناظرة بالتي هي أحسن، مما كان له عظيم الأثر في انتفاع الأجيال الحاضرة.

## المبحث الخامس القصص وضرب الأمثال

المقصود من الدعوة إلى الله والهدف منها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق، حتى يأخذوا به، وقد يسلك الداعية أساليب نظرية عقلية محضة، إذ كانت طبيعة المدعويين وإمكاناتهم تتناسب مع هذه الأساليب.

وقد يسلك مسلك القرآن الكريم في عرض الحقائق والمعاني عرضاً علمياً محسوساً، باستخدام الأساليب التصويرية التي تدخل على القلوب بيسر وسهولة. ومن أهم الأساليب التصويرية، إيراد القصص، وضرب الأمثال، وأهم الأهداف المتحققة من القصة جاءت في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي تقوي وتثبت الفؤاد بما جرى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولأتباعهم المؤمنين، وما لقوا من مكذبيهم من الأذى.

وفي هذا إنباء بحسن العاقبة للرسول وأتباعه، وموعظة لسامعه وادكار وذكري لمن آمن، إذ الموعظة والذكري لا ينتفع بها إلا المؤمن<sup>(٢)</sup>. فالقصة للعبارة والموعظة وتثبيت القلب. أما الأمثال فهدفها ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. أي يتذكرون ما أمرهم به ونهاهم عنه.

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٥، ص ٢٧٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.



وتمتاز القصة بأن النفس تميل إليها تشوقاً لمعرفة ما خفي من بقية الأحداث، كما أنها تمتاز بتصوير نواحي الحياة، فيتعرض للأشخاص وتحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية، وينبغي التركيز على القصص القرآني، فإنه يستنبط منه الداعية العبر والعظات، ويستخلص منه المبادئ، والدروس للاستشهاد على المعنى الذي يريد التأكيد عليه، وذلك باعتبار أن القرآن الكريم كتاب الدعوة ودستورها، ويجب أن يستمر زاداً للدعوة والدعاة على طول الزمن.

فالقصة القرآنية تمد الداعية بزااد التقوى والشجاعة والصبر، وتبين له مبادئ الدعوة، وأساليبها، كما كان يتبعها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وفي كل قصة من قصص القرآن هدف ومعالجة لواقعة. فهي من أهم أساليب الدعوة إلى الله، وكذلك سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مملوءة بالصبر والعظات والدروس والمبادئ العظيمة.

كان الرسول ﷺ يختار من قصص السابقين ليشرح المعاني، ويوضح الأهداف بالأمثلة الحية، وهذه القصص تأتي في المرتبة الثانية بعد قصص القرآن الكريم، وما زالت القصة تقوم بدور مهم في الدعوة.

أما الأمثال فإن المدعو يتلقاها عادة بالقبول، لما لها من مكانة أدبية وأصالة تاريخية، جعلتها أشبه بقوانين للسلوك والحياة التي يحياها الناس.

والمثل جملة من القول تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، وهو من الأساليب التي اعتمدها القرآن وكثرت فيه التأليف، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴿١﴾ .

وهذه الأمثال يضربها الله عز وجل لينتفع بها الناس ويتعلموا منها، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، لأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة .

وقد ضرب الله عز وجل مثلاً لكلمة التوحيد، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ﴿٢﴾ .

وضرب مثلاً لكلمة الكفر فقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿٣﴾ .

ولا شك أن في حفظ الأمثال وتعلمها قوة وحجة لدى الداعية الذي يريد أن يؤيد حديثه بالحجج والبراهين . إن ضرب المثل يوضح المبهم ويفتح المنغلق وبه يصور المعنى في الذهن، ويكشف المعنى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس أحسن موقع .

وكما ترد الأمثال في القرآن الكريم ترد في الحديث الشريف نحو قوله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١ - ٤٣ .

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦ .



يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

وقد كانت القصة والأمثال من أهم أساليب الدعوة، وذلك بسبب قوتها على التأثير في العوام الذين تنتشر بينهم الأمية. ومن الكتب التي كانوا يقرؤونها على المصلين في المساجد (تفسير القرآن العظيم لابن كثير)، المشتمل على القصص القرآنية البليغة مثل قصة سيدنا يوسف وقصص موسى وغيرهم.

وقد يسوق العلماء أمثالاً جديدة استفادوها من واقع حياتهم حيث تكون قريبة أساساً للمدعوين، وأثرها قوي، وبما ورد في السنة النبوية فعن طارق بن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقال لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلو سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة».

وهكذا تتضح أهمية القصة وضرب الأمثال كأسلوب من أساليب الدعوة في العصر الحديث، بيد أنه من الملاحظ أن هذا الأسلوب كان كثيراً في الوعظ والتعليم - وخاصة في مواسم الحج - إلا أنه لم يجمع منه الكثير وضاع في زوايا الإهمال، مع أهميته التي كانت نتوجب تتبعه، وجمعه.

## الفصل العاشر

# جهود الحكام والعلماء في الدعوة

المبحث الأول: جهود الملك سعود بن عبدالعزيز.

المبحث الثاني: جهود الملك فيصل.

المبحث الثالث: جهود الملك خالد.

المبحث الرابع: خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وجهوده في الدعوة.

المبحث الخامس: أثر الدعوة في الداخل والخارج.





## المبحث الأول

### الملك سعود بن عبدالعزيز

ولد الملك سعود في الكويت عام ١٣١٩هـ، وعاد مع أسرته للرياض بعد فتح الملك عبدالعزيز لها، وتولى بعض مهام الحكم قبل وفاة والده عام ١٣٧٣هـ، كما قاد حملة على حائل عام ١٣٧٩هـ.

تلقى على يد علماء نجد مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الدينية وكذلك استفاد من والده وتوجيهاته إليه، وعندما تولى الحكم بعد والده أنشئت في عهده وزارة المعارف والزراعة والمواصلات واستمر في الحكم حتى بويع الملك فيصل رحمه الله بالحكم.

لقد التزم بمنهج والده في التمسك والالتزام بتحكيم الشريعة والسير على طريقه في سياسة المحافظة على الأمن والاستقرار، واهتم بنشر العلم، فافتتحت أول جامعة في عهده وهي جامعة الملك سعود، وتوسع في افتتاح المعاهد العلمية والدينية، وافتتح الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وأمر بصرف مكافآت لتشجيع الطلاب للعلم.

كما اهتم - رحمه الله - بالقضايا الإسلامية، ودعم الجمعيات الإسلامية العالمية فافتتح رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٨١هـ، وكان من مهامها إرسال الدعاة والمدرسين للدول والمناطق الإسلامية.

لقد اهتم بالشؤون الإسلامية، وطبع الكتب الدينية لإرشاد الناس والدعوة، وأمر بإنشاء دار الإفتاء، والإشراف عليها برئاسة الشيخ محمد بن





إبراهيم، واهتم كذلك بتوسعة المسجد الحرام وشؤون الحجاج، ودعم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.  
لقد كان لتلك الجهود أثرها في نصره الدعوة إلى الله، والدعوة الإصلاحية في عهده.

(١) العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ١/١٤٩.

## المبحث الثاني

### جهود الملك فيصل في الدعوة

ولد الملك فيصل عام ١٣٢٤هـ في الرياض، ونشأ نشأة دينية صالحة، تلقى فيها العلوم الدينية، وترعرع على الفروسية والإدارة والسياسة، واستفاد كثيراً من مجالس والده، فأرسله والده إلى بريطانيا وفرنسا، ومثل المملكة عند إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ م.

بقدر مساهمة الملك فيصل سياسياً، فقد شارك في قيادة الجيوش العسكرية في فتوحات عسير ١٣٤٠هـ، وكان نائباً لوالده على الحجاز عام ١٣٤٤هـ، وكان أول وزير للخارجية عام ١٣٤٩هـ، ثم تولى الحكم عام ١٣٨٤هـ.

من أبرز جهود الملك فيصل في الدعوة إلى الله. أنه قد سار على درب والده والتزامه بتحكيم الشريعة الإسلامية، والمنهج السياسي في حياته باستقلال البلاد وحماتها والمحافظة على الهوية الإسلامية والعادات الأصيلة، كما أبرز دور المملكة القيادي بالدفاع عن المسلمين ونصرتهم ومساعدتهم في حاجاتهم الدينية والدنيوية<sup>(١)</sup>.

اهتم الملك فيصل بشؤون الحرمين الشريفين، فأنشأ إدارة الإشراف الديني بالمسجد الحرام عام ١٣٨٤هـ التي تهتم بأمور الدعوة والإرشاد بالحرمين، وعمل على إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٣٩٠هـ، كما ساهم في إنشاء البنك الإسلامي للتنمية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٣٩٢هـ.

(١) سيد إبراهيم، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ١٦٥.



أنشأ وزارة العدل وعمل على وضع نظام قضائي يعين على استقلال القضاء، ويمسك زمامه مجلس أعلى للقضاء، كما أصدر نظاماً أساسياً للحكم مستمد ومن الشريعة السمحاء كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح.

عمل الملك فيصل على نشر الدعوة الإسلامية، بالعمل على إنشاء المساجد ومراكز العلم، وسخر جميع الوسائل الممكنة لذلك، كما أصلح أوضاع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.

لقد اهتم كذلك بتكريم العلماء ورجال الدين، وقام بتأسيس (هيئة كبار العلماء) من عشرين عضواً للنظر في قضايا المسلمين وفتاواهم، وكذلك اهتم كثيراً بالنهضة التعليمية ومجالات التعليم المختلفة، وتقديم المنح والمكافآت لطلبة العلم.

كانت تلك أبرز جهود الملك فيصل - رحمه الله - في الدعوة إلى الله تعالى ومناصرتة لها حتى وفاته رحمه الله في ١٣/٣/١٣٩٥ هـ بالرياض.

(١) محمود حجازي، ملك وتاريخ.

## المبحث الثالث

### جهود الملك خالد في الدعوة

ولد الملك خالد عام ١٣٣١هـ، ونشأ نشأة دينية حفظ فيها القرآن ودرس العلوم الشرعية على يد علماء نجد، وقد كان رجلاً فاضلاً متواضعاً، تولى الحكم بعد مقتل أخيه، وظل فيه حتى وفاته ١٤٠٢هـ<sup>(١)</sup>. كان له - رحمه الله - جهود في الدعوة، أهمها الالتزام بمنهج والده الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في سياسة الدولة والمحافظة على صيانتها واستقلالها، وكان ذلك وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، مما زادها بسطة ورخاء وأمناً.

كما اهتم - رحمه الله - بالعمل على نشر الدعوة الإسلامية، وذلك بالقيام والاهتمام بعمل المراكز الإسلامية في دول المشرق والمغرب، ودعم الجمعيات الدعوية للإسلام، وقد ساهم مساهمة فعالة في بناء المساجد، واتخذ كل الوسائل المتاحة والمتيسرة لنشر الدعوة الإسلامية.

عمل - رحمه الله - على عقد مؤتمر القمة الإسلامي الثالث عام ١٤٠١هـ بمكة، وذلك حرصاً منه على تقوية الروابط الإسلامية بين الدول وإزالة الخلافات، مما يسهل نشر الدعوة، وفي عام ١٣٩٨هـ عمل على إنشاء هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية. كما اهتم كثيراً بنشر كتاب الله تعالى، لذلك أمر بإنشاء مطبعة المصحف الشريف، وترجمة معانيه إلى عدة لغات، وتوزيعه على عدة أقطار من العالم.

كذلك في عهده - رحمه الله - أنشئت الجامعات الفقهية لاستصدار

(١) الداود، المملكة وهموم الأقليات، ص ٢٣٠.



الفتاوى في القضايا الحادثة، وبدأ في مكة المكرمة عقد المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين من مختلف دول العالم في عام ١٣٩٧هـ. واستحق رحمه الله بتلك الأعمال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤٠١هـ، فله الجزاء من الله تعالى على كل عمل خير قام به.

## المبحث الرابع

## خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وجهوده في الدعوة

ولد الملك فهد - حفظه الله - عام ١٣٤٢هـ في مدينة الرياض، وتلقى تعليمه بمدرسة الأمراء، ثم المعهد العلمي في مكة المكرمة، وكان ملازماً لوالده، مما ساعده في تنمية فكره وصقل مواهبه.

عمل - يحفظه الله - كأول وزير للمعارف عام ١٣٧٣هـ، ثم وزيراً للداخلية عام ١٣٨٢هـ، ونائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء عام ١٣٨٧هـ، وبعد تولي الملك خالد للحكم عام ١٣٩٥هـ أصبح ولياً للعهد، ونائباً لرئيس مجلس الوزراء.

عمل الملك فهد - حفظه الله - في عدة مهام سياسية وقيادية في أول عهده، وفي سن مبكرة قبل توليه الحكم.

تولى الملك فهد الحكم في شعبان ١٤٠٢هـ بعد وفاة أخيه الملك خالد - رحمه الله - وقد كانت جهوده كبيرة في نشر الدعوة وخدمة الدين، وسنحرص على ذكر بعض منها:

لقد تابع مسيرة والده الملك عبدالعزيز ونهجه السياسي في أمور الدولة وتحكيم الشريعة الإسلامية، حفاظاً على أمنها وصيانة استقلالها، والمحافظة على تلك الهوية الإسلامية العربية<sup>(١)</sup>.

اهتم الملك فهد بخدمة الإسلام والمسلمين والعلماء في مختلف أنحاء العالم، وتمثل اهتمامه في تقديره للعلماء ورعايتهم واستشارتهم، وقد اهتم كثيراً بقضايا المسلمين، وجمع شملهم ومناصرة الدول الإسلامية في

(١) كمال الكيلاني، فهد بن عبدالعزيز ومسيرة دولة.



قضاياها، ودعمها سياسياً ومالياً.

عمل - حفظه الله - بكل الوسائل الممكنة لنشر الدعوة الإسلامية، وذلك من خلال إنشاء المراكز الإسلامية التعليمية والمساجد، ومعاهد حفظ القرآن الكريم، ليس ذلك على مستوى الدولة، بل لعموم بلاد المسلمين وبلدان العالم الأخرى.

لقد اهتم كثيراً بنشر كتاب الله، وذلك بإنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، مما ساهم كثيراً في توفير المصحف الشريف مكتوباً بعدة لغات، ومسموعاً بأصوات عدد من القراء، وتم توزيع ملايين النسخ منه. بالإضافة لطباعة كتب التفسير وعلوم القرآن، مما أفاد خلقاً كثيرين ونشر العلم والمعرفة بهذا الكتاب الجليل.

اهتم - حفظه الله - بخدمة الحرمين الشريفين وعمارتها، وعمل على توسعتها لتزيد بذلك طاقتها الاستيعابية للحجاج والزوار والمعتمرين، راحة لضيوف الرحمن والاهتمام بهم، وتيسير أداء مناسكهم في يسر وأمن.

لقد أنشئت في عهد خادم الحرمين - حفظه الله - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة عام ١٤١٤هـ، وهدفها حماية العقيدة الإسلامية والدعوة إلى الله في الداخل وفي الخارج، والاهتمام بالأوقاف وصرفها، والاهتمام ببيوت الله وعمارتها.

وتم إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، للاهتمام بالشؤون الإسلامية والأقليات، والجمعيات والمراكز الإسلامية، كما اهتم برعاية الدعاة والمعلمين، وتأهيلهم تأهيلاً يليق بالدعوة والتعليم. كما كان التوسع في إنشاء الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن لكلا الجنسين أمراً واضحاً<sup>(١)</sup>.

كانت تلك جهوداً طيبة ومباركة وغيرها، قدمها ويقدمها خادم

(١) الداود، المملكة وهموم الأقليات، ص ٢٣٩.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٢٥٧

الحرمين الشريفين للإسلام والمسلمين، حرصاً على نشر الدعوة والاهتمام بخدمة الدين وتطبيق أحكامه. ونتيجة لتلك الجهود فقد نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام والمسلمين لعام ١٤٠٤هـ، وفقه الله وسدد خطاه لما فيه خير الإسلام والمسلمين.





## المبحث الخامس

### أثر الدعوة في الداخل والخارج

الكلمة الطيبة كلمة مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء؛ لأنها كلمة الحق، والحق يباركه الله وينتصر له، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكلم الطيب فكانت دعوة مباركة وثمرتها طيبة آتت أكلها، وكانت آثارها واضحة من أهمها:

أولاً: قضت هذه الدعوة قضاءً تاماً على ما كان شائعاً من الخرافات، وما كان شائعاً من تعظيم القبور والنذر لها، والاعتقاد فيها وفي الأشجار، وأحيت معالم الشريعة السمحاء بعد الاندثار.

ثانياً: رجعت بالمسلمين للتوحيد الخالص من شوائب الشرك، والعمل بالكتاب والسنة المطهرة، وتحكيمها في جليل الأمور قبل حقيرها.

ثالثاً: أظهرت حركة علمية، وانتشر التعليم في المساجد، وتخرج علماء أفذاذ في تلك الفترة وبعدها، وافتتحت الجامعات والمعاهد العلمية<sup>(١)</sup>.

رابعاً: انتشر الأمن في جميع أنحاء الجزيرة، حتى أصبح المسافر صباحاً أو ليلاً لا يخشى ولا يخاف إلا الله.

خامساً: وحدت الدعوة الطيبة كلمة أهل الجزيرة وجمعت شملهم بعد أن كانوا في فرقة لا تجمعهم رابطة، ولا حكم شرعي ولا قانوني.

سادساً: أصبحت الجزيرة عموماً معروفة لدى الأمم، فأضحت لها

(١) صالح الفوزان، من أعلام المجددين، ص ٥٦.

مكانة لا يستهان بها، وصارت مملكة موحدة، عرفت في الآفاق القاصية والدانية.

سابعاً: نشطت حركة التأليف والنشر، فقد ألف علماءها ودعاتها الكتب القيمة في الأصول والفروع، تحت ظل العقيدة السلفية الصحيحة، مما أدى إلى انتشار الكتاب وانتشار الدعوة.

تلك هي أبرز آثار الدعوة الإصلاحية، التي أضحت بسببها هذه الدولة من أحسن الدول في تحكيم الشرع ونشر الأمن والعدل والعلم، ومحاربة أهل البدع والضلال.

### أثر الدعوة في الخارج

كما كان للدعوة أثرها في داخل الجزيرة العربية، كان لها كذلك أثرها في عدد كبير من بلدان العالم.

عند قيام الدولة السعودية، وعند وفود حجاج البلاد الإسلامية إلى مكة المكرمة، كانوا يشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة، ويستمعون إلى خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم السديدة وتوجيهاتهم، ومشاهدة الدولة السعودية وما هي عليه من الاعتصام بالكتاب والسنة، ونشر الأمن والعدل. أضف إلى ذلك رسائل الشيخ إلى عدد من البلدان والأقطار لتوضيح الدعوة، مما كان له أثر كبير وواضح في وصول الدعوة إلى مناطق بعيدة مثل العراق والشام والسودان<sup>(١)</sup>.

انتقلت مبادئ الدعوة بواسطة الحجاج إلى بلادهم، وأخذوا ينشرونها في بلادهم ويحاربون الخرافات، وقامت الدعوات على يد الدعاة لتصحيح الأوضاع السائدة في بلادهم.

(١) انظر رسائل الشيخ الشخصية.



ففي غرب أفريقيا أو نيجيريا كان على رأس الدعوة الشيخ عثمان (دانفوديو)، فبعد التقائه بعلماء الدعوة في موسم الحج، عاد إلى بلاده محارباً للبدع الشائعة بين عشيرته، وعمل على القضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات، وأخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، ويذيع مبادئ الدعوة الإصلاحية، فاجتمع حوله أبناء قبيلته، ومن هنالك انطلق داعياً حتى وصل بالدعوة إلى الأقطار الواقعة بين «تمبكتو» وبحيرة تشاد.

وفي الهند كان أحد الحجاج وهو السيد أحمد، التقى بعلماء التوحيد في مكة واقتنع بصحة ما يدعون إليه، فعاد إلى أهله في البنغال رافعاً شعار دعوة التوحيد، وبعد جهاد شديد ضد عقائد كثير من الهندوس وعقائد أخرى، استطاع هؤلاء المسلمين أن يقيموا الدولة الإسلامية على المبادئ السلفية بجهة البنجاب على يد الداعية السيد أحمد الباريلي.

وفي سومطرة ابتدأت الدعوة الإصلاحية سنة ١٨٠٣هـ على يد أحد الحجاج من أهل الجزيرة، فعاد إلى وطنه مبتدئاً بالدعوة، ثم تطورت إلى حروب طاحنة بين المسلمين الإصلاحيين وبين غيرهم، واستمرت المناوشات ما لا يقل عن ستة عشر عاماً، وانتهت بتغلب الاستعمار الغاشم على الحركة.

كذلك السيد محمد علي السنوسي مؤسس الحركة في ليبيا، بعد أن رجع من الحج ابتداءً حركته الإصلاحية متشعباً بتعاليم الإصلاح الدينية والتي تتلمذ على علمائها<sup>(١)</sup>.

وفي حضرموت وعلى يد السيد محمد رشيد رضا قامت جمعية الإرشاد الداعية إلى الكتاب والسنة، ونبت البدع والخرافات طبق مبادئ دعوة الشيخ

(١) صالح العبودي، عقيدة الشيخ ١٦١/٢.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٢٦١

محمد بن عبدالوهاب .

وعموماً فقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم في العالم الإسلامي في نواح مختلفة، وكانت الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي، وتأثر بها زعماء الإصلاح في سائر الأقطار الإسلامية .





## الفصل الحادي عشر

### من رجال الدعوة

## العلماء في الدولة السعودية الثالثة





## المبحث الأول

### العلماء المفتين الدعاة

- المطلب الأول: الشيخ عبدالله بن عبداللطيف.
- المطلب الثاني: الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ.
- المطلب الثالث: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي.
- المطلب الرابع: الشيخ عبدالله بن حسن.
- المطلب الخامس: الشيخ محمد بن إبراهيم.







## تمهيد

أولى الإسلام للعلم اهتماماً عظيماً، فكان أول ما نزل من القرآن آية تحث على العلم، وهي قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(١)</sup> ومن ثم تبوأ العلماء مكانة رفيعة في الإسلام قال تعالى: ﴿أَمَنَ هُوَ قَدِنتُ ءَأَنَاءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup> وقد جعل رسول الله ﷺ العلم مقياساً للخيرية والتفاضل، يقول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

ولقد تبوأ العلماء المكانة العلية، بوراثتهم الأنبياء «العلماء ورثة الأنبياء»، فورثوا عنهم مهمة الدعوة، كما ورثوا العلم، ولا ينفصل العلم عن العمل والدعوة إليه في المنهج الإسلامي، ومن هنا ندرك أن العلم والدعوة مترابطان، ومتلازمان لا يمكن فصلهما.

وفي الفترة التي نحن بصدد دراستها نجد أن العلماء قد كرسوا جل أوقاتهم للدعوة إلى الله، سواء كانوا قضاة، أم مفتين، أم معلمين، وسوف نسلط الأضواء على أولئك الرجال الأفذاذ الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين.

وقد ارتأيت أن أصنف العلماء بحسب اهتماماتهم ووظائفهم، فمنهم من غلب عليه جانب الإفتاء، ومنهم من غلب عليه العمل في مجال القضاء، وبعضهم تأليف الكتب والآخر الوعظ والإرشاد.

## مرتبة الإفتاء

إن مرتبة الإفتاء، هي القدرة على تبصير الناس بالحلال والحرام، وما

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.



يجوز فيهما وما لا يجوز في أمور الدين . وكان للدعاة المفتين نصيب كبير في نشر الدعوة، وتصحيح العقائد، وربط الناس بالدين في أمور معاشهم، وفي شتى مجالات حياتهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية .

إن المفتين بذلوا جهوداً عظيمة في الدعوة إلى الله، فكانت فتواهم محتوية على إرشاد الخلق وتعليمهم .

إن أهل الإفتاء كانوا دعاة مصلحين، محتسبين أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، لقد كان بناء المجتمع المسلم الصحيح هو قضيتهم الأولى، وكانت غالب الفتاوى موافقة لمذهب الإمام أحمد بن حنبل - يرحمه الله - وقد تأثر كثير من هؤلاء العلماء بآراء واجتهادات شيخ الإسلام ابن تيمية الفقهية، واجتهادات أئمة الدعوة، وغيرهم من العلماء المحققين، ولو كانت مخالفة للمذهب متى ما كان يسندها الدليل . ومن العلماء الذين اشتهروا بالإفتاء في ذلك العهد هم :

- ١ - الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، توفي عام ١٣٣٩هـ .
- ٢ - الشيخ محمد بن عبداللطيف، توفي عام ١٣٦٧هـ .
- ٣ - الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، توفي عام ١٣٧٦هـ .
- ٤ - الشيخ عبدالله بن حسن، توفي عام ١٣٧٨هـ .
- ٥ - الشيخ محمد بن إبراهيم، توفي عام ١٣٨٩هـ .

ونذكر فيما يلي ترجمات مختصرة لهم في مجال الدعوة والإرشاد .

## المطلب الأول

الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن  
(١٢٦٥ - ١٣٧٣هـ)

من العلماء المفتين الذين لهم جهد ملموس في الدعوة إلى الله الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، لقد كان للشيخ نشاط بارز في الدعوة إلى الله من خلال المجالات التالية:

## أ- تدريس العلوم الشرعية

حيث كان يتولى تدريس العلوم الشرعية قبل عهد الملك في الرياض، وكان ممن درس عليه الملك عبدالعزيز حال صغره، وطلبه ابن رشيد في حائل، فعقد الدروس العلمية هناك، وأقبل عليه طلاب العلم وتزاحموا على أبوابه<sup>(١)</sup>.

عاش الشيخ عشرين عاماً في ولاية الملك عبدالعزيز، قضاها في نشر العلم والدعوة إلى الله<sup>(٢)</sup>، وتخرج على يديه طوائف من علماء المسلمين، من القضاة والمفتين والمرشدين، والدعاة، والمدرسين، ونفع الله بعلمه خلقاً كثيراً.

## ب- الإفتاء

كانت الأسئلة والاستفسارات ترد عليه من الرياض، ومن غيرها من البلدان عن الأحكام الشرعية، والشيخ يجيب عنها إجابات مقرونة بالأدلة التي تدل على غزارة العلم، وسعة الاطلاع. ويحتوي كتاب الدرر السنية على مجموعة منها.

(١) البسام، ١/٧٥.

(٢) القاضي، ١/٣٦٢.



وعند التأمل في فتاوى الشيخ نجدها تدل على معرفته بواقع الناس، وأحوالهم، ولذا فهو يقسم المسألة، ويفصل القول فيها عندما تحتاج إلى ذلك.

ونظراً لتعمق الشيخ في الفقه، واطلاعه على مسائل العلم نجد القضاة يعرضون عليه ما يواجههم من مسائل لا يعرفون حكمها، والغالب في فتاوى الشيخ أنه يفتي بما وصل إليه اجتهاده، ولا يذكر قولاً واحداً في مسائل قليلة، ولعل السبب في ذلك أن السائل من العلماء، فيحب أن يوقفه على الخلاف في المسألة وأدلتها. من ذلك أنه أجاب في مسألة طلاق الجاهل بقوله: «مسألة الجاهل، والناسي فيهما أقوال للعلماء، فعن أحمد أنه إذا حلف لا يفعل شيئاً ففعله ناسياً، حنث في الطلاق، والعتاق دون اليمين وهذه الرواية أخذ بها المتأخرون، والرواية الأخرى أنه لا يحنث في الطلاق، والعتاق وهذا قول عطاء وعمر بن دينار، لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»<sup>(٢)</sup>.

### ج - الرسائل والنصائح

اهتم الشيخ بتحرير الرسائل والنصائح إلى البلدان المتفرقة فكان كلما سمع عن وقوع مخالفات شرعية كتب في التحذير منها كتاباً يبين فيه الأدلة الشرعية.

وفي رسالة عامة نجده يقول: «وبعد، موجب كتابي لكم ما يبلغني عنكم من الشر الوخيم، والفعل الذميم، هو أنه إذا أخطأ أحد من المسلمين أو من الإخوان، أو زل زلة، وأظهر الندم والتوبة ورجع إلى إخوانه إنكم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٢) ابن ماجه، ج ٢ المعجم المفهرس ص ٤٢.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٢٧١

تفونهم، وتأمرون بهجره، والله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى التوبة، ويقبل منهم» ثم ذكر الأدلة على ذلك.

وكان إذا نقلت إليه فتوى خاطئة أنكرها، وأرسل الرسائل العامة في إنكارها، كما أنه لا يقتصر على الرسائل على عامة الناس، فهو يرسل للعلماء تارة وللملك تارة أخرى. من ذلك رسالته إليه «الواجب عليك حفظ ثغر الإسلام عن التلاعب به، وأنه لا يغزو أحد من أهل الهجر إلا بإذن منك، وأمر منك، ولو صاحب مطية، وتسد الباب عنهم جملة لئلا يتمادوا في الأمر، ويقع بسبب تماديهم، وتغافلهم خلل كبير وذكرنا هذا قياماً بالواجب من النصيحة لك، وخروجاً من كتمان العلم.

## د- نصيحة ولاة الأمر

كان يناصح الملك وكذلك كان في طليعة الشيوخ عنده في جلسته للعلماء كل خميس، وكان يذهب إلى بيت الملك في الأمور المهمة فينفذها له الملك، حتى قال الملك: «ما رأيت الشيخ إلا تصبب العرق من إبطي».

## هـ- المواعظ العامة

كان يحثهم في المواعظ على التمسك بالدين وإخلاص النية وإصلاح العمل، ونشر العلم والتوحيد.

## و- الإمامة والخطابة والتأليف

تولى الإمامة في الجامع الكبير بالرياض والخطابة سنوات عديدة، وألف رسائل كثيرة في أغراض متعددة منها (الاتباع وخطر الغلو في الدين والابتداع).

## ز- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان مهيباً وقوراً غيوراً على حرمت الإسلام، لا يخشى في الله لومة لائم، وكان مرجعاً للقضاة وأهل الحسبة.



## المطلب الثاني

## الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ (١٣٦٧ - ١٣٨٣هـ)

وهو أحد علماء عصره، وله يد طولى في التوحيد والتفسير والحديث، والفقہ وعلوم العربية.

كان جواداً، مضيافاً حسن الخلق، لطيف المعشر، وكان متميزاً بالتواضع وسلامة الصدر، ولين الجانب، صدّاعاً بكلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، كثير الذكر. وتمثل أعماله فيما يأتي.

## التدريس

كان يجلس لتدريس تلاميذه في بيته، فيأخذون عنه العلوم الشرعية والعربية، حتى استفاد منه خلق كثير، وكان - يرحمه الله - حسن التعليم واسع الاطلاع<sup>(١)</sup>.

## الإفتاء

فقد تصدى للإفتاء والإفادة، ونشر بعض هذه الأجوبة ضمن رسائل أئمة الدعوة السلفية، وكان يشترك مع مجموعة من العلماء في إصدار فتوى للجواب عن بعض مسائل، وقد تصدر اسمه جميع هؤلاء المفتين<sup>(٢)</sup>.

كما أنه لا يتعصب لمذهب أحد الأئمة، وإنما يفتي بموجب الدليل. ومن ذلك أنه أفتى بعدم لزوم الكفارة على من جامع في يوم الشك، مخالفاً بذلك المذهب الحنبلي في هذه المسألة، وكان الشيخ أحياناً يكتبني بنقل كلام أحد العلماء الذين سبقوه عن المسألة التي سئل عنها إذا رأى كلامه وافية

(١) القاضي، ٢/٢٦٨.

(٢) ابن قاسم، ٥/٣٢٠.

بالمسألة .

وكذلك نجده في بعض الأحيان يؤيد فتاوى بعض المعاصرين له .  
فلما أفتى الشيخ عبدالله العنقري، بأن لبس العمامة بهيئتها المعروفة عند أهل  
نجد جائز، وليس مستحباً، وكتب الشيخ محمد بن عبداللطيف مؤيداً  
فتواه .

ولم تكن الأسئلة من الداخل فقط، بل إن المسائل تأتيه من خارج  
البلاد السعودية .

وقد بعثه الملك عبدالعزيز داعياً إلى الله ومرشداً في عسير وبلاد  
الحجاز، فهدى الله به خلقاً كثيراً، ونفع بوعظه، وكان ذهابه إلى هناك سنة  
١٣٣٩ هـ وأقام هناك مدة من الزمن .

القضاء

تولى القضاء في إقليم الوشم، ومقر عمله في شقراء، فكان مثلاً في  
العدالة، والنزاهة، مسدداً في أقضيته، وأحبه أهل الوشم، ثم تولى قضاء  
مدينة الرياض عاصمة المملكة<sup>(١)</sup> .

إنشاء مكتبة علمية

كان شغوفاً بجمع الكتب، مهما كلفه ذلك من مشقة، والإنفاق حتى  
جمع من نفائس المخطوطات والمطبوعات مكتبة لا نظير لها في نجد .

القيام على طبع الرسائل وكتابتها .

من مآثره الخالدة إشارته على الملك بطبع رسائل علماء نجد، فوافق  
على ذلك، وقد خرجت الرسائل مطبوعة على أحسن ما يرام، كما قام سنة  
١٣٥٢ هـ بطبع كتاب «مصباح السالك في أحكام المناسك» .

وقد كتب رسالة في العقيدة وبعثها إلى رؤساء القبائل من أهل اليمن،

(١) البسام، ٣/٨٤٩ آل الشيخ ص ١٤٦ .





وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران، وكافة أهل الحجاز في سنة ١٣٣٩هـ، أشاد في هذه الرسالة بصرح التوحيد، وهدم بها معالم الشرك، وكان لها أثر حسن ووقع جيد.

وللشيخ رسائل في الدعوة إلى التوحيد، ونصائح الإخوان أهل البادية، منها رسالة (الدعوة إلى حقيقة الدين)<sup>(١)</sup>، وقد كتب الشيخ عدة رسائل، منفرداً أو بالاشتراك مع بعض العلماء المعاصرين له، تعالج ما يعرض للمسلمين من مشاكل في عصره.

#### الخطابة والإمامة ومناصحة ولاة الأمر

تولى إمامة الجامع، وخطابته بعد وفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وكان ينصح ولاة الأمر في كل ما يراه نافعا لهم، سواء بالمشافهة أو الكتابة<sup>(٢)</sup>، وذلك بأسلوب بليغ من أجل مواصلة العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ويبين عظم المسؤولية الملقاة عليهم، وكان يكتب الردود على من أخطأ في العقيدة واشتهر خطؤه.

(١) الزركلي، الأعلام ٦/٢١٨.

(٢) ابن قاسم، ٣/٢٣٩ و ٥/٢٧٧.

## المطلب الثالث

## الشيخ عبدالرحمن بن سعدي

(١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)

أحد العلماء الدعاة الذين قصدهم المستفتون بأسئلتهم، واستفساراتهم، سواء بحضورهم، أو بالكتابة إليه، ويتميز الشيخ بالعلم الغزير والأدب الرفيع والأخلاق الكريمة، ويمكن تصنيف أعماله الدعوية كالآتي.

## الإفتاء

وردت للشيخ الأسئلة العديدة، فأجاب عليها بالأجوبة السديدة، وكان في أول عمره يفتي بمذهب الإمام أحمد - يرحمه الله - ثم مال إلى الاجتهاد<sup>(١)</sup>، وكان يفتي تارة شفويًا، وتارة تفد إليه الرسائل فيجيب عليها كتابيًا.

ومن المسائل الجديدة التي أفتى بها، فتوى عن الكهرباء بين أنها تعليم من الله للخلق بعض خصائص الكون، وطريق الاستفادة منها، وأنها نعمة ربانية، وفتوى عن حكم الدخان شربًا، واتجارًا بين فيه تحريمه والأدلة على ذلك، وأوضح مضاره<sup>(٢)</sup>.

لما رأى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم، ونبوغه تتلمذوا عليه، وصاروا يأخذون عنه العلم، فصار في شبابه المبكر متعلمًا ومعلمًا، واستمر في التدريس طوال عمره، حتى بعد إصابته بمرض وفاته، استمر في تدريسه كعادته، رغم نهي الأطباء له، وكان يقول: إن راحتي في مزاولة عملي بالنفع

(١) القاضي، ٢/ ٢٢٥.

(٢) السعدي: الفتاوى السعدية ص ٩٤.



المتعدي .

وكان يدرس الأصول والفروع والحديث والتوحيد والتفسير، وكانت طريقته في التعليم مثالية، وكان أثناء تدريسه لأي علم يورد الأدلة ويحاول الجمع بينها، وأدلة المعارضين لها، وقد يقسم طلابه فريقين كل فريق يتبنى رأياً في المسألة، ويجعل نفسه حكماً بينهما. وكان يستنبط من الحديث عند شرحه فوائد لا تخطر على البال، وعنده قوة ذاكرة، وحفظ وجواب حاضر .

### التأليف

لما بلغ الشيخ عبدالرحمن أشده، ونضج علمه شرع في التأليف، ففسر القرآن الكريم، وبين أصول التفسير وشرح جوامع الكلم النبوي، ووضح أنواع التوحيد وأقسامه، وهذب مسائل الفقه وجمع أشتماتها، ورد الملاحدة، والزنادقة، والمخالفين، وبين محاسن الدين الإسلامي، كل ذلك في كتب، ورسائل طبعت ووزعت ونفع الله بها، وله مؤلفات في الفروع والأصول والحديث والتفسير بلغت ستة وثلاثين مصنفاً منها:

- ١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٣٧٥هـ .
- ٢ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن .
- ٣ - القواعد الحسان لتفسير القرآن ١٣٦٦هـ .
- ٤ - فوائد مستنبطة من قصة يوسف .

### وفي العقيدة

- ٥ - شرح نونية ابن قيم الجوزية المسماة «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين» ١٣٦٨هـ .
- ٦ - القول السديد في مقاصد التوحيد ١٣٦٧هـ .
- ٧ - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان .
- ٨ - الرسائل المفيدة .
- ٩ - شرح نائية شيخ الإسلام ابن تيمية في القدر .

- ١٠ - فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد .  
وفي الأصول
- ١١ - طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، ١٣٧٢هـ .
- ١٢ - القواعد والأصول الجامعة .
- ١٣ - الفرق والتقسيم البديعة النافعة .
- ١٤ - رسالة في القواعد الفقهية (منظومة) .
- في الفقه والفتاوى
- ١٥ - إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب .
- ١٦ - الإرشاد إلى معرفة الأحكام .
- ١٧ - المختارات المحلية من المسائل الفقهية، ١٣٧٨هـ .
- ١٨ - منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين .
- ١٩ - الفتاوى السعدية .
- ٢٠ - حاشية على الفقه استدراكاً على كتب الحنابلة المطبوعة .
- وفي الخطب
- ٢١ - الخطب العصرية القيمة سنة ١٣٦٦هـ .
- ٢٢ - الفواكه الشهية في الخطب المنبرية .
- وفي الحديث
- ٢٣ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة .
- ٢٤ - بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار ١٣٧٢هـ .
- وفي محاسن الدين
- ٢٥ - الدررة المختصرة في محاسن الإسلام ١٣٦٦هـ .
- ٢٦ - الدين الصحيح يحل جميع المشاكل .



- ٢٧- الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية لا تخالف السنة .  
 ٢٨- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة .  
 ٢٩- وجوب التعارف بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني .  
 ٣٠- فوائد قرآنية .

### الوعظ

كان الشيخ يعظ عامة الناس، ويجلس بعد الفجر ويرشدهم حتى تطلع الشمس، ثم يذهب ثم يعود للمسجد عند الضحى لتعليم طلابه، وبعد العصر يعلمهم بعض الأحكام الفقهية باختصار.

### إمامة الجامع وعمارة المسجد بعنيزة

كان إمام وخطيب جامع عنيزة، وقد تعين فيه في رمضان ١٣٦١هـ، وقد كان نادياً من أندية العلم تشد الرحال إليه للعلم. وفي سنة ١٣٦٣هـ، قام بالدعوة إلى المساهمة في عمارة الجامع الكبير.

### تأسيس المكتبة الوطنية

سنة ١٣٦٠هـ قام بتأسيس المكتبة الوطنية في عنيزة، وجلب لها آلاف الكتب على نفقة عبدالله بن سليمان، وصارت غذاء للطلبة.

### مساعدة الناس وزيارتهم

كان يدفع للفقراء من الطلبة ليتجردوا عن الانشغال في طلب المعيشة، وكان داعية خير ورشد، يجب أهل الخير ويساعد الضعيف، وقد كان لا ينقطع عن زيارة الناس في بيوتهم ومشاركتهم اجتماعاتهم، ويجيب الدعوة ويزور المرضى. كان قدوة حسنة، كثير الحج تنفلاً، زاهداً عفيفاً، وكان مثلاً للورع، لم يرض بالمناصب الرفيعة، ولم يرض أن تفرض له المرتبات، ولهذه الصفات الكريمة استطاع أن يؤثر بالدعوة وأساليبها في الناس.

## المطلب الرابع

الشيخ عبدالله بن حسن  
(١٣٧٨ - ١٣٨٧هـ)

كان من علماء البلاد، الذين كفوا الأمة كثيراً من الأعمال الدعوية نصحاً وإرشاداً، وشفقة على الخلق، وفيما يأتي أهم جهوده في الدعوة.

## الإفتاء

للشيخ فتاوى مشتركة بينه وبين عدة علماء، ويظهر أن أغلب فتاواه كانت في الحجاز، لأن إقامته في آخر عمره كانت هناك، ويوجد كثير من فتاواه في كتاب الدرر السنية.

لم يكن الشيخ متعصباً للمذهب، وكان يقول: «نحن في الفروع نقتدي بالإمام أحمد بن حنبل، وإذا رأينا الحنابلة خالفوا نصاً صريحاً، تبعنا النص سواء كان بجانب الحنفي أم المالكي، أم الشافعي، أم لم يأخذ به أحد»<sup>(١)</sup>.

أما في الأصول والعقائد فنحن على مذهب أهل السنة والجماعة.

## التعليم

عقد حلقات الدرس بين يديه، والتف أهل العلم حوله، فأفاد وأجاد، حتى نفع الله بعلمه خلقاً كثيراً في الرياض ثم في الحجاز<sup>(٢)</sup>، كانت داره رحبة مطلة على الحرم الشريف، والمعروفة بالداودية، عامرة بالدروس العلمية يرتادها رواد العلم، وطلاب المعرفة يتزودون من العلوم والفنون. يقول الشيخ عبدالله البسام عنه: «قام بالتدريس، والوعظ في المسجد

(١) ابن قاسم، ٣١٩/٥.

(٢) آل الشيخ، ص ١٥٤.



الحرام على أحسن ما يرام، من تقرير عقيدة السلف، وتدريس مذهب أهل السنة والجماعة، مع سائر العلوم الشرعية والعربية<sup>(١)</sup>.

### الوعظ

كما قام بالوعظ في المسجد الحرام، وكان صارماً في الخير قوياً في التوجيه، يتعاهد الناس بالنصائح الجامعة والمواعظ البالغة، ولم يكن وعظه لعامة الناس فقط، بل كان يعظ أهل بيته، قال عنه الشيخ حسن: «كان يغضب إذا أقيمت الصلاة ثم وجد أحداً يؤدي بعض الفوائت ويقول: «إن من يتهاون في ركعة قد يؤول به الحال إلى فقدان الاهتمام بأدائها جماعة في أول وقتها إذا حان وقت الأذان».

### الإمامة والخطبة

عينه الملك في مسجد والده الإمام عبدالرحمن، المشهور بمسجد الديوانية عام ١٣٢٣هـ، واستمر إماماً وواعظاً في هذا المسجد إلى عام ١٣٣٧هـ، فكان يصلي الخمس صلوات والتراويح والقيام، وفي عام ١٣٤٦هـ جعله الملك إماماً وخطيباً في المسجد الحرام.

### توعية الهجر

لما أخذ الملك في تحضير البادية وتوطينهم عام ١٣٣٧هـ كانت الأرتاوية من أهم تلك الهجر، فبعثه الملك إليهم، فجعل الله في رحلته إليهم الخير والبركة فنشر العلم بين أهل البادية بفضل الله ثم بالتوجيه الحسن، فأقام معهم سنة ونصفاً، فألفوه وأحبوه.

### تولي إمارة الجيش وإرشادهم والقضاء بينهم

لما رأى الملك من الشيخ هذه الحصافة، جعله رفيقه في أسفاره وغزواته، إماماً للملك وقاضياً للجيش، وواعظاً ومرشداً، وكان يستشيره

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٢٨١

في أموره ويرجع إلى مشورته ورأيه، فشارك في الغزوات، وكان آخر غزواته هي أيام الرغامة حين حصار جدة، وشارك الجيش حين فتح حائل، وكان قاضياً لهم، وصحب الملك في رحلاته للقصيم مراراً.

## قضاء الحجاز

عينه الملك رئيساً لقضاة الحجاز في سنة ١٣٤٦هـ واستمر إلى أن توفي ١٣٧٨هـ، وهو مقام لا يصل إليه إلا من بلغ من النضج العلمي مبلغاً كبيراً، فقام بهذه الأعمال الجليلة خير قيام، وسار بها خير مسيرة، فانظمت المحاكم والقضاة.

## الأمر بالمعروف

لقد كان الشيخ أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يحابي ولا يجامل، ومتى انتهكت محارم الله غضب وقام في إنكار المنكر، وكان على ذلك منذ صغره.

لقد كان بعض مرتكبي المعاصي يهددونه بوضع مشط الرصاص على بابه تخويفاً له بالقتل، ومع ذلك لم يثنه تهديد، ولا وعيد عن مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أسند إليه اختيار الأئمة وتعيينهم في المساجد في الحجاز، وكذلك المؤذنين والمرشدين، فعمرت المساجد، وأصبح الشيخ المشرف العام على أحوال المسجد الحرام.

## مراقبة المطبوعات وطبع الكتب

كان الشيخ حريصاً على نشر عقيدة السلف الصالح مع الناس عامة، ولا سيما مع علماء حجاج الأمصار، وكان يوزع الكتب المطبوعة على نفقة الملك على من يستحقها من طلاب العلم، وقد اعتنى يرحمه الله بتصحيح النسخة الخطية لشرح العقيدة الطحاوية، كما قام بطبع كتاب «العقيدة





السلفية للفرقة الناجية المهديّة» على حسابه محتسباً أجرها عند الله .

### الرسائل الإرشادية

كانت للشيخ رسائل إرشادية يبعث بها، فتقرأ في الجوامع في كل عام، ولم تكن رسائله الإرشادية مقتصرة على العامة، بل كان يوجه رسائل إرشادية خاصة لمن يراه أهلاً لتوجيه النصيحة إليه، وقد كانت لهذه الجهود العظيمة آثار دعوية واضحة على أفراد المجتمع كافة .

### الورع وحسن الخلق :

كانت مجالسه عامرة بذكر الله والحث على التواصي بالخير، والزهد في الدنيا، ويحقر أمرها، وكان يحمل على الدنيا، ويقلل من شأنها، ويحذر من الاغترار بها، وينحي باللائمة على من يكتزون أموالهم ويقول: لا تنفعهم فهي وبال عليهم في الدنيا والآخرة .

لقد كان الشيخ آية في الأخلاق العالية، وبيته مأوى لكل زائر، كان رقيق القلب، لا يتسرع في الحكم وإنزال العقاب على شخص إلا بعد التثبت، وكان حسن الخلق مع الموظفين الذين يعملون تحت رئاسته .

لم يكن حسن خلقه إلا منطلقاً من دافع إيماني، فقد كان يقوم على منهج الموالاتة لله تعالى، والمحبة لأوليائه، والمعاداة لأعدائه، وحقق ذلك تحقيقاً عملياً، فهو لا يكره إلا أعداء الله، ولا يجب إلا في الله والله، والناس عنده سواسية لا يجامل في عقيدته .

### القدوة الصالحة

كان الشيخ قدوة صالحة للمجتمع من صغره، ففي الوقت الذي انشغل الناس فيه بالفتن، والدنيا شغل نفسه بتحصيل العلوم وإدراك الفضائل، ومعالي الأمور<sup>(١)</sup> .

(١) البسام، ١/٨٢ .

كان يكره التفریط في الوقت، وكان حريصاً على تعاليم دينه حريصاً على صلة الرحم، وكم تحمل من الأذى، وكان يلقي الجحود والنكران، فكان يقابل ذلك بهدوء المؤمن الصابر ويقول: «هذا لا يضرني».

لقد كانت الصلاة شغله الشاغل حتى يؤديها<sup>(١)</sup>، ومع كثرة مشاغله، وواجباته إلا أنها لم تشغله عن المحافظة على الجماعة إلى آخر عهده، حتى عندما أقعده المرض، فكان حريصاً على أدائها في المسجد الحرام.

لقد كان يحنو على الفقراء واليتامى، كثير العطف على الفقراء والمساكين يؤانسهم بحديثه، ويقبل عليهم بوجهه، لقد كان متواضعاً لا يعرف الكبر والعجب سبيلاً إلى نفسه وقلبه.

(١) آل الشيخ، ص ١٥٨.



## المطلب الخامس

الشيخ محمد بن إبراهيم

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

جمع الشيخ محمد مميزات دعوية عديدة، كان شخصية علمية لها قدم راسخة في العلم، وأخلاق عالية، وصرامة في الحق، وقوة في الدفاع عن شعائر الإسلام، ومن أعماله:

### الإفتاء

خلف عمه عبدالله بن عبداللطيف في الرياسة العلمية، فقام بما كان يقوم به عمه من أعمال وأهمها الفتوى، وبعد تطور الأمور وكثرة أسئلة المستفتين، أنشأ دار الإفتاء فجعل فيها علماء من خيرة العلماء، فكانت الفتاوى الرسمية تصدر عن هذه الدار، وقد شملت الفتاوى جميع شؤون الحياة، مما يوضح للمدعوين شمولية الشرع معتمدة على النصوص الشرعية.

وليس الشيخ مقلداً، بل يفتي بحسب ما يترجح لديه من الأدلة الشرعية، وكان المسؤولون في الدولة يتوجهون إليه بالسؤال عما يعرض عليهم من قضايا من أجل أن تكون أعمالهم مبنية على أحكام الشرع، سواء من الملك أو غيره من الملوك. وأن الأسئلة الموجهة إليه ليست من الداخل فقط، بل وردت إليه من دول عديدة.

لقد أفتى الشيخ في مسائل جديدة لم تقع إلا في عصره بفتاوى رصينة متزنة تدل على منزلة علمية قوية، وحين توفي الشيخ عبدالله عام ١٣٣٩هـ أخذ ابن أخيه مجلسه، فبدأ التدريس إلى جانب مشايخه الذين مازالوا على قيد الحياة.

لقد كان يتميز بغزارة العلم وعموم النفع، وكان يعمر أكثر نهاره بالتدريس، حيث كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة، فكان - رحمه الله - ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب ومنها (الروض المربع)، و(سبل السلام)، و(شرح ابن عقيل) على ألفية ابن مالك.

كان - رحمه الله - يعطي مجالس العلم حقها من الاحترام والتقدير، ويحرص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطلاب. وقد كان لا يقتصر على نوعية من الطلاب، بل كان عنده مختلف الطبقات سنأ.

لما تكاسل الناس عن حضور الحلقات في المساجد أشار على الدولة بإنشاء معاهد دينية لتخريج علماء في الشريعة والعلوم العربية، وعرض عام ١٣٦٢هـ على الملك هذه الفكرة، وأنشئ (معهد علمي بالرياض) وتم تخصيص مكافآت للطلاب تحت إشراف سماحته، وافتتح المعهد عام ١٩٧٠م، ولما كثر الخريجون أنشئت لهم كلية الشريعة واللغة العربية عام ١٣٧٤هـ.

### الإمامة والخطابة

تولى الشيخ الإمامة بعد وفاة عمه في مسجد حي دخنة للصلوات الخمس، كما تولى الخطابة في الجامع الكبير، واستمر في إمامة المسجد والتدريس فيه حتى عام ١٣٣٢هـ، وكان يخطب العيدين بمسجد العيد.

### التأليف والمطبوعات

إن ما كتبه من المؤلفات ليس على قدر علمه، بل هي أقل، فهي رسائل وردود، وسبب ذلك أنه لم تكن له فرصة يتفرغ فيها للتأليف، ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسائل، والفتاوى، التي كتبها في مناسبات مختلفة منها (مجموعة حديث في الأحكام ورتبها على أبواب الفقه).

ومن مؤلفاته المطبوعة:



- ١ - الجواب الواضح المستقيم في الحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم، ١٣٦٩هـ.
- ٢ - إنكار الاحتفال بالمولد.
- ٣ - الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم.
- ٤ - الروضة الندية في المعاملات الربوية.
- ٥ - نصيحة الإخوان في نقص المباني.
- ٦ - تحذير الناسك مما أحدثه الناس في المناسك ١٣٧٦هـ.
- ٧ - حكم المغلاة في مهور النساء، ١٣٥٤هـ.
- ٨ - تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية.

#### الوعظ والإرشاد

للشيخ نشاط في الإرشاد والنصائح منقطع النظير<sup>(١)</sup>، كما كان يرسل رسائل إرشادية إلى أئمة المساجد، وخصوصاً في المناسبات.

#### تربية أهل الهجر دينياً

في سنة ١٣٤٥هـ أرسله الملك إلى أهل الغنظ لما غلوا في الدين، فأخذ يناصح الإخوان المتشددين، ويسايسهم بحكمة، ويبين لهم أحكام الشرع ووجوب طاعة ولاة الأمر فنفع الله به، وكان أكبر المسهمين في دحض شبه غلاة البادية بإبطال حججهم.

#### رئاسة القضاة

لما رأى الملك فيه الكفاءة والسداد جعله مستشاراً شرعياً له في تولية القضاء وإبداء الرأي في الأمور الشرعية، ثم كان رئيس قضاة نجد في أعمالهم القضائية، ولما شكلت المحاكم الشرعية في نجد كان رئيسها الذي تولى الإشراف عليها وعلى أعمالها، ثم صار رئيس القضاة العام في المملكة،

(١) القاضي، ٣١٨/٢.

فنظم المحاكم وعين القضاة وأشرف على أعمالهم .

ولما شكل مجلس القضاء الأعلى كان رئيساً له ، فقام بالدعوة إلى الله وتذكير القضاة بين حين وآخر بواجب الدعوة .

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان الشيخ على حظ وافر من الشجاعة ، وقوة الشكيمة ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يتردد في إعلان الحق أياً كان المخاطب ، ومن هنا كان العلماء من هذه البلاد وغيرها يقومون بالكتابة إليه بما رأوا من منكرات ، لما يعلمون من سماحته من غيرة دينية تجعله يقوم بمنع المنكرات .

### مناصحة ولاية الأمر

لقد أحب الشيخ محمد ولاة هذه البلاد ، فكان يناصح لهم ويدعو لهم ، ويث محبتهم في القلوب ، ويرسل إليهم بالإرشادات التي يراها تحقق لهم المصالح الدينية .

### تعيين الأئمة وبعث الدعاة

كان من الأعمال المناطة به الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين ، وقد جعل هذا العمل منطلقاً للدعوة إلى الله وكتب إلى الأئمة : بأن يتعين على كل إمام مسجد أن يقوم بعد صلاة الفجر بتعليم ثلاثة أشخاص من جماعة المسجد أصول الدين ، كمختصر الأصول الثلاثة وشروط الصلاة ، وأن يتعاهد جماعة مسجده بالنصيحة ، والتذكير والدرس ، كما أرسل خطاباً إلى القضاة لتفقد الأئمة في ذلك .

لقد عمل على تعيين الوعاظ والمرشدين ، وتكثيرهم لحاجة الأمة إلى الدعاة الذين يرفعون عنهم ظلمة الجهل ، وقد كان يكتب إلى أمراء المناطق وقضاتها بمساعدة الدعاة في أعمالهم . كما كان يسعى إلى منع من كان في عقيدته بعض الانحراف من الوعظ ، لئلا يكون ذلك سبيلاً إلى نشر الآراء المنحرفة .



## مراقبة المطبوعات وطباعة الكتب

أوصى سماحته عام ١٣٧١هـ ولي العهد بجعل هيئة لمراقبة الكتب والتفتيش على مكاتب البيع الموجودة في الرياض، كما حرص الشيخ على طباعة الكتب النافعة وتوزيعها مجاناً لنشر العلم وتيسير سبله، وشراء الكتب الدينية، وقد قامت دار الإفتاء بشراء كميات عديدة من كتب مختلفة مفيدة، وزعتها على طلبة العلم في الداخل والخارج.

## كلماته الإذاعية وجهود الدعوة خارجياً

كان يلقي بعض النصائح والمواعظ بالإذاعة، وكذلك خطبة الجمعة من الجامع الكبير كانت تنقل على الهواء، ولقد بذل جهوداً عدة من أجل بث الدعوة خارجياً ومنها:

أ - المساهمة العملية عند إنشاء رابطة العالم الإسلامي وراثته للمجلس التأسيسي فيها عام ١٣٧٩هـ.

ب - إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجعل أكثر من فيها من الطلاب غير السعوديين، وكان الشيخ محمد هو المشرف على تأسيسها والرئيس العام لها.

ج - الدعوة الإسلامية في أفريقيا التي أوكل إلى سماحته الإشراف على نشرها في أفريقيا، ورتاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا<sup>(١)</sup>.

## المكتبات وجهوده فيها

كان رئيساً للمكتبة السعودية التي أنشئت بجوار مسجد سماحته عام ١٣٧٠هـ بدخنة، وجمع فيها حوالي خمسة عشر ألف كتاب مطبوع، و١١٧ مخطوطة<sup>(٢)</sup>.

(١) آل الشيخ، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) الزركلي، الأعلام، ٣٠٧/٥.

## المبحث الثاني

### الدعاة من القضاة

- المطلب الأول: الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ.
- المطلب الثاني: الشيخ سعد بن حمد بن عتيق.
- المطلب الثالث: الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد.
- المطلب الرابع: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.
- المطلب الخامس: الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم.
- المطلب السادس: الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك.
- المطلب السابع: الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري (أبو حبيب).







## المطلب الأول

## الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ

(١٣٢٩ - ١٣٨٠هـ)

تولى أغلب العلماء والدعاة في ذلك العصر القضاء، وذلك لحدائثة الدولة، ودخول كثير من الأقاليم تحت ولايتها، ولقلة العلماء الذين يستطيعون القيام بمهام القضاء، وأعبائه، وكان من سياسة الدولة السعودية تعيين قاضي لكل بلدة، أو هجرة، يتولى في غالب الأحوال إمامة الجامع وخطابته، وإلقاء المواعظ وتدریس العلوم الشرعية، وإفتاء الناس.

وقد برز في عهد الملك عبدالعزيز علماء تولوا القضاء، فحكموا بين الناس بالعدل، ومنهم الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف، لقد كان من العلماء الدعاة الذين اتصفوا بالوقار، والسكينة والحلم والأناة. ويمكن تقسيم عمله حسبما يأتي:

## ١ - ولاية القضاء

رأى الملك حالة الشيخ من سعة علم وبعد نظر، ورجاحة عقل، فعينه في قضاء مدينة الرياض عام ١٣٢١هـ، وبقي فيه إلى وفاته عام ١٣٢٩هـ. لقد سار الشيخ في قضائه وأحكامه سيرة حميدة، عدل في الأحكام وإنصاف المظلوم<sup>(١)</sup>.

## الفتوى

تصدى الشيخ إبراهيم للفتوى، والإفادة، وله فتاوى محررة تدل على جودة فهمه، وحسن تصوره، وقد أشار إلى منهجه في الإفتاء في اتباع الجماعة، واقتفاء أثر السلف الصالح، والبعد عن التفرق والاختلاف.

(١) البسام، ١/١٢٦.



ويوجد له في الدرر السنية عدة فتاوى، ومن أجوبته جواز التداوي بالكرش عن لدغة العقرب.

وسئل عن وجوب الزكاة في أموال اليتامى فأجاب: وأما دراهم الأيتام، فتجب فيها الزكاة لأن النقدين لا يشترط في وجوب الزكاة فيها نية التجارة، بل مجرد الملك، والحول والنصاب.

وسئل الشيخ وأخوه عبدالله، والشيخ سليمان بن سحمان عن تكفير الجهمية فأجابوا: أما الجهمية فالمشهور من مذهب أحمد، وعامة علماء السنة تكفيرهم لأن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل، وأنزلت به الكتب.

#### التعليم والأمر بالمعروف

كانت للشيخ حلقات في التدريس بأنواع العلوم، أخذ عنه فيها جمع غفير.

لقد كان قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، له قوة، وإقدام وشجاعة وهيبة منها العجب. لقد كان قدوة صالحة في أعماله الخيرية، والأخلاق الحسنة، كان هيناً ليناً مهاباً سمحاً كريماً متحياً، مفيداً للطالين، ورعاً تقياً متواضعاً، زاهداً في الدنيا.

لقد كان الشيخ إبراهيم مع ما يمتاز به من العلم الواسع وكرم الخلق من العلماء المتصفين بالوقار والسكينة والأناة والحلم.

## المطلب الثاني

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق

(١٢٧٥ - ١٣٤٩هـ)

كان الشيخ من قضاة ذلك العصر، والدعاة فيه، وتمثل عمله الدعوي

فيما يأتي

القضاء:

تولى قضاء الأفلاج في عهد الإمام عبدالله الفيصل، فاستمر قاضياً حتى فتح الملك الأفلاج، فنقله من قضاء الأفلاج إلى الرياض، قاضياً للبادية وفي قضايا الدماء.

لقد كان الشيخ قاضياً مسدداً في أفضيته، نزيهاً، حازماً ذا عقل راجح، وهو عالم مجتهد.

الإفتاء

كانت أسئلة المستفتين تصل إليه شفاهة، وكتابة، فحرر الفتاوى والأجوبة بأسلوب مبسط مقترن بالدليل الشرعي، وتحتوي مجموعة الرسائل، والمسائل، والدرر السنوية على عدة فتاوى له، وقد جمعت فتاواه في رسالة مستقلة عنونها: «المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق».

التعليم

لقد أمضى الشيخ كثيراً من وقته في بث العلم الشرعي في مجالات متعددة، من أهمها التدريس في مدن كثيرة، فالتف إلى حلقاته كثير من طلبة العلم، ممن كان لهم أثر في الدعوة بعده.

لقد كانت له - يرحمه الله - حلقات للتدريس في جامع الرياض الكبير،



ولذا أقبل عليه الطلاب، وحفوا به، واستفادوا منه فوائد جلية.

### التأليف

كما تصدى الشيخ لنشر العلم بالكتابة، فقد كتب الرسائل والنصائح وألف المؤلفات، وله رسالة حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض، ورسالة عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية.

تولى الشيخ إمامة الجامع الكبير في الأوقات دون صلاة الجمعة، وكان الشيخ مقرباً من الملك، لأنه عرف منه النصح التام، فهو يعتمد عليه في مهام الأمور الدينية، وكان يتحف الملك بالنصيحة كلما وجد الوقت مناسباً.

كما كان يقوم بواجب النصيحة للخاصة من العلماء والأمراء ولعامة المسلمين، حيناً مشافهة وحيناً مراسلة فيما يرى أنهم محتاجون إليه<sup>(١)</sup>.

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد

ورث الشيخ الغيرة الشديدة في الدين والصلابة في العقيدة، كان من دعاة الخير والرشد صادعاً بالحق، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقد كان حريصاً على الدعوة إلى الله بطريق الوعظ، فكان يرشد أدبار الصلوات وفي كل مناسبة<sup>(٢)</sup>.

لقد جد واجتهد في الدعوة حتى نفع الله باجتهاده ودعوته خلقاً كثير، ولقد كان قدوة صالحة في ملازمة العبادة، والحرص على الأذكار الشرعية، والمواظبة على الحزب اليومي.

(١) البسام، ١/٢٦٦.

(٢) القاضي، ١/١١٠.

## المطلب الثالث

## الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد

(١٣٥٩ - ١٣٨٤هـ)

لقد كان للشيخ عبدالله البليهد القدح المعلى في الدعوة، لسنين طويلة. ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يلي.

## ولاية القضاء

في عام ١٣٣٣هـ عينه الملك قاضياً لقرى القصيم وبواديها حتى عام ١٣٤١هـ حيث عينه الملك قاضياً في مدينة حائل وما يتبعها. ولما فتح الملك الحجاز عام ١٣٤٤هـ عينه رئيساً للقضاة في مكة المكرمة واستمر في قضاء حائل وتوابعها قائماً بالتدريس والوعظ والإفتاء حتى توفي عام ١٣٥٩هـ.

## جهوده في الوعظ والإرشاد

عينه الملك قاضياً في قرى القصيم، وبواديها عام ١٣٣٣هـ، وكان ذا عقل كبير، وفهم جيد، وذكاء متوقد، ولما انتقل عام ١٣٤١هـ إلى قضاء مدينة حائل عمل في الدعوة بين حواضرها وبواديها، وكان هو المتولي الإمامة، وخطبة الجمعة في البلدان التي تولى القضاء فيها ماعدا مكة المكرمة.

## بث الوعي بين المسلمين

خطت المدنية الحديثة خطوات عملاقة في مختلف مجالات الحياة الصناعية وفروعها، فقابلها الناس غير مجردة عن ديانة مخترعيها ولا سوق مصدريها، رمز الاستعمار والاستكبار والإباحية ومن ثم كان موقفهم منها سلبياً، وقد قام العلماء بدور بارز في دعوة هؤلاء، وبيان الحق لهم في هذه الأمور، ومن العلماء الشيخ البليهد الذي سعى إلى إقناعهم بالحكمة،



والحجة بقول لين مشافهة حيناً ومراسلة حيناً آخر .  
يقول الزركلي : «اشتهر الشيخ بمولاته لحركة الإصلاح والتجديد في نجد في أيام تعصب بعض (الإخوان) هناك في مقاومة ما يجهلونه من وسائل العصر الحديث» .

#### مؤلفاته

ألف الشيخ كتاباً في مناسك الحج على المذاهب الأربعة، وقد سماه (جامع في أحكام المناسك) وله رسالة مخطوطة في الخلافة ومن هو الأحق بها .

كما أن للشيخ عدة رسائل، وأجوبة مفرقة لم تجمع، وله بعض المقالات الدينية التي نشرت في الجرائد والمجلات المحلية في ذلك الوقت .

#### مقابلة الوفود ونشر العلم

كانت مكة تزخر بالوفود، وكان يجب أن تقابل رئيس قضاة مكة وهو الشيخ بليهد، فكان موفقاً في مهمته لما أعطاه الله من الإخلاص في الدعوة ورجاحة العقل .

كان الشيخ يعمر كل بلد حل فيها بدروس العلم، فخرج عشرات من العلماء في القصيم، وحائل ومكة المكرمة، كان عالماً فاضلاً جمع بين السياسة الدينية والدنيوية، والعلم والحجة، والعقل الوافر، وجلس للتدريس والإفتاء والقضاء .

تلمذ على يد الشيخ جمع غفير من طلبة العلم، انتشروا في القصيم، وحائل، ومكة، والمدينة، ولم يدونوا، ولو دونوا لبلغوا المئات<sup>(١)</sup> .

(١) العمري، علماء آل سليم، ج ٢، ص ٣٣٥ .

## المطلب الرابع

## الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري

(١٣٧٣ - ١٣٩٠هـ)

كان الشيخ عبدالله من العلماء الدعوة، وقد قام بأمر مهمة، وكبيرة في مجال السلم والحرب والصالح العام، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يأتي.

## ولاية القضاء

عينه الملك قاضياً على مقاطعة سدير، وكان مقر عمله في الجمعة، وذلك عام ١٣٢٤هـ، وأضيفت إليه بلدان أخرى مثل الزلفي ومبايض والأرطاوية، وظل في القضاء ستاً وثلاثين سنة، فلما تقدمت به السن وأرهقه الكبر حتى طلب الإعفاء، فأعفي وتفرغ لنشر العلم بالتدريس والتأليف.

## الفتوى

قام بالفتوى في مسائل عديدة وكثيرة، وكانت فتاواه - وما زالت - نبراساً لطلبة العلم، ويوجد له في الدرر السنية فتاوى عديدة منفردة وجماعية، منها فتاواه عندما سئل عن النداء بجاءت الراجفة، فأجاب يكتفي بالأذان لأن النداء بقول جاءت الراجفة نقل عن النبي ﷺ ولا نعلم أحداً فعله.

## التعليم

شغل أغلب أوقاته في العلم، مطالعة ومراجعة، وبحثاً وتدریساً للطلاب، وقرأ عليه الكثير من أهل العلم، وتخرج عليه كثير من العلماء وانتفعوا به.





### التأليف

لقد ألف حاشية على الروض المربع جمعها من كلام العلماء، وبعض تقاريره، كان يدرسها طلبة كلية الشريعة بجامعة الإمام في مادة الفقه، وله تعليق على نونية ابن القيم لاتزال مخطوطة، وكذلك له رسائل وأجوبة على أسئلة فقهية مفرقة في الدرر السنية.

### جهوده في جمع نسخ المغني

كان كتاب المغني في الفقه لابن قدامة غير موجود كاملاً في نجد، فسعى في جمع أجزائه من كل بلد، ومن عند كل عالم، حتى تم من ذلك نسخة كاملة، فأمر من طلاب العلم فاستنسخوا منه نسخة كاملة فلما تم نسخها بعث بالنسخة إلى الملك عبدالعزيز، وفرح بها الملك وأمر بطبعها مع الشرح الكبير، وكانت هذه النسخة هي الأصل الذي طبعت عليه آلاف النسخ، وانتفع بها طلبة العلم في مختلف بلدان المسلمين.

## المطلب الخامس

الشيخ عبدالله بن عبد الوهاب بن زاحم  
(١٣٠٠ - ١٣٧٤هـ)

كان الشيخ ابن زاحم من العلماء القضاة الدعاة، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يأتي.

## ولاية القضاء

في عام ١٣٣٦هـ عينه الملك قاضياً ومرشداً وإماماً في هجرة الداينة ثم عام ١٣٥٨هـ رئيساً لمحكمة الرياض، فسد في أفضيته وكان عادلاً نزيهاً. ظل رئيساً للمحكمة إلى عام ١٣٦٣هـ، عندما نقله الملك رئيساً لمحكمة المدينة المنورة، وكانت له جلسات علم في كل المدن التي تولى فيها القضاء.

## الفتوى

للشيخ فتاوى عديدة منها جوابه مع مجموعة من العلماء على سؤال عن مسجد حمزة، وأبا رشيد والقوانين، ودخول الحاج المصري بالسلاح إلى آخره<sup>(١)</sup>. وقد أفتى قائلاً:

أما مسجد حمزة - رضي الله عنه - وأبا رشيد فأفتينا الإمام - وفقه الله - أن يهدمهما على الفور، وأما القوانين فإن كل شيء موجود منها في الحجاز فيزال فوراً، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر، وأما دخول الحاج المصري بالسلاح، فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح.

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان قوياً في الأمر بالمعروف، لا يخاف في الله لومة لائم، ولكلمته نفوذ، فقد حاول أن يزيل زخرفة الأتراك في الحرم النبوي ويضع عليها

(١) الدرر السنية، ج ٥ ص ٣٢٠.



رخاماً، ويمحو النقوش، وذلك باتفاق علماء المدينة واستشارة الحكومة فوافقت، ولكنه فوجيء بمعارضات، وأبرقوا برقيات للحكومة، أحدثت ضجة، وتشويشاً، فمنعت الحكومة عما كان بصددته لتهدئة الحال.

### التعليم

لما رأى الشيخ العنقري من الشيخ ابن زاحم حسن الخلق والفهم وقوة الإدراك، والنبوغ في العلم، أذن له بأن يجلس للطلبة، فجلس والتف إليه حلقة كبيرة، ومعظم طلاب شيخه ينتقلون بعد نهاية قراءتهم على العنقري إلى حلقاته، وظل في هذا العمل ملازماً للقاضي العنقري ومدرساً إلى عام ١٣٣٦هـ، وقد وازب على نشر العلم في كل البلاد التي حل فيها، حتى نفع الله بعلمه، فأخذت عنه طائفة كبيرة من علماء اليوم<sup>(١)</sup>.

### مشاركة الجيوش للجهاد في سبيل الله

كان كثير المرافقة للملك عبدالعزيز في غزواته وأسفاره، كما كان الملك يبعثه في المهمات التي منها جعله أحد أعضاء وفد المملكة العربية السعودية في إبرام الاتفاقية مع اليمن عام ١٣٥٤هـ، فكان محل الثقة من الملك<sup>(٢)</sup>، وصحب الملك في حصار جدة.

(١) البسلام، علماء نجد، ج ٢ ص ٥٩٠.

(٢) القاضي، روضة الناظرين، ج ٢ ص ١٦.

## المطلب السادس

### الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك

(١٣١٣ - ١٤٣٧هـ)

هو من علماء ذلك العصر الذين لهم إسهام في القضاء والدعوة، وكانت له آثار عظيمة في الدعوة منها:

#### ولاية القضاء

ولي القضاء في كل من (تثليث)، ثم (أبها)، ثم (بيشة)، ثم نقل إلى (تربة)، ثم إلى (الخرمة)، ثم أعيد إلى (أبها)، ومنها إلى (القفنذة)، ومنها إلى (تربة)، ثم إلى (ضرماء)، ثم (الجوف)، وبقي فيها بقية حياته.

كان يدخل مجلس القضاء، وقبل أن يبدأ في النظر في الخصومات تبدأ حلقة من الإخوان يقرؤون القرآن الكريم، وشيئاً من كتب السنة، ومن ثم يبدأ في النظر في الخصومات حتى يؤذن لصلاة الظهر.

#### التعليم

أجازه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وكان جامعاً بين الحديث والفقہ والتفسير، والتدريس لأمّهات كتب السنن، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد انتدبه الملك إلى تهامة بالحجاز مرشداً ومعلماً، ودأب على نشر العلم في المسجد، والبيت في كل مجال.

#### التأليف

جد - يرحمه الله - في التأليف، وذلك منذ أن وطئت أقدامه أرض الجوف، وكان في يوم الجمعة يدخل إلى مكتبه للتأليف، والقراءة والتصنيف، وقد كان مندجماً في عمله العلمي والفكري ومن مؤلفاته: (بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار) و(تعليم الأحب أحاديث



النووي وابن رجب)، و(الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة)، و(مفتاح العربية على متن الآجرومية)، و(محاسن الدين على متن الأربعين)، و(شرح عمدة الأحكام) خمسة أجزاء، و(كتاب كلمات السداد على متن الزاد)، و(السيكة الذهبية على متن الرجبية)، وكتاب (المرتع المشبع في الروض المربع).

كان الشيخ فيصل على جانب كبير من الإلمام بأكثر العلوم، فهو يحمل إجازة في التفسير، وبارع في التوحيد والعقيدة، ولديه معرفة تامة بالحديث والفقہ.

كان يخاطب كل أحد بما يناسبه، ويجب مواساة الفقير من جيبه، وكان سمحاً وعلى جانب رفيع من الأدب، والعفة والنزاهة محبوباً، يستميل القلوب إلى محبته.

## المطلب السابع

الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري (أبو حبيب)  
(١٣٠٥ - ١٣٨٧هـ)

كان من الذين أحسنوا استخدام منصب القضاء للدعوة إلى دين الله عز وجل . ويمكن تقسيم عمله حسب ما يلي :

## القضاء

بعد أن أكمل الشيخ الدراسة في الرياض عام ١٣٣٧هـ، رجع إلى الحوطة ثم أمره الملك بالتوجه إلى الرين ليتولى القضاء لكافة قبائل قحطان الذين في تلك المنطقة، وبقي هناك إلى أن انتقل إلى الرياض عام ثلاثة وسبعين .

كان أول من ولي القضاء عند قبائل قحطان، وهو المتولي عقود النكاح والذي يكتب القضايا، وجميع ما يخص المحكمة بيده .

## الفتوى

كان في أول عمره غالباً لا يخرج عن محتويات كتب المذهب الحنبلي في المسائل الفقهية التي ترد عليه، وأما بعد أن انتقل إلى الرياض في سنة أربع وسبعين، فإنه تيسرت له بعض المراجع التي فيها ترجيح بين المذاهب، فأصبح يخرج عن المذهب في بعض المسائل حسب ترجيحه، وما علمه من المذاهب، ويختار ما هو الأرجح .

وقد بحث بإمعان في بعض المسائل وحققها، وأيام الحج يتوافد عليه كثير من الحجاج للسؤال عن الأحكام التي تخفى عليهم في مسائل الحج والعمرة ونحوها، فيلازم خيمته طوال أيام الحج . وإلى جانب ذلك كانت له فتاوى جماعية بالاشتراك مع بعض المشايخ، والتي ذكر بعضاً منها صاحب



الدرر السنية<sup>(١)</sup> .

### التعليم

لما رجع الشيخ من الرياض إلى الحوطة عام ١٣٣٧ هـ ابتداء بالتدريس في المساجد، واستأجر هو والشيخ صالح بن مطلق داراً جعلوها داراً للعلم، وكان من تلاميذه الملازمين في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، ومن الكتب التي كانوا يقرؤون فيها كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، وكان الشيخ واسع المعرفة في علم التوحيد.

أما طريقته في التدريس للفقه، فكان يقرأ عليه الطلاب المتن ويشرحه جملة جملة، ثم يقرأ عليه الشرح، وكذلك يشرحه جملة جملة.

في عام ١٣٧٣ هـ قدم الشيخ في زيارة إلى الرياض، فطلب منه الشيخ محمد بن إبراهيم أن ينتقل إلى الرياض ويستقر فيها، فانتقل إليها بعد موافقة الملك عام ١٣٧٤ هـ، واشتغل بالتدريس.

في هذه السنة افتتح معهد إمام الدعوة وبأشر الشيخ فيه، وكان يعتمد على الطريقة الحوارية في تنبيه أذهان الطلبة وشدهم إليه، وهو بأن يلقي إليهم سؤالاً فإذا أجابوا عليه بين لهم الجواب كاملاً.

كانت له محاضرات في كلية الشريعة، وله دروس في المسجد المجاور للمعهد من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، وهكذا استقر في الرياض مرة أخرى بعد أن مكث فترة ببلدة الرين.

للشيخ أيضاً قراءات في المساجد، فبعد العصر في المسجد الذي بقرب بيته، يقرأ إمام المسجد بعضاً من الأحاديث، ثم بعد ذلك يبدأ قارئاً ثان وثالث، في دروس موسعة من شرح في حديث، أو في تفسير أو نحو ذلك إلى نصف ما بعد العصر.

(١) د. محمد الشثري، تحاف اللبيب، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

وفي عام ١٣٨٤هـ رأى الشيخ أن يترك التدريس النظامي ويتفرغ للتدريس في حلقات العلم بالمساجد احتساباً.

### تربية أهل الهجر دينياً

عينه الملك عند قبائل قحطان المهاجرة في وادي الرين، قاضياً ومفتياً ومعلماً وواعظاً، فانتقل معه مجموعة من تلاميذه، فأقبلوا بقلوبهم على طاعة الله وهرعوا مسرعين ملتسمين رضاه، فكان الشيخ ينتقل بينهم من قرية إلى قرية معلماً ومرشداً، ناصحاً وموجهاً، صابراً ومحتسباً ما ناله في سبيل الله من تعب ونصب وصعوبات في تفهيم العوام وتفقيه الجهال، ولكن مع صدق الرغبة تسهل المشقة.

كان الشيخ حريصاً على عمل كل ما ينفعهم ويشفق عليهم كشفقة الوالد على أولاده، ولما نقل من القضاء إلى التدريس في آخر عام ١٣٧٣هـ بلغ أهل الرين ذلك فحزنوا عليه وودعوه باكين لفراقه<sup>(١)</sup>.

### رحلاته للدعوة إلى الله

كان الشيخ كثيراً ما يرحل ويسافر تارة إلى المدن والقرى المجاورة، وتارة لأداء نسك العمرة، وتارة للمغازي مع المجاهدين في سبيل الله، وكان يستصحب الأخيار، ويستفيدون منه المعرفة والفوائد الدينية والاجتماعية.

وفي أوائل عام ثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، تواتر لدى الشيخ أنه يوجد في حدود المملكة الشمالية خلق كثير من القبائل يتبعون مواشيهم، ولا يعرفون الضروري من دين الإسلام، فأمر الملك سعود بأن يرسل إليهم الشيخ أبو حبيب لدعوتهم وتعليمهم، وأمر بصرف جميع ما يلزم الرحلة من نفقات واستمرت هذه الرحلة ثلاثة أشهر ونصفاً.

كان الشيخ إذا قدم بلداً يتفرق هو وتلاميذه على مساجد البلد،

(١) د. محمد الشثري، تحاف اللبيب، ص ٩٥، ٩٦.





ويبتدئون بعد الصلوات بإلقاء موعظة يذكرونهم فيها بأهمية الدين، ولزوم تعلم الضروريات منه التي لا يصلح الدين إلا بها، ولا ينتفع من جهلها، ووجب السؤال عنها.

ثم يبدأ بتعليم الجماعة، أولاً بقراءة الفاتحة، وبعض سور القرآن، ثم يسألونهم عن أركان الإسلام، وشروط الصلاة والوضوء ويعلمونهم إياها. وقد قام بدور كبير في إلقاء المواعظ والنصائح، وكذلك في توجيه رفقته إلى الكيفية الموافقة التي يكون لها الأثر الفعال في نجاح هذه الرحلة.

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان من ذوي الغيرة على محارم الله، وكان من آثار هذه الغيرة أن يغضب لغضب الله متى انتهكت محارمه، ولقد ضمن كثيراً من نصائحه كثيراً من المنكرات التي حدثت وفشت، وسعى هو ومن في زمنه من المشايخ في إزالتها.

وهكذا كان يجالس المشايخ ويبحث معهم في كيفية القضاء على تلك المنكرات التي ظهرت، وكان أيضاً يتصل بالملك عبدالعزيز أولاً، ثم الملك سعود، ثم الملك فيصل، وغيرهم ويقترح عليهم في هذا الباب، ويحثهم على الأمر بالمعروف والإلزام به، والنهي عن المنكر والحجز والردع عنه.

وكان متى ما سمع تساهلاً على بعض العصاة وعدم إقامة الحد عليه أخذته الغيرة حتى يقام الحد عليه، أو يعاقب بما يستحقه من العقوبة.

كذلك كان له الأثر في تحسين وضع مدارس البنات، واختيار الأصلح فالأصلح، لمن يتولى أمرهن، وأخذ العهد عليهن في الاحتشام في اللباس، وفي التستر والتحفظ، وما أشبه ذلك.

كذلك كان له الأثر في منع الملاهي والمفاسد التي تحصل من آثارها، وهكذا سعى في تقرير عقوبة لمن ترك الصلاة، أو لمن أفطر في نهار رمضان، أو نحو ذلك، هذا كان من آثار تلك الغيرة.

## تأسيس المساجد وبنائها

بذل - يرحمه الله - جهداً كبيراً في بناء المساجد في هجر، أسسوها، وقرى أنشؤها، فاحتاجوا إلى بناء مساجد تكون مكاناً لعبادتهم ومجتمعاً لتعليمهم، كان من آثارها أن بنوا مساجد كثيرة في البلاد المتفرقة.

في عام ١٣٧٠هـ شكلت لجنة برئاسة الشيخ مسحت مساجد منطقة (العرض)، كما أمرت اللجنة بتأسيس مساجد في كل محلة وهجرة ومجتمع صغير، فعمرت بذلك مساجد كثيرة، كما كان لذلك أثر في اجتماع القلوب وتآلفها.

## الوعظ

كان الشيخ إذا وعظ فإنه يأتي بما يرقق القلوب، وكان يحفظ كثيراً من آثار السلف، فطريقته في الوعظ أنه يأتي بآثار تحرك القلوب، وتزهد في الأعمال الدنيوية الشاغلة عن الخير، ويحذر من المعاصي والمخالفات، وهذه كانت طريقته العامة في الوعظ.

كان قد اعتاد الإلقاء في النصائح والمذاكرة، وتكرر ذلك منه حتى صار إلقاء الكلام عليه سهلاً ميسراً، لكنه كان يبدأ بتفسير آية، أو شرح حديث، ثم يتوسع في بعض الجمل، هذه كانت طريقته في إلقاء النصائح.

وبعد أن قدم إلى الرياض كلفه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بأن يتصل بالمساجد التي في أطراف البلد، ويلقي فيها نصائح بعد صلاة العشاء كل يوم، أو في كل أسبوع مرة أو مرتين، وقد بقي على ذلك نحو سنة أو أكثر وهو ينتقل في المساجد.

## كتابة النصائح

كان يكتب النصائح وينسخ منها عدة نسخ، ويرسلها لتقرأ في مساجد المدن والقرى القريبة، وقد تشمل تلك النصائح على تعليمات وأحكام



فقهية غفل عنها كثيرون، واحتيج إلى التنبيه عليها، وقد تشتمل على أذكار وأدعية وأوراد.

ويستشهد بالآيات مع التعليق عليها، وكذا بالأحاديث والآثار، وبالنقول عن بعض العلماء المتقدمين، وتوجد له مجموعة من الرسائل. أما بعد أن أتى إلى الرياض، فإنه كتب أيضاً عدة نصائح وطبعت وكثر توزيعها، واحتفظ بنماذج منها.

### التأليف

للشيخ عدة رسائل علمية طبع منها، وفقد بعضها الآخر، وقصد من كتابتها نفع العامة، وقد طبعت في حياته ونشرت وكثر تداولها، وكذلك جمع رسالة تتعلق بالأوراد والأدعية، وطبعت باسم أذكار الصباح والمساء.

### القدوة في الأخلاق

كان - يرحمه الله - على جانب كبير من التواضع وحسن الأخلاق والتبسط مع كل طبقات الأمة، وكان يظهر منه لمحدثه التواضع، فهو يجالس الفقراء والمستضعفين، ويبدل ما في وسعه في إعانة أهل الفاقة والحاجة، ويشفع للعاجز ويعين الضعيف ويجالس الضعفاء، فلم يعرف عن الشيخ أنه غضب غضباً شديداً حتى ولو وقع عليه ظلم إلا أن تنتهك محارم الله.

### الشفاعة لأهل الحاجات

كان لا يتوقف عن بذل الشفاعة لمحتاجيها، فيبذل جهده في قضاء حوائج الناس، ومساعدة من يلجأ إليه في قضاء حاجته، كما كان يبذل قصارى جهده في رفع الظلم عن المظلومين، وكان له الجاه والمنزلة عند الملوك وأبنائهم.

### القدوة في الكرم

كان شديد التأثر إذا رأى فقيراً أو مسكيناً، فيسارع لنجدته، وطالما

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٣٠٩

عمل على إقامة المساجد، وبناء المدارس وتشييد المعاهد، وجلب المشافي وإسعاد المجتمع في تحقيق النفع العاجل والآجل ودفع الأعداء الثلاثة: الجهل والفقر والمرض. ومن أخلاقه الكرم المنقطع النظير الذي يعرفه عنه العام والخاص.

كان مع ذلك كان يجارب الإسراف والتبذير وكان يؤثر على نفسه ويظهر على حسن الخلق والتواضع، فيلاطف ضيوفه ويؤانسهم، ويزور الغريب والمريض<sup>(١)</sup>.

(١) د. محمد الشثري، تحاف اللبيب، ص ٢٦، ٢٧.





## المبحث الثالث

### الدعاة الذين اشتهروا بالتدريس في عهد الملك عبدالعزيز

ويحتوي على سبعة مطالب:

الأول: الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد الجلعود.

الثاني: الشيخ حمد بن فارس.

الثالث: الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

الرابع: الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع.

الخامس: الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي.

السادس: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة.





## المطلب الأول

الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد الجلعود

(١٣٣٩ - ١٣٧٩هـ)

تمهيد:

طلب العلم فريضة على كل مسلم، والإسلام دين العلم، والعلماء ورثة الأنبياء، وهم من أعظم الناس ثواباً حين يعلمون الناس الخير، فالعلم نور والجهل ظلمات، وكلما ازداد المسلم علماً ومعرفة بربه ازداد إيماناً و يقيناً.

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على أصحابه يتعاهدهم بالتعليم والتوجيه، هذا وقد ظهر في عهد الملك عبدالعزيز علماء دعاة برزوا في مجال التعليم، والتدريس، فاستفاد منهم الناس، وهذه نبذة عن بعض هؤلاء الرجال.

الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد الجلعود:

لقد كان الشيخ من دعاة ذلك العصر الذين جعلوا تدريسهم وسيلة للدعوة إلى الله وتعليم أحكام دينه، وكان من أهم أعماله الدعوية:

التدريس:

جلس الشيخ للتدريس، والتف حوله التلاميذ، واستفادوا منه وكان أبرز العلوم التي يدرسها علم الفرائض وهو أعلم أهل زمانه في الفرائض. لقد كان للشيخ نخل بجوار مدينة الرياض، فجلس في هذا النخل لتدريس طلاب العلم يدرسهم علم الفرائض، فكانوا يذهبون إليه من الرياض من بعد صلاة العصر، ولا يرجعون إلا بعد صلاة العشاء، ثم بعد مدة قال لطلابه: ابحثوا عن مسجد في الوسط بيني وبينكم للتدريس فيه.





مساعدة القضاة والولاة في أعمالهم :

لما تمكن الشيخ عبدالله من علم الفرائض ، كان مرجع العلماء في فهم معضلاته ، وملجأ القضاة في حل مشكلاته وتقسيم التركات ، وعلم المناسخات .

لقد كان محل ثقة الملك ، فكان يبعثه في مهام الأمور ، وآخرها أن بعثه مع الجيش المرابط في أهبها بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد وكان الشيخ يقوم بمكاتبة علماء تلك البلاد ، والدعوة إلى الالتزام بدين الله وتوحيده .  
لقد كان للشيخ مكانة مرموقة عند الناس ، وعند الملك عبدالعزيز ، وصحبه في رحلاته ، ولقد رشح للقضاء مراراً فامتنع تورعاً ، وكان على جانب كبير من الأخلاق العالية ، والصفات الحسنة .

## المطلب الثاني

## الشيخ حمد بن فارس

(١٢٦٣ - ١٣٤٥هـ)

كان من المعلمين الدعاة الذين لهم أعمال دعوية مشهورة من أهمها:

## التدريس

لقد داوم على التعليم في مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في النحو والفقه، وأخذ عنه العلم أكثر العلماء في ذلك العصر، وكانت له مجالس للتدريس بعد العصر.

كان الشيخ من أنحى أهل نجد، فعرف بهذا الباب من العلم حتى صار مرجع العلماء، وكانت له معرفة بعلم الفلك.

## حفظ بيت المال والأوقاف

تولى حفظ بيت المال للإمام عبدالله الفيصل، ثم عبدالرحمن، ثم الملك عبدالعزيز، واستغل هذا العمل لبث الدعوة إلى الله من خلالها بنصح الخلق وتعليمهم لأحكام الزكاة أخذاً وعطاء.

كانت أوقاف آل سعود موكولة له، فكان يصرف ريعها في أعمال البر والإحسان.

## مساعدة القضاة في قسمة الفرائض المشكلة

كان الشيخ مرجعاً في قسمة التركات وحسابها عند أهل نجد، فكان القضاة يحولون قسمة التركات وحسابها عليه.

## مؤلفاته

كانت للشيخ رسائل كثيرة وردود، أهمها رده على أهل الكلام. وكان مع علمه وكثرة أشغاله دَيِّناً مُتَعَبِداً، كثير الصيام والورع والزهد.



## المطلب الثالث

الشيخ عمر بن محمد بن سليم  
(١٢٩٩ - ١٣٦٣هـ)

من الشخصيات الدعوية التي شاركت في الدعوة إلى الله من خلال مجالات متعددة منها:

### التعليم

لقد جلس للتعليم في أحد جوامع بريدة، فأقبل عليه الطلاب من كل مكان، وكان يعمر المجالس بالقراءة، واستماع العلم، ودروسه تدور على التوحيد وعقائد السلف والتفسير، والحديث، والفقه وعلوم اللغة العربية. لقد جلس للتدريس وهو في سن الشباب، واستمر على ذلك حتى في مرض موته، ومن نماذج الكتب التي كانت تقرأ في هذه الحلقات: المغني، والشرح الكبير، والآداب الشرعية الكبرى، وصحيح البخاري، ومسلم، والسنن والمسانيد، والمقنع ومختصره وشرحه، والعمدة في الفقه، ومدارج السالكين، والبداية والنهاية.

وقد نفع الله بعلمه خلائق من أهل العلم في المنطقة من القضاة والمعلمين والدعاة، كان له صيت وشهرة، وتخرج على يديه أناس كثيرون.

وكان في أثناء سفره يستثمر أكثر وقته في التدريس، حتى على الرواحل يكون معه القراء، يتعاقبون القراءة واحداً بعد الآخر.

### القضاء

أول ما تولى القضاء في هجرة دخنة، ثم أرسله الملك عام ١٣٣٠هـ إلى بلدة الأرتاوية أكبر هجر قبيلة مطير، ليتولى عدة مهام من ضمنها القضاء،

فاستمر فيها حتى عام ١٣٣٧هـ.

ثم بعد ذلك أرسله إلى بريدة، ليكون مساعداً لأخيه الشيخ عبدالله على قضاء بريدة، فلما توفي أخوه عام ١٣٥١هـ عُين مكانه في قضاء (بريدة)، وكان له وقتان يجلس فيهما للقضاء.

الأول: قبل صلاة الظهر يجلس في داره للقضاء بين المتخاصمين.  
الثاني: قبل صلاة المغرب في داره للفصل في الدماء والأموال والحدود.

كان الشيخ يتحرى العدل في القضاء، ويرحم الفقير، ويلطف بمن لا يحسن أن يخاصم، وكانت له هيئة في نفوس الناس، ويحكم بين الخصوم في منزله لا محكمة ولا كتاب ضبط ولا سجلات، وقد يكتب الحكم بيده.

تربية أهل الهجر دينياً

لما بلغ الشيخ مرتبة علمية، وأنس منه الملك نبوغاً بعثه عام ١٣٣٠هـ إلى الأرتاوية، وهي واحدة من أهم الأماكن التي استوطنتها البادية في ذلك العصر، ليكون واعظاً ومرشداً فيها، فقام بواجب الدعوة إلى الله خير قيام.

الإمامة والخطابة

كان والده يقدمه لصلاة التراويح وعمره إذ ذاك ثمانية عشر عاماً، ثم تولى إمامة أحد مساجد بريدة. في عام ١٣٣٧هـ. وكان ينوب عن أخيه في إمامة الجامع الكبير.

التوجيه بتعيين القضاة

كان الملك عبدالعزيز يستشير في تعيين القضاة في القصيم وغيرها، وفي عام ١٣٥٣هـ توجه للحج ومعه قرابة الثلاثين من كبار طلبة العلم وتلاميذه.



### بناء المساجد والمكتبات

اهتم بتجديد جامع بريدة، وكذلك مساجد أخرى، كما قام بإنشاء مكتبة علمية في بريدة، وجمع لها كتباً من طلبة العلم في عصره، وجعلها في المسجد الجامع.

### الوعظ والإرشاد

فقد أولاهما اهتمامه، فكان يصرف بعض وقته فيهما، وكان يحرص على إقامة نوافل العبادات من تلاوة للقرآن، وذكر وصلاة، فكان بيته يمتلئ من الضيوف والطلاب والزوار فيكرمهم، ويحرص على إعطائهم ما يرغبونه<sup>(١)</sup>.

(١) البسام، ٣/٧٤٧، القاضي ٢/١٣٩، ابن عبيد ٤/١٥٦.

## المطلب الرابع

## الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع

(١٢٩٨ - ١٣٨٥هـ)

من الشخصيات الدعوية البارزة في عهد الملك عبدالعزيز، وكان له نشاط دعوي في مجالات عديدة أهمها ما يأتي.

## التدريس

فقد طلبه حاكم قطر الشيخ عبدالله بن ثاني للإتيان إلى بلاده، فذهب عام ١٣٣٤هـ وتولى التدريس هناك لمدة ثلاث وعشرين سنة. رحل إليه الطلاب من عمان وسائر الخليج، وأخذوا عنه العلم في هذه المدة الطويلة. في عام ١٣٥٨هـ طلبه الملك عبدالعزيز وأمره بالتدريس في المسجد الحرام والمدارس الحكومية، فتخرج على يديه خلق لا حصر لعددهم<sup>(١)</sup>.

## جهوده في إدارة التعليم وتنظيمه

لم يقتصر دوره في حق التعليم على التدريس، بل تجاوز ذلك إلى محاولة تنظيم الحركة التعليمية في البلاد السعودية. وفي عام ١٣٦٤هـ عينه الملك مديراً للمعارف. في عام ١٣٦٦هـ أسندت إليه رئاسة دار التوحيد، فلما شكلت الوزارة كان وكيلاً لها، واستمر قرابة ثلاث سنين.

ومن خلال هذا العمل كان يشرف على المدارس الحكومية الموزعة على أطراف المملكة، ولما فتحت كلية الشريعة أسند إليه الإشراف عليها، وفي عام ١٣٧٤هـ طلبه حاكم قطر، فصار مشرفاً على سير التعليم هناك.

(١) القاضي ٢/٢٩٧.



### خطابه الجمعة والأمر بالمعروف والوعظ

خلال إقامته في قطر لمدة ثلاث وعشرين سنة كان يتولى الخطابة في جامع الدوحة، فلما عاد إليها تولى كذلك فيها الإمامة والخطابة. ومن الأعمال التي أنيطت به خلال إقامته في مكة رئاسة هيئة الأمر بالمعروف ورئاسة هيئة الوعظ والإرشاد<sup>(١)</sup>.

### التأليف

للشيخ مؤلفات عديدة منها:

- مختصر شرح عقيدة السفاريني.
- حاشية على عمدة الفقه.
- حاشية على دليل الطالب.
- رسالة في آداب البحث والمناظرة.
- كشف الغطاء عما في أعلام الورى من الأخطاء.
- إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والآداب.
- إقامة البرهان على تحريم الإجارة في تلاوة القرآن.
- الأجوبة الحميدة على الأسئلة المفيدة.
- شرح شواهد القطر وشواهد المغني وسماه سبل الهدى.
- الكواكب الدرية.
- مختصر في تاريخ عنيزة وأمرائها وقضاتها.

كما أن له مذكرات في التاريخ غير مرتبة وبعض هذه الكتب طبع والآخر ما يزال مخطوطاً.

(١) البسام، ٣/ ٨٣٠، القاضي ٢/ ٢٩٥.

## جهوده في القضاء

لما دعاه حاكم قطر الشيخ عبدالله بن قاسم بن ثاني وولاه قضاء قطر عام ١٣٣٤هـ، ثم قدم على الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٨هـ، فأكرمه وعينه مدرساً بالمسجد الحرام، وولاه رئاسة هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية.

## جهوده الدعوية بقطر

لما أقام في قطر عام ١٣٧٤هـ صار مستشاراً لحكومتها في الأمور الدينية، فحصل من ثمرة هذه الثقة والنفوذ أن قامت الحكومة القطرية بطبع كثير من الكتب العلمية النافعة.

وكان الأمير علي بن ثاني يصحبه كلما سافر إلى العمرة أو الحج، لأنه لا يستغني عن مشورته في كل معضلة، وكان موضع سره، ومستشاره الخاص، والناصح الأمين<sup>(١)</sup>.

(١) القاضي ٢/٢٩٩.





## المطلب الخامس

### الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي

(١٣١٥ - ١٣٨٩هـ)

من علماء الدعوة الذين كان لهم نشاط بارز في الدعوة إلى الله من خلال التعليم وغيره من أساليب الدعوة كما يلي .

#### التعليم

ابتدأ الشيخ بالتعليم في بلدة عنيزة عام ١٣٤٧هـ حيث فتح مدرسة لتعليم العلوم الشرعية مجاناً، وعلم بما آلت إليه الحاجة في جنوب المملكة، من انتشار الجهل والبدع والخرافات، فتوجه إلى الجنوب للدعوة إلى الله سبحانه، وكان ذلك في مكة المكرمة في حج عام ١٣٥٧هـ.

فبدأ بـ جازان ثم إلى (سامطة)، وفتح بها مدرسة بتاريخ ٢١ ربيع أول ١٣٥٨هـ، ثم فتح مدرسة في (فرسان)، وأخرى في بلدة مزهرة<sup>(١)</sup> .

كان للشيخ أسلوب مثالي في التعليم، وذلك أنه كان يركز على تعليم طلابه التطبيق العملي للعلم الذي يتعلمونه . فمثلاً كان يجمع طلابه ويدعهم يصلون ثم يدور حولهم ويصحح خطأ كل واحد على مرأى ومسمع من الجميع .

لقد كان يعاني من قلة المعلمين، ولكنه استطاع أن يتغلب عليها، بأن جعل من كبار الطلبة معلمين لصغارهم، ولما كثرت المدارس جعل على كل مدارس منطقة مديراً من خيار تلاميذه، وهو يقوم بجولات عليهم للإشراف على سير العمل وللتوجيه إلى الأفضل .

(١) العمر ص ٨٦ . بحث ماجستير عن حياة الشيخ .

أما المقررات فيدرس الطلاب مبادئ القراءة والكتابة ويتدرجون من قراءة القرآن قراءة مجودة إلى حفظ المتون المختصرة، في الفقه والتوحيد والتجويد والفرائض، والحديث والسيرة، ثم في النحو والصرف، ومصطلح الحديث وأصول الفقه، ثم ينتقلون إلى قراءة المطولات في الحديث والتفسير، والفقه وقواعد اللغة.

### بناء المساجد والوعظ

كان أثناء تجوله في المنطقة إذا دخل بلداً كان أهم الأعمال عنده بناء المسجد، متحملاً أحياناً جميع نفقات البناء، ويجعل في المسجد إماماً، ومؤذناً ومعلماً، ويرتب فيه حلقات تدريس القرآن والحديث والعقيدة، فيكون المسجد ملتقى الجميع ومنطلق الدعوة.

كما كان يقوم بعد الصلاة بإلقاء موعظة في بعض المساجد، وغالباً ما يكون ذلك بعد المغرب أو العشاء، وكان يخرج بنفسه وبعض تلاميذه يوم الخميس إلى البلدان المجاورة، ويرجعون صباح السبت، واعظاً ومدرباً لهم يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر.

### تأسيس المكتبة وطبع الكتب

لقد اهتم بجمع الكتب، وجعل مكتبته في أول مدرسة افتتحها حين قدم إلى جيزان، وفي عام ١٣٥٩هـ توجه إلى مكة، وأخذ منها كتباً في التوحيد والحديث، وبقية العلوم ليؤسس بها مكتبة في (سامطة)، وحرص على كتب العقيدة والتحذير من البدع والخرافات<sup>(١)</sup>.

كما اهتم بطبع الكتب، وخصوصاً كتب تلميذته الشيخ حافظ بن أحمد حكيمي التي مازال يستفيد منها كثيرون من طلبة العلم في هذه البلاد وغيرها.

(١) العمر ١٠١.



### القدوة الحسنة

كان الشيخ قدوة حسنة بشوشاً حسن الخلق، متواضعاً مع طلابه يحرص على خدمتهم، ويكثر من قراءة القرآن، فدمع عيناه، ويكثر من التهجد ويحث طلابه عليه<sup>(١)</sup>.

(١) العمر ١٢٨/١٢٩.

## المطلب السادس

## الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة

(١٣١١ - ١٣٩٢هـ)

كان الشيخ ممن عمل في الدعوة في الديار السعودية مدة تزيد على ٤٧ سنة، وذلك من خلال المجالات الآتية.

## التعليم

في عام ١٣٤٦هـ عين مدرساً في الحرم المكي، فكان يعقد حلقة درسه بعد العصر أمام المنبر، وطريقته في التفسير أنه كان يمسك المصحف الشريف بيده، ويقرأ فيه نظراً، ثم يفسر كل آية قرأها.

وكان إلى جانب ذلك يقوم بتدريس التفسير، والحديث ومصطلحه في المعهد العلمي الإسلامي الذي افتتحه الملك بمكة عام ١٣٤٦هـ. وفي عام ١٣٥٥هـ اشترك مع الشيخ أبي السمع وجماعة من أهل الحديث في تأسيس دار الحديث بإذن من الملك، وصار يدرس فيها. وفي عام ١٣٧٣هـ عينه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مدرساً في المعهد العلمي الذي افتتح في مدينة الرياض عام ١٣٧٢هـ، وكان يدرس فيه مادة الحديث وأصوله.

ثم عاد إلى مكة وبقي فيها على حالته الأولى في التدريس، حتى أواخر عام ١٣٨٨هـ إلى أن ألمت به عدة أمراض أقعدته في داره<sup>(١)</sup>.

## إمامة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف

في عام ١٣٤٤هـ قدم إلى مكة المكرمة في صحبة الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ أبي السمع، فاختره الملك لخطابة الحرم النبوي وإمامته، ومراقبة الدروس بالمسجد النبوي، بالإضافة إلى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف

(١) عبدالعزيز آل الشيخ، جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة ص ٥١٥.



بالمدينة المنورة، وبعد ذلك بسنتين انتقل إلى مكة المكرمة .  
كما عين عام ١٣٧٠هـ بعد وفاة أبي السّمح إماماً للحرم الشريف،  
وبقي إماماً لمدة عام، ثم أُحيل إلى التقاعد عام ١٣٧٨هـ<sup>(١)</sup> .

### التأليف

- خلف رحمه الله مؤلفات نافعة عرف منها ما يلي .
- ١ - ظلمات أبي رية إمام السنة المحمدية .
  - ٢ - الإمام الباقلاني وكتاب التمهيد .
  - ٣ - رسالة الصلاة : أوقاتها، كيفيتها، أنواعها .
  - ٤ - الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلّال .
  - ٥ - المقابلة بين الهدى والضلّال (حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه) .

## المبحث الرابع

### العلماء الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف

ويحتوي على تمهيد وأربعة مطالب:

- المطلب الأول: الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى.
- المطلب الثاني: الشيخ سليمان بن سحمان.
- المطلب الثالث: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.
- المطلب الرابع: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.





## تمهيد

الكتابة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهي من أبلغ الوسائل وأكبرها تأثيراً، إذ هي تتميز بإمكان بقائها طويلاً، وانتشارها على مجال أوسع من غيرها من الوسائل الدعوية.

ولقد امتازت مؤلفات هؤلاء العلماء بمعالجة موضوع التوحيد، الذي هو من أشرف العلوم، فكم انتفع بها الدعاة إلى التوحيد في بقاع متفرقة وأوساط مليئة بالخرافة والشرك في رد شبه الضالين وتأويل المنحرفين.

ومع اهتمام مؤلفاتهم بموضوع التوحيد، فإنها قد تناولت أيضاً علوماً أخرى، تدعو الحاجة إلى معرفتها ودراستها، فألفوا في تفسير كتاب الله جل وعلا، وحديث رسول الله ﷺ، والفقه وأصوله، والفرائض، والسيرة النبوية، واللغة العربية.

كما اعتنوا بكتابة النصائح والتوجيهات الشاملة، المختصرة. وفي هذا الفصل سأتناول أربعة من أشهر رجال التأليف في عهد الملك عبدالعزيز.





## المطلب الأول

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى

(١٢٥٣ - ١٣٢٩هـ)

من علماء الدعوة الذين اشتهروا بالتأليف. ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسب الآتي.

### التأليف

فقد صنف مصنفات عديدة في علم العقيدة والفقہ ومن مؤلفاته :

- أ - شرح نونية ابن القيم، وسماه توضيح المقاصد، وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم.
- ب - تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والحلبي.
- ج - الرد على شبهات المستعين بغير الله.
- د - الرد على دحلان في كتابه خلاصة الكلام، رد فيه على ما جاء في خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافتراء، والكتاب مخطوط.
- هـ - تهديم المباني في الرد على النبهاني.
- و - حكم قصر الصلاة في السفر.

### الإفتاء والمناظرات العلمية

كان الشيخ مفتي الحنابلة في مكة، وله فتاوى لو جمعت لجات أسفاراً ضخمة.

ففي مكة المكرمة قابل الشيخ كثيراً من المخالفين للدعوة السلفية في مسائل توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد بذل جهوداً في دعوتهم إلى الحق في هذه المسائل، وناظر علماءهم، ومن هؤلاء الشيخ عبدالقادر التلمساني.

ولم يقتصر نشاطه على الأفراد، بل اتصل بأمر مكة الشريف عون الرفيق، ونصحه من أجل هدم القباب، والمباني التي على القبور، وشرح له أن هذا مخالف للإسلام، وأنه غلو وتعظيم للأموات، مما هو مخالف لهدي شرعنا، ثم صار الشيخ مقرباً من الشريف عون بسبب علمه وعقله ونصحه.

### توليه القضاء

تولى قضاء الجمعة، وسائر بلدان سدير عام ١٣١٧هـ، واستمر فيه إلى عام ١٣٢٤هـ، وقد استغل شغله بالقضاء في الدعوة، وكان موفقاً في القضاء مشكور السيرة.

### الإمامة والخطابة والتعليم

عندما كان قاضياً في الجمعة كان يتولى إمامة الجامع والخطابة فيه، وقد قام الشيخ بالتدريس بمكة المكرمة، وفي كل من الجمعة وشقراء، وتخرج على يديه علماء أجلاء عدة.

### نظم القصائد

استغل الجانب الشعري في الدعوة إلى الله، وكانت قصائده متعلقة بالمناسبات، ومن قصائده قصيدة يستحث بها آل سعود على القيام بالدعوة إلى الله، اقتداءً بأسلافهم، ويحثهم على الاجتماع.

وما ساعد على أعماله الدعوية، ما يتمتع به من خلق حسن، فقد كان متواضعاً، مرحباً محباً للبحث والنقاش، وكان مثلاً في العلم، والعمل والزهد والورع.



## المطلب الثاني

### الشيخ سليمان بن سحمان

(١٢٦٦ - ١٣٤٩هـ)

من علماء الدعوة الذين ركزوا على جانب التأليف، واهتموا به، كما استخدم عدة أساليب أخرى في الدعوة، وفيما يلي نستعرض أهم مؤلفاته وجانب من أساليبه الأخرى في الدعوة.

#### التأليف

كان من أكبر المجاهدين بأقلامهم في ذلك العصر، ومن الملاحظ أن أغلب مؤلفاته كانت في الرد على خصوم الدعوة السلفية، ومن مؤلفاته:

- ١ - الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد.
- ٢ - الصواعق المرسله الشهائية على الشبه الداحضة الشامية.
- ٣ - كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام.
- ٤ - الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق.
- ٥ - إقامة الحججة والدليل على أهل الكذب والمين من زنادقة البحرين.
- ٦ - الجواب المنكي في الرد على الكنكي.
- ٧ - هداية الأنام وجلاء الأوهام.
- ٨ - منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع.
- ٩ - نبذة في الزيارة.

وكتب أخرى كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

#### نظم القصائد الشعرية

سلك أعداء الدعوة السلفية الهجوم بالشعر أيضاً، فتصدى لهم الشيخ بقصائده الطنانة، وقوافيه الحكيمة، وله ديوان (عقود الجواهر) بلغ

مجموع قصائده ١٠٨ قصائد في ٨٠٩٨ بيتاً.

### نسخ الكتب العلمية

نسخ الشيخ رسائل، وردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، حيث ظل زماناً يكتبها ويستملئها، وذلك لأنه كان خطاطاً، مع سرعة ومهارة، وكان كاتباً للإمام عبدالله الفيصل، فلما ورد على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في عهد الملك عبدالعزيز اتخذه كاتباً لرسائله وردوده وفتاواه.

### الإفتاء

للشيخ سليمان فتاوى متفرقة جمع بعضها ضمن مجموع الدرر السنية.

### جمع الكتب ونشرها

جمع الشيخ سليمان فتاوى الشيخ عبداللطيف ورتبها وبوبها، وجعل لها مقدمات وتراجم.

### مناصحة ولي الأمر

لما تولى الملك عبدالعزيز جعله مستشاره، وظل مع الملك يكتب له رسائله، ويرد على المنحرفين باستشارته، وانبرى للتأليف. أما التعليم فقد جلس له، وله تلامذة كثيرون<sup>(١)</sup>.

(١) آل الشيخ، مشاهير علماء نجد ص ٥١٦.



### المطلب الثالث

## الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٣ - ١٣٧٧هـ)

بالرغم من قصر عمر الشيخ حافظ الحكمي إلا أن له إسهاماً دعوياً كبيراً يتمثل أهمية فيما يأتي .

#### مؤلفاته

- ١ - سلم الوصول ، وهو أرجوزة في التوحيد .
- ٢ - معارج القبول بشرح سلم الوصول .
- ٣ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة .
- ٤ - الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة .
- ٥ - اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون .
- ٦ - لامية المنسوخ .
- ٧ - دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح .
- ٨ - السبل السوية لفقهِ السنن المروية .
- ٩ - وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول .

وهناك كتب أخرى كثيرة، وهذه الكتب وضعت لتكون مناهج تعليم في غالبها .

#### التعليم والمكتبات

تولى التدريس في بعض مدارس شيخه القرعاوي ، وفي سنة ١٣٦٣هـ جعله شيخه مديراً لمدرسة (سامطة) وملاحظاً لمدرسة الجرادية ، وكان أول مدير لمدرسة جازان سنة ١٣٧٣هـ ، ومديراً لمعهد (سامطة) .

كان الشيخ يجمع الكتب العلمية ، وقد وقف هذه المكتبة على طلبه العلم ، وكذلك تولى الخطابة في الجمع ، وكان يستعمل أسلوب ضرب الأمثال .

## المطلب الرابع

الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم

(١٣١٩ - ١٣٩٣هـ)

من الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف، ويمكن تقسيم عمله الدعوي إلى الآتي.

## التأليف

فقد ألف مؤلفات عديدة أغلبها حواش مطولة على متون الكتب العلمية ومن هذه الكتب:

- ١ - حاشية على الروض المربع .
  - ٢ - حاشية على الرحبية في الفرائض .
  - ٣ - حاشية على ثلاثة الأصول .
  - ٤ - أصول الأحكام .
  - ٥ - السيف المسلول على عابد الرسول .
  - ٦ - الحجاب واللباس في الصلاة .
  - ٧ - حاشية مقدمة التفسير .
- وهناك مؤلفات أخرى كثيرة .

## جمع الفتاوى

بذل الشيخ عبدالرحمن بن قاسم جهوداً عظيمة في جمع الفتاوى، وهو العمل الكبير الضخم النافع الذي قام به، ويستحق عليه الثناء العطر والدعاء الخالص .

وهذه الفتاوى قسمان: الأول: فتاوى علماء نجد. فقد جمع رسائلهم، ونصائحهم المبعثرة المفرقة في بلدان نجد وما حولها، ثم قام



بتحقيقها وترتيبها حسب موضوعاتها، حتى صارت عدة أجزاء في التوحيد . وقد سمي هذا الكتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)<sup>(١)</sup> .

الثاني: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ومختصرات كتبه في العقيدة والتفسير، والحديث والأصول والفقه، فجمع هذا التراث، ثم أمر الملك بطبعتها، وتوزيعها على العلماء في داخل البلاد وخارجها .

وقد قام برحلات عديدة من أجل جمع هذه الفتاوى داخل البلاد وخارجها ومن رحلاته هذه: بيروت، والشام، والعراق ١٣٧٢هـ، ومصر وفرنسا ١٣٧٧هـ، وعام ١٣٨٠ إلى بغداد .

وقد كان معه في بعض الرحلات ابنه محمد، والذي ساعد أباه على هذا المجهود الكبير .

لقد كانت مجالسه مجالس علم وبحوث شيقة وممتعة للجلس، وله مكانة مرموقة وكلمة نافذة، متواضعاً دمث الأخلاق، سخيّاً مستقيماً في دينه وخلقه<sup>(٢)</sup> .

(١) البسام ٢/٤١٥ .

(٢) القاضي ١/٢٣٨ .

## المبحث الخامس الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ

ويحتوي على عدة مطالب:

المطلب الأول: الشيخ عبدالكريم الدرويش.

المطلب الثاني: الشيخ عبداللطيف بن حمد بن عتيق.

المطلب الثالث: الشيخ عبدالله بن أحمد العجيري.

المطلب الرابع: الشيخ عثمان بن سليمان.







## تمهيد

العلماء في ذلك العصر ينقسمون إلى قسمين :

الأول: علماء راسخون في العلم الشرعي، وإليهم المرجع وهم قائمون بالوظائف الدينية الرسمية، وتأخذ الدولة بتوجيهاتهم وقيموهم في المدن الكبيرة.

الثاني: دعاة وطلبة يغلب عليهم الزهد والعبادة، والحرص على هداية الناس والصبر، ودعوتهم تكون غالباً عن طريق الوعظ في المساجد، والتنقل في البلدان، وخير مثال على ذلك هم علماء الوعظ الذين ستتكلم عنهم في هذا الفصل.

إن الملك عبدالعزيز بدأ من عام ١٣٣٠هـ في إرسال الدعاة الوعاظ إلى البادية، فكانوا يذهبون إلى أحياء العرب في البراري، ويرافقونهم في حلهم وترحالهم.

ولا يفوتني أن أذكر أن هناك أعداداً من الدعاة الوعاظ خرجوا للدعوة احتساباً من عند أنفسهم، ولم يكلفهم أحد بذلك، وإنما تدفعهم الرغبة في الدعوة إلى دين الله وهداية الناس، ومن هؤلاء الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ :

المطلب الأول: عبدالكريم الدرويش.

المطلب الثاني: الشيخ عبداللطيف بن حمد بن عتيق.

المطلب الثالث: الشيخ عبدالله بن أحمد العجيري.

المطلب الرابع: الشيخ عثمان بن إبراهيم بن سليمان.



## المطلب الأول

### الشيخ عبدالكريم الدرويش

(٠٠ - ١٣٤٠هـ)

من العلماء الذين قدموا إلى جزيرة العرب من خارجها، وساهموا في الدعوة إلى الله. ويمكن تقسيم عمله الدعوي كما يلي.

١ - إنكار المظاهر الشركية في بلاده

عرف ما في قومه من الضلال في التعلق بالقبور، والأضرحة ودعوة غير الله، فأنكر ذلك عليهم فاتهموه بأنه وهابي، وتآمر اثنان على قتله ففر، لقد كان متفانياً في الدعوة لا يريد جزاء ولا شكوراً من أحد، كان ينصح الصغير والكبير ويضرب لهم الأمثال.

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان يجهر بكلمة الحق عند الملوك والعلماء، وقد عرف الجميع صدقه وإخلاصه.

٣ - التنقل بين أمكنة البدو للدعوة

كان الشيخ يتنقل بين بلدان نجد يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وذهب إلى البادية في أرض الأرتاوية، وسكن معهم مدة من الزمن واعظاً وناصحاً.

٤ - الاتصال بالعلماء والأمر للدعوة والنصح والتذكير

كان الشيخ يتصل بالعلماء يتناقش معهم ويباحثهم، ويتصل بالأمرء وينصحهم.

ولقد عرف عن الشيخ محبة الخير والنصح، فهم يقبلون ما صدر منه، وكان له تأثير عجيب في نفوس سامعيه.

## المطلب الثاني

## الشيخ عبداللطيف بن حمد بن عتيق

(١٢٨٢ - ١٣٥٠هـ)

من علماء الدعوة الذين اهتموا بجانب الوعظ والدعوة، وأهم أعماله:

## الوعظ والإرشاد

لما أراد الملك أن يوليه قضاء وادي الدواسر هرب من البلاد، خوفاً من إلزامه بالقضاء، وأخذ يتنقل بين البوادي الرحل، داعياً إلى الله ومقبلاً على العبادة<sup>(١)</sup>.

## القضاء

رجع إلى أهله، ثم سافر إلى الرياض للسلام على أخيه الشيخ سعد، ووافق دخوله عليه نبأ وفاة قاضي (رنية)، فوجه الملك أمره إلى الشيخ عبداللطيف بمباشرة القضاء فيها فاعتذر، فأكد عليه بالقبول، فامثل للأمر وتولى القضاء في تلك الناحية بجد ونشاط إلى حين وفاته.

وكان سديد الرأي فيما قضاه من أفضية، وكان مثلاً في العدالة والنزاهة، والصدع بكلمة الحق.

(١) البسام ٢/٤٩٦.



### المطلب الثالث

## الشيخ عبدالله بن أحمد العجيري

(١٢٨٥ - ١٣٥٢هـ)

من العلماء الحفاظ الرواة، ومن أهم أعماله

#### الوعظ والإرشاد

كان الشيخ العجيري نابغة في الحفظ، فلكثرة محفوظاته سهل عليه الوعظ والتذكير، وكان في وعظه وتذكيره مشوقاً لسامعيه، عالماً بأسرار معاني الأحكام، خبيراً بدقائق فنون البلاغة.

كان يحفظ القرآن الكريم وكتب الحديث بالسند، لاسيما مسند الإمام أحمد، وكان يحفظ من كتب الأدب، أدب الكاتب، والأغاني، والبيان والتبيين، وهناك كتب دينية أخرى وتاريخية وأدبية، يروي الكثير منها.

#### مرافقة الإمام

لما علم الملك عبدالعزيز بما يتمتع به الشيخ من صفات علمية عالية اختصه لنفسه وقربه من مجلسه، فصار من حاشيته المقربين، ومن خواصه الأذنين، وكان يرافق الملك في أسفاره ويعظه ووزراءه وحاشيته، يتكلم في كل ليلة عن موضوع من المواضيع العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية.

## المطلب الرابع

### الشيخ عثمان بن سليمان

(١٢٨٤ - ١٣٦٣هـ)

يمكن تقسيم عمل الشيخ عثمان الدعوي حسب الآتي:

#### الوعظ والإرشاد

كان الشيخ في وعظه يرتجل خطبه بصوت مؤثر.

#### التنقل مع البادية

كان الشيخ ينتقل بين مضارب البادية وهجرهم، ينصحهم ويعظهم مما جعل بعضهم ينتقل معه إلى بلده حرمة وكان يقوم مع أهالي البلد بالإنفاق عليهم وإعاشتهم، وكان يستغل ذلك في الدعوة إلى الله، ثم انتقل معهم إلى هجرة الأرتاوية<sup>(١)</sup>.

#### إمامة الجامع

عين إماماً وخطيباً في مسجد جامع بلدة حرمة حوالي سنة ١٣١٠هـ، واستمر في ذلك مدة طويلة يدعو إلى الله عز وجل.

#### مرافقة الجيش للتعليم والإرشاد

كان يرافق بعض فرق الإخوان في الغزو، ينصحهم ويرشدهم ويمنعهم مما يخالف الشرع، وقد شارك في معظم غزوات الملك عبدالعزيز واعظاً ومرشداً.

(١) مذكرة المدلج ص ٢.



## المصادر والمراجع

- ١ - آل الشيخ، عبدالعزيز. جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة. - جامعة الإمام، ١٤٠٦هـ.
- ٢ - ابن بشر، عثمان. عنوان المجد في تاريخ نجد. - الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ٣ - ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. - المغرب، ١٩٨١م.
- ٤ - ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. - مصر: المكتبة السلفية، ١٣٨٩هـ.
- ٥ - ابن قيم الجوزية. زاد المعاد. - القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٩٠هـ.
- ٦ - ابن كثير. تفسير القرآن الكريم. - القاهرة: دار التراث.
- ٧ - ابن منظور. لسان العرب. - بيروت: دار صادر.
- ٨ - ابن هشام، عبدالله. السيرة النبوية. - بيروت: دار الندوة، ١٤٠٧هـ.
- ٩ - أبو راس، بدر الديب. الملك عبدالعزيز والتعليم. - الرياض: العبيكان، ١٤٠٧هـ.
- ١٠ - أبو زلام، عمر. عبدالعزيز العبقريّة. - الكويت: دار الرأي العام، ١٤٠٥هـ.
- ١١ - أبو عليّة، عبدالفتاح. مصادر تاريخ الجزيرة. - الرياض: دار المريخ، ١٣٩٩هـ.
- ١٢ - جريدة أم القرى، العدد ٦٤٧، بتاريخ ١٩/١٢/١٣٥١هـ.
- ١٣ - إمام، محمد كمال الدين. أصول الحسبة في الإسلام. - دار الهداية، ١٩٨٦م.
- ١٤ - الأنصاري، محمد الأمين. ضباب على منار المسجد. - الرياض: مكتبة الأنصار، ١٤٠٧هـ.
- ١٥ - أنيس، إبراهيم. المعجم الوسيط. - قطر: المطبعة الوطنية، ١٩٨٠م.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٣٤٥

- ١٦ - البسام، عبدالله. علماء نجد خلال ستة قرون. - مكة المكرمة: النهضة الحديثة، ١٣٨٩هـ.
- ١٧ - البغدادي، أحمد الخطيب. تاريخ بغداد. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ.
- ١٨ - التركي، عبدالله بن عبدالمحسن. منهج الملك عبدالعزيز في السياسة الدولية. - مصر: ١٤٠٧هـ.
- ١٩ - جمعة، رابح لطفي. حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز. - الرياض: الدارة، ١٩٨٢م.
- ٢٠ - حمزة، فؤاد. البلاد السعودية. - الرياض: مكتبة النصر، ١٣٨٨هـ.
- ٢١ - حمزة، فؤاد. قلب جزيرة العرب، الرياض: مكتبة النصر، ١٩٦٨م.
- ٢٢ - الخالدي، إسماعيل. العالم الإسلامي والغزو المغولي. - الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ.
- ٢٣ - خير، محمد. مؤلفات الشيخ ابن باز. - الرياض: دار خزيمة، ١٤١٣هـ.
- ٢٤ - عبدالمحسن الداود. المملكة وهموم الأقليات. - الرياض: الهيئة العربية للكتاب، ١٤١٣هـ.
- ٢٥ - الدريب، سعود بن سعد. الملك ووضع قواعد التنظيم القضائي. - جدة: دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٨هـ.
- ٢٦ - الذهبي، محمد أحمد. سير أعلام النبلاء. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.
- ٢٧ - الرفاعي، عبدالعزيز. عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتاب. - من بحوث جامعة الإمام، الرياض.
- ٢٨ - رمضان، محمد خير. الدعوة الإسلامية. - الرياض: دار طويق للنشر، ١٩٨٦م.





- ٢٩ - الريحاني أمين. تاريخ نجد. - بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٨٠ م.
- ٣٠ - الزركلي، خير الدين. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز. - بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٧ هـ.
- ٣١ - زيدان، عبدالكريم. أصول الدعوة. - ط ٣ - ١٩٧٦ م.
- ٣٢ - الساعاتي، حسن. سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن. - الرياض: ١٤٠٦ هـ.
- ٣٣ - شاكر، فؤاد. الملك عبدالعزيز سيرة لا تاريخ. - جدة: ١٤٠٩ هـ.
- ٣٤ - الشامخ، محمد. التعليم في مكة والمدينة. - الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٩٧٣ م.
- ٣٥ - صقر، عبدالبديع. كيف ندعو الناس. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩ هـ.
- ٣٦ - الطاهر، علي جواد. معجم المطبوعات العربية. - بغداد: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٨٥ م.
- ٣٧ - العبودي، صالح. عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. - المدينة المنورة: مكتبة الغرباء، ١٤١٧ هـ.
- ٣٨ - العثيمين، عبدالله. تاريخ المملكة العربية السعودية. - الرياض، ١٤١٦ هـ.
- ٣٩ - عطار، أحمد عبدالغفور. صقر الجزيرة. - الرياض: المؤسسة العربية، ١٣٨٤ هـ.
- ٤٠ - العمري، صالح سليمان. علماء آل سليم. - الرياض، ١٩٨٥ م.
- ٤١ - الغلامي، عبدالملك. الملك الراشد. - الرياض: دار اللواء، ١٤٠٠ هـ.
- ٤٢ - الفوزان. من أعلام المجددين. - الرياض: دار الصمعي.
- ٤٣ - الفيافي، علي. السمط الحاوي في سيرة القرعاوي. - مكة المكرمة، ١٤١١ هـ.

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٣٤٧

- ٤٤ - ابن قاسم، عبدالرحمن. الدرر السنية في الأجوبة النجدية. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.
- ٤٥ - القاضي، محمد. روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد. - القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٨٠م.
- ٤٦ - القصيمي. الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم، ١٩٨٩م.
- ٤٧ - قطب، سيد. في ظلال القرآن. - دار الشروق.
- ٤٨ - كشك، محمد جلال. السعوديون والحل الإسلامي. - القاهرة: المطبعة الفنية، ١٤٠٤هـ.
- ٤٩ - الكيلاني، كمال. فهد بن عبدالعزيز ومسيرة دولة، ١٤٠٤هـ.
- ٥٠ - المارك، فهد. من شيم الملك عبدالعزيز. - بيروت: ١٣٩٨هـ.
- ٥١ - المانع، محمد. توحيد المملكة. - الدمام: مطابع المطوع، ١٤٠٢هـ.
- ٥٢ - محمود، علي عبدالحليم. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. - الكويت، ١٣٩٩هـ.
- ٥٣ - المدني، محمد مغربي. وهابية اليوم. - تركيا، ١٣٤٢هـ.





## المحتويات

٧	..... الفصل الأول التمهيدي
٧	..... ١ - تعريف الدعوة الإصلاحية
٨	..... ٢ - أهمية الدعوة
١٠	..... ٣ - أهداف دراسة الدعوة
١١	..... ٤ - أهمية الجزيرة وخصائصها
١٢	..... ٥ - منهج السلف في الدعوة
١٧	..... الفصل الثاني: أحوال المسلمين قبل الدعوة
١٩	..... المبحث الأول: حال العالم الإسلامي قبل الدعوة
١٩	..... أولاً: الحالة السياسية
٢٠	..... ثانياً: الحالة الدينية
٢٣	..... المبحث الثاني: الجزيرة العربية قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٢٣	..... أولاً: الحالة السياسية
٢٤	..... ثانياً: الحالة الدينية
٢٧	..... الفصل الثالث: بدء الدعوة الإصلاحية
٢٩	..... المبحث الأول: الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثره في الدعوة
٢٩	..... ١ - نسبة
٣٠	..... ٢ - الولادة والنشأة
٣١	..... ٣ - علمه وشيوخه
٣٣	..... ٤ - تلاميذه في التوحيد
٣٧	..... المبحث الثاني: منهج الدعوة وبعض آرائه
٣٧	..... ١ - موقفه من الصحابة
٣٨	..... ٢ - موقفه من أصحاب الكرامات



- ٣ - رفضه للبدع ومنهج الجاهلية ..... ٣٩
- ٤ - صرف العبادة لغير الله ..... ٤٠
- ٥ - في التكفير والقتال ..... ٤١
- ٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٤٥
- ٧ - الاجتهاد والتقليد ..... ٤٦
- المبحث الثالث: مراحل الدعوة ..... ٤٨
- أنصار الدعوة من الحكام والعلماء ..... ٥٠
- ١ - مناصرة الأمير محمد بن سعود ..... ٥١
- ٢ - جهود الإمام عبدالعزيز بن محمد في الدعوة ..... ٥٣
- ٣ - جهود الإمام سعود بن عبدالعزيز ..... ٥٤
- ٤ - جهود الإمام تركي بن عبدالله ..... ٥٥
- ٥ - جهود الإمام فيصل بن تركي ..... ٥٦
- أبرز علماء الدعوة ..... ٥٧
- ١ - الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ..... ٥٧
- ٢ - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حصين ..... ٥٨
- ٣ - الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ..... ٥٨
- ٤ - الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البابطين ..... ٥٩
- ٥ - الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ ..... ٥٩
- ٦ - الشيخ حمد بن عتيق ..... ٦٠
- الفصل الرابع: جهود الملك عبدالعزيز في الدعوة ..... ٦١
- المبحث الأول: حال الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز ..... ٦٣
- المبحث الثاني: سيرة الملك عبدالعزيز ..... ٦٧
- المبحث الثالث: تأسيس الدولة ..... ٧٦
- الفصل الخامس: الأحوال المحيطة بالدعوة ..... ٨٣

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٣٥١

- المبحث الأول: الأحوال الإيجابية المحيطة بالدعوة ..... ٨٥
- عوائق في طريق الدعوة وسبل التغلب عليها ..... ٨٨
- الفصل السادس: الجهود الرسمية العامة في الدعوة ..... ٩٩
- المبحث الأول: تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات ..... ١٠١
- المبحث الثاني: إقامة الحدود الشرعية ..... ١٠٧
- المبحث الثالث: تأسيس العلم ونشره ..... ١١١
- المبحث الرابع: تنقية العقيدة ..... ١١٨
- المطلب الأول: تقرير العقيدة الصحيحة ..... ١١٨
- المبحث الخامس: نشر العقيدة ..... ١٢٢
- المبحث السادس: اهتمام الملك عبدالعزيز بالدعوة من خلال خطبه ومكاتبته .. ١٢٦
- الفصل السابع: وسائل الدعوة الأصلية ..... ١٣٣
- المبحث الأول: إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ١٣٧
- المبحث الثاني: تعيين المفتين والقضاة ..... ١٤٧
- المبحث الثالث: التعليم في المسجد ..... ١٥٥
- المبحث الرابع: الخطابة وتعيين أئمة المساجد ..... ١٦٣
- المبحث الخامس: إرسال العلماء والدعاة إلى البوادي والهجر ..... ١٧٠
- المبحث السادس: رسائل العلماء ومكاتباتهم ..... ١٧٨
- المبحث السابع: التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة ..... ١٨٤
- المبحث الثامن: استقبال الوفود ..... ١٩٢
- المبحث التاسع: إقامة الجهاد ..... ١٩٦
- المبحث العاشر: إنشاء المدارس ..... ٢٠٠
- تمهيد في أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة ..... ٢٠٧
- المبحث الأول: الصحافة ..... ٢٠٩
- المبحث الثاني: الإذاعة ..... ٢١٣



- ٢١٧ ..... المبحث الثالث: طباعة الكتب الإسلامية ونشرها
- ٢٢٣ ..... الفصل التاسع: أساليب الدعوة
- ٢٢٥ ..... المبحث الأول: القدوة الحسنة
- ٢٣٠ ..... المبحث الثاني: الدعوة بالحكمة
- ٢٣٤ ..... المبحث الثالث: الموعظة الحسنة
- ٢٣٩ ..... المبحث الرابع: المجادلة بالتي هي أحسن
- ٢٤٣ ..... المبحث الخامس: القصص وضرب الأمثال
- ٢٤٧ ..... الفصل العاشر: جهود الحكام والعلماء في الدعوة
- ٢٤٩ ..... المبحث الأول: الملك سعود بن عبدالعزيز
- ٢٥١ ..... المبحث الثاني: جهود الملك فيصل في الدعوة
- ٢٥٣ ..... المبحث الثالث: جهود الملك خالد في الدعوة
- ٢٥٥ ..... المبحث الرابع: خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وجهوده في الدعوة
- ٢٥٨ ..... المبحث الخامس: أثر الدعوة في الداخل والخارج
- ٢٦٣ ..... الفصل الحادي عشر: من رجال الدعوة
- ٢٦٥ ..... المبحث الأول: العلماء في الدولة السعودية الثالثة
- ٢٦٩ ..... المطلب الأول: الشيخ محمد بن عبداللطيف
- ٢٧٢ ..... المطلب الثاني: الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ
- ٢٧٥ ..... المطلب الثالث: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي
- ٢٧٩ ..... المطلب الرابع: الشيخ عبدالله بن حسن
- ٢٨٤ ..... المطلب الخامس: الشيخ محمد بن إبراهيم
- ٢٨٩ ..... المبحث الثاني: الدعاة في القضاء
- ٢٩١ ..... المطلب الأول: الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ
- ٢٩٣ ..... المطلب الثاني: الشيخ سعد بن حمد بن عتيق
- ٢٩٥ ..... المطلب الثالث: الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد
- ٢٩٧ ..... المطلب الرابع: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري

## الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية

٣٥٣

- المطلب الخامس: الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم ..... ٢٩٩
- المطلب السادس: الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك ..... ٣٠١
- المطلب السابع: الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري أبو حبيب ..... ٣٠٣
- المبحث الثالث: الدعاة الذين اشتهروا بالتدريس في عهد الملك عبدالعزيز ٣١١
- المطلب الأول: الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد الجلعود ..... ٣١٣
- المطلب الثاني: الشيخ حمد بن فارس ..... ٣١٥
- المطلب الثالث: الشيخ عمر بن محمد بن سليم ..... ٣١٦
- المطلب الرابع: الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع ..... ٣١٩
- المطلب الخامس: الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي ..... ٣٢٢
- المطلب السادس: الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة ..... ٣٢٥
- المبحث الرابع: العلماء الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف ..... ٣٢٧
- المطلب الأول: الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ..... ٣٣٠
- المطلب الثاني: الشيخ سليمان بن سحمان ..... ٣٣٢<sup>\*</sup>
- المطلب الثالث: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ..... ٣٣٤
- المطلب الرابع: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ..... ٣٣٥
- المبحث الخامس: الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ ..... ٣٣٧
- المطلب الأول: الشيخ عبدالكريم الدرويش ..... ٣٤٠
- المطلب الثاني: الشيخ عبداللطيف بن حمد بن عتيق ..... ٣٤١
- المطلب الثالث: الشيخ عبدالله بن أحمد العجيري ..... ٣٤٢
- المطلب الرابع: الشيخ عثمان بن سليمان ..... ٣٤٣
- المراجع ..... ٣٤٤
- فهرس المحتويات ..... ٣٤٩





مطابع الحميري، هاتف: ٤٥٨١٠٠٠، فاكس: ٤٥٩٢٣١٧